www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجامعـــة الإســـلامية العـــالمية
إسلام آباد ــ باكستان
كلية أصول الدين
قســـم التفسير وعلوم القرآن

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY
ISLAMABAD – PAKISTAN
FACULTY OF USULUDDIN
DEPARTMENT OF TAFSEER & QURANIC SCIENCES

المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

(بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير)

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور مصباح الله عبدالباقي

الأستاذ المساعد في التفسير وعلومه

بكلية أصول الدين ــ الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

إعداد الطالب

سجادأحمد بن محمد أفضل

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م

رقم التسجيل : ٦١٤/FU/MA/٠٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل لله تعالى أولاً على ما وفقني من اتمام هذا العمل الجليل ثم أشكر الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد التي أتاحت لي فرصة الدراسات العليا في كلية أصول الدين بقسم التفسير.

انطلاقاً من قول النبي ﷺ " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " فإني أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى مشرفي وأستاذي فضيلة الدكتور مصباح الله عبد الباقي – حفظه الله – الذي تكرم بقبول الإشراف عل هذه الرسالة منذ أن كانت فكرة إلى أن خرج البحث بالصورة التي بين أيديكم ، وكذلك أقدم الشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي وخاصة أساتذة كلية أصول الدين وأخص بالشكر أساتذة قسم التفسير , ولا أنسى في الشكر والدعاء زملائي وأصدقائي الذين عاونوني في هذه الرسالة فجزاهم الله أحسن الجزاء في يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

أسأل الله سبحانه أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وصلى الله وسلم على هذا النبي الأمي وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واستمسك بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ . (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ . (٣)

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . (٤)

---

(١) . سورة آل عمران: الآية رقم: ١٠٢.

(٢) . سورة النساء: الآية رقم: ١.

(٣) . سورة الأحزاب: الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) . جزء من حديث طويل ، أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب في الهبة الصالحة ، ٥ رقم الحديث ، ص : .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: أهمية الموضوع :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق مخلوقاته لغاية في هذا الكون وشملت هذه الحكمةخلق الإنسان المكلف المسؤول وحدد القرآن الكريم هذه المسؤولية في آيات كريمات قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)

كما حدد القرآن الكريم أن الجزاء بقدر المسؤولية مع إيثار جانب الرحمة والعفو ومضاعة الحسنات كما قال تعالى : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ . (٣)

ومن هنا يجب على المسلم أن يعرف أنه مسؤول عن البشرية , لأنه فهم معنى الخلافة والأمانة والعبادة . وقد كان هذا الشعور بالمسؤلية يملأ جوانح الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، كان الواحد منهم ولو لم يبلغ مبلغا عظيما من الثقافة ، كان يشعر بأنه مسؤول أمام الله تعالى عن مصير الإنسانية وعن الشعوب والأمم , وأن في يده أمانة ثمينة أمانة مستقبل المدنية والإنسانية .

لكن أدى الآن شيوع المذاهب المادية وسيطرتها على عقول الأفراد وهيمنتها على ثقافة المجتمعات إلى إصابة الإنسان بالقلق والاضطراب والضياع فوقف الناس وسط هذه المبادئ لايعرفون أين يتجهون وأي طريق يسلكون وأي منهج ينتهجون .وكان سبب شيوع هذه المذاهب انقطاع الناس وبعدهم عن الوحي الإلهي وهداية الأنبياء والمرسلين الذين يرشدونهم إلى الطريق السوي , ويبينوا لهم طريق الخيرو الفلاح , ولن تسعد البشرية إلا إذا عرفت خالقها وطبقت النظم الإلهية التي وضعها بارئها لتسيربها البشرية .

فلذا هذا البحث محاولة متواضعة للخروج بدراسة قرآنية موضوعية عن هذا الجانب المهم من جوانب الحياة الإنسانية ، التي تعرضت لها آيات الكتاب العزيز . فأردت أن أجمع هذه الآيات وأقوم بدراستها دراسة موضوعية بعنوان : " المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم " .

---

(١) . سورة الأحزاب . آية ٧٢.
(٢) . سورة الذاريات ٥٦.
(٣). سورة الأنعام . آية : ١٦٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسباب اختيار الموضوع :

١. إن المسؤولية والجزاء لب الحياة البشرية كلها.

٢. عناية القرآن الكريم الشديدة بالمسؤولية والجزاء في كثير من الآيات.

٣. الحاجة الملحة لضرورة قيام المجتمع الصالح .

٤. إن الوضع الحالي الراهن جعلني أن أفكر في مسؤولية الإنسان وجزائه.

إن هذه الأسباب وغيرها جعلتني أن أختار هذا الموضوع .

منهج البحث :

وأما المنهج الذي سلكته في كتابة هذه الرسالة فيتخلص في النقاط التالية:

١. جعلت أساس بحثي القرآن الكريم ، فجمعت الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع واحد أستنبط منها ماتفيده الآيات , ثم أذكر الأحاديث النبوية لتوضيح الإجمال .

٢. خرجت الآيات مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش ، واستشهدت بالأحاديث النبوية من خلال التفسير الموضوعي لبعض الآيات . وخرجت الأحاديث مع ذكر الكتاب والباب والصفحة من مصادرها الأصلية .

٣. لم أذكر سند الأحاديث ، و إنما اكتفيت بذكر المتن فقط .

٤. ترجمت لأغلب الأعلام التي وردت أسماؤهم في متن الرسالة ، إلا بعض المعاصرين الذين لم أجد تراجمهم .

٥. وضعت الفهارس العلمية العامة ليصل القارئ إلى بغيته بيسر وسهولة . وهذه الفهارس هي :

أ . فهرس الآيات القرآنية مرتبا حسب السور .

ب . فهرس الأحاديث النبوية على حروف المعجم .

ج . فهرس الأعلام على ترتيب المعجم كذلك .

د . فهرس المصادر والمراجع على حروف المعجم .

ه . فهرس الموضوعات .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطة البحث:

وأما خطة البحث فهي تشتمل على المقدمة والبابين والخاتمة .

أما المقدمة تبين :

- أهمية الموضوع .
- سبب إختيار الموضوع .
- منهج البحث .
- خطة البحث .

الباب الأول : المسؤولية

وهو يشتمل على على تمهيد وفصلين

والتمهيد تشتمل على :

- المسؤلية لغة واصطلاحا .
- معنى السؤال في القرآن الكريم .
- خصائص المسؤولية في القرآن الكريم .

الفصل الأول : شروط المسؤلية ومناطها في القرآن الكريم

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : شروط المسؤولية .
- المبحث الثاني : مناط المسؤولية .

الفصل الثاني : أنواع المسؤولية وأهدافها

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : أنواع المسؤولية .
- المبحث الثاني : أهداف المسؤولية .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثاني : الجزاء

وأما الباب الثاني فهو يشتمل على التمهيد وثلاثة فصول

والتمهيد تشتمل على :

- ♦ الجزاء لغة واصطلاحا .
- ♦ معنى الجزاء في القرآن الكريم .
- ♦ خصائص الجزاء في القرآن الكريم .

الفصل الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا

وفيه مبحثان :

- ❖ المبحث الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا للصالحين .
- ❖ المبحث الثاني : الجزاء الإلهي في الدنيا للطالحين .

الفصل الثاني : الجزاء الإلهي في الآخرة

وفيه مبحثان:

- ❖ المبحث الأول : الجزاء الإلهي في الآخرة للصالحين .
- ❖ المبحث الثاني : الجزاء الإلهي في الآخرة للطالحين .

الفصل الثالث: الجزاء وأثره على الفرد والمجتمع.

وفيه مبحثان:

- ❖ المبحث الأول : أثر الجزاء الدنيوي على الفرد والمجتمع .
- ❖ المبحث الثاني : أثرالجزاءالأخروي على الفرد والمجتمع .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة :

فتحتوي على أهم نتائج البحث التي توصلت إليها وبعدها فهرس الآيات القرآنية والأحاديث، فهرس الأعلام، فهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات .

فهذا جهدي المتواضع ولا أدعي الكمال لأن العمل البشري عرضة للخطأ والنقص فماكان فيه من الصواب فمن الله وماكان فيه من الخطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان عنه , وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه وأن يتقبل منا,وأن ينفع به المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو على كل شئ قدير .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الأول

التمهيد

* المسؤلية لغة واصطلاحا
* خصائص المسؤلية في القرآن الكريم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله االرحمن الرحيم

التمهيد

المسؤلية لغة و اصطلاحاً:

المسؤلية لغة :

المسؤلية كلمة حديثة الاستعمال ليس لها وجود في استعمالات فقهائنا الأقدمين و انما هي تعبير معاصر استعمله بعض الفقهاء المتأخرين .

ترجع مادة المسؤلية إلى (السين والهمزة و اللام ، كلمة واحدة ، يقال سأل ، يسأل ، سؤالا ومسألة) . (١)

واسم الفاعل منه : السائل ، واسم المفعول : المسؤل ، والمصدر الصناعي : المسؤلية .

ويدور معنى سأل حول ما يأتي :

تقول : سأله بكذا وعن كذا : إستخبره عنه وطلب منه معرفته .

وسأله عن كذا : حاسبه عليه وآخده به .

وسأله الشيئ : طلبه منه .

وسأله الوعد : طلب وفاءه وإنجازه .

وسأله : طلب معروفه وإحسانه .

وسأله بالله أن يفعل كذا : أقسم عليه أن يفعل . (٢)

ومما يفيدنا في بيان المعنى المراد من سأل ما قاله الراغب (٣) في كتابه المفردات في غريب القرآن :

---

(١) . معجم مقايس اللغة لابن فارس . بتحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون . ص : ١٢٤ (باب السين والهمزة وما يثلثهما) ط : دارالجيل بيروت لبنان .

(٢) . أنظر تاج العروس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، ٧/ ٣٦٥، ٣٦٦ ، فصل السين المهملة مع اللام ، ط : دارالصادق بيروت .

(٣) . هوالحسين بن محمد بن المفضل أبوالقاسم الأصفهاني المعروف بالراغب ، أديب من الحكماء والعلماء , وله مؤلفات عديدة منها:المفردا ت في غريب القرآن ، محاضرات الأدباء, جامع التفاسير, توفي عام ٥٦٥ هـ أنظر روضات الجنات للخوانساري ١٩٧/٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

" السؤال في اللغة : هو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة ، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى مال ، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان ، واليد خليفة له بالكتابة أو الاشارة ، واستدعاء المال جوابه على اليد ، واللسان خليفة لها إما بوعد أو برد . إن قيل : كيف يصح أن يقال السؤال يكون للمعرفة ومعلوم أن الله تعالى : يسأل عباده نحو : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (١) قيل : إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى فإنه علام الغيوب فليس يخرج عن كونه سؤالا عن المعرفة .

والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (٢) ولتعرف المسؤول .

والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار تقول : سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا) . (٣)

وقد أجاب لنا الراغب عن سؤال كثيراً ما يرد على الخاطر إذا كان السؤال من معانيه الاستخيار وطلب المعرفة وطلب المعرفة لا يكون إلا لمن لا يعرف ولا يعلم ما يسأل عنه . فكيف يصح ذلك مع مقام رب العالمين الذي يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن من عباده . وقد أجاب عن ذلك بأن السؤال من الله تعالى لعباده لتعريفهم وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى فإنه علام الغيوب .

كما قال ابن منظور (٤) أيضاً : وقوله تعالى : ﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٥) ، معناه سوف تسألون عن شكر ما خلقه الله لكم من الشرف والذكر . وقوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (٦) وقيل : سؤالهم سؤال توبيخ وتقرير لا يجاب الحجة عليهم لأن الله تعالى عالم بأعمالهم . وقوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٧) أي لا يسأل ليعلم ذلك منه لأن الله قد علم أعمالهم . (٨)

---

(١) . المائدة . آية ١١٦ .
(٢) . سورة التكوير . آية ٨ .
(٣) . مفردات في غريب القرآن . للراغب الأصبهاني ، ص : ٢٥٠ ، الناشر : أصح المطابع بكراتشي .
(٤) . هو أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري ولد عام ٦٣٠هـ وله مؤلفات كثيرة و من أشهرها لسان العرب توفي عام ٧١١هـ انظر:بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١٤٨/١ .
(٥) . سورة الزخرف . آية ٤٤ .
(٦) . سورة الصافات . آية ٢٤ .
(٧) . سورة الرحمن . آية ٣٩ .
(٨) . راجع لسان العرب ، لإبن منظور ، ١١/ ٣٨٠-٣٨٢ ، بتحقيق : عامرأحمد ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ، ١٤٢٤ه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن كل ما تقدم نعرف بأن معنى السؤال في اللغة هو : طلب المعرفة أو الاستعطاء أو الاستخبار . هذا ما أفصحت عنه المعاجم اللغوية في بيان معنى السؤال .

معنى السؤال في القرآن الكريم :

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وتتبعنا مادة سأل ومشتقاتها في آياته الكريمة لوجدنا أنها ذكرت في القرآن في أماكن كثيرة ، ويدور معناها حول ما يأتي :

١ . بمعنى الاستخبار كما في قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ . ([1])

٢ . الاسترشاد وطلب المعرفة كما في قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ . ([2])

٣ . سؤال الطلب وعرض الحاجة كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . ([3])

٤ . سؤال المخاصمة والمجادلة . كقوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾ . ([4])

٥ . سؤال الإجابة والاستجابة كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ . ([5])

٦ . سؤال المحاسبة والمناقشة كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ([6])

٧ . سؤال بمعنى المؤاخذة المجازاة كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . ([7])

فهذه هي المعاني التي تدور حولها كلمة سأل ومشتقاتها في كتاب الله تعالى وبذلك يتضح ويظهر قصور نظرة ابن الأثير ([8]) في كتابه النهاية في غريب الحديث بقوله :

إن السؤال في كتاب الله تعالى و حديث الرسول ﷺ نوعان :

١) أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم لما تمس الحاجة إليه فهو مباح أو مندوب أومأمور به.

٢) والآخر ما كان على طريق التعنت فهو مكروه ومنهى عنه ، فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فانما هو ردع وزجرللسائل ، وان وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ . ([9])

([1]) . سورة المعارج . آية ١ .
([2]) . سورة النحل . آية ٤٣ .
([3]) . سورة الرحمن . آية ٢٩ .
([4]) . سورة النباء . آية ١ .
([5]) . سورة البقرة ١٨٦ .
([6]) . سورة الحجر . آية ٩٢ .
([7]) . سورة البقرة . آية ١٣٤ .
([8]) . هو أبوالحسن علي ابن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعزالدين . كان إماما في الحديث وحافظا للتواريخ صنف الكامل والأنساب . ولد عام ٥٥٥ هـ وتوفي عام ٦٣٠هـ انظر وفيات الأعيان لابن خلكان .
([9]) . النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، بتحقيق : الشيخ خليل مأمون ، ١/ ٧٤٢ ، دارالمعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١ه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبتطبيق معاني السؤال في كتاب الله تعالى على المعاني المستفادة من المعاجم اللغوية يتبين لنا أنها تنطبق معها تمام الانطباق وتتوافق الأمر ويقرر أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون ﴾ . ([1])

المسؤلية اصطلاحاً:

إن الباحث عن المراد بالمسؤلية في الكتب التي تعرضت للحديث عنها يجد تعريفات متعددة متباينة العبارات ، يقتصر كل تعريف منها على بيان زاوية خاصة من زوايا المسؤلية . وإليك بعضاً منها :

١. ومن التعريفات التي وردت لكلمة المسؤلية ما جاء في معجم المنجد في اللغة بأن المسؤلية : " ما يكون به الإنسان مسؤلاً و مطالباً عن أمور أو أفعال أتاها " . ([2])

٢. أو هي: " أن يتحمل الإنسان نتائج الأفعال المحرمة التي يأتيها مختاراً وهو مدرك لمعانيها ونتائجها " . ([3])

٣. وعرفتها المجمع اللغة العربية بالقاهرة بأن المسؤلية هي " هي شعور الإنسان بالتزامة أخلاقياً بنتائج أعماله الإدارية فيحاسب عليها إن خيراً وإن شراً " . ([4])

٤. وقال مقداد يالجن تعني المسؤلية " تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى ، وأمام ضميرة في الدرجة الثانية ، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة " . ([5])

٥. وجاء في موسوعة نضرة النعيم : " بأن المسؤلية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة ". ([6])

٦. وقد عرفها الدكتور عبدالله دراز ([7]) بقوله : " المسؤلية هي كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حساباً إلى غيره " . ([8])

([1]) . سورة يوسف . آية ٢ .

([2]) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص : ٣١٦ ، دار المشرق ، بيروت . ط : الأربعون ٢٠٠٣ م .

([3]) . التشريع الجنائ مقارنا بالقانون الوضعى ، عبدالقادر عودة ، ١ / ٣٩٢ ، ط : دار العروبة .

([4]) . المعجم الفلسفي ، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط سنة ١٩٧٩م الهئية العامةلشؤن المطابع الأميرية.

([5]) . التربية الأخلاقية الإسلامية . لمقداد يالجن ، ص :٣٣١ ، ط١، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٧٧ م .

([6]) . موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسولﷺ باشراف د.صالح بن عبدالله الحميد ٢٤٠٠١٨ دار الوسيلة للنشر والتوزيع . الطبعةالاولى ١٤١٨ه .

([7]) . هو الدكتورمحمد عبدالله دراز ولد سنة ١٨٩٤ الميلادي في قرية (محلة دياي) بمصربمحافظة كفر الشيخ , كان يعرف اللغات المتعددة وحصل على الدكتوراة من جامعة السربون بفرنسا وله مؤلفات كثيرة منها : الأخلاق في القرآن، الدين , النبأ العظيم , المسؤلية في الإسلام توفي سنة ١٩٥٨. انظر كتاب الدين لعبدالله دراز ص٧-٨ .

([8]) . دستور الأخلاق . لدكتور عبدالله دراز . ص : ١٣٦ . تعريب و تحقيق و تعليق الدكتور عبدالصبورالشاهين ط : الرابعة ، ١٤٠٢ه – ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧. وعرفها مصطفى الصبري بأنها " لياقة الإنسان لما يلقاه في الدنيا والآخرة من جزاء عمله " . ([1])

٨. وعرفها الدكتور أحمد بن عبدالعزيز " بأنها أهلية الشخص أن يكون مطالباً شرعاً بامتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، ومحاسباً عليها " . ([2])

٩. وجاء تعريفه في المعجم الوسيط بأنها : "حالة أو صفة من يسأل عن أمرٍ تقع عليه تبعته " . يقال : أنا بريئ من مسؤلية هذا العمل أي من تبعته .

وتطلق (أخلاقياً) على : الالتزام الشخص بما يصدر عنه قولا أو عملا .

وتطلق (قانونياً) على : الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون . ([3])

وغير ذلك من التعريفات التي تتناول جهة خاصة أو طرف خاص من أطراف المسؤلية . ولذلك إذا أردنا أن نتعرف على المعنى الجامع للمسؤلية يجدرنا أن نضع بجوارها الكلمات القرآنية التي تتطابق معها ، وهذه الكلمات هي (الخلافة) و (التكليف) و (الأمانة) .

فمن المشاهد أن هذه الألفاظ قد وردت في القرآن الكريم في ما يلزم الله تعالى به عباده ويلكفهم به من أوامر و نواهي ، فإذا انضمت هذه الألفاظ مع بعضها لأسفرت عن المعنى الجامع للمسؤلية .

ونورد الآن فيما يلي تفسير هذه الكلمات من كتب التفاسير حتى يتضح لنا المعنى :

١. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ ([4]) ، أي إني جاعل (أقواماً يخلف بعضهم بعضاً) ([5]) في القيام بإمضاء الأحكام والأوامر . ([6])

٢. وقال تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ([7]) ، في الأية نص على تكليف العباد بالأوامر والأعمال التي في وسع المكلف ، وفي مقتضى إدراكه ، فللنفس ما كسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من شر .

٣. وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ . ([8])

([1]) . موقف البشر تحت سلطان القدر للشيخ مصطفى صبري ، ص: ١٧١ ط : ١ سنة ١٣٥٢ه . المطبعة السلفية بالقاهرة .

([2]) . المسؤلية الخلقية والجزاء عليها . لدكتور أحمد بن عبدالعزيز الحليبي . ص :٧١ . مكتبة الرشد بالرياض ، ط : الأولى ١٤١٧ه ١٩٩٤م .

([3]) . المعجم الوسيط . ٤١١١١ .

([4]) . سورة البقرة . آية ٣٠ .

([5]) . تفسير القرآن العظيم ، لإمام ابن كثير ، ص : ١٠٩، ، دار ابن حزم ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٠ه .

([6]) . الجامع لأحكام القرآن ، لإمام القرطبي ، ١/ ٢٦٣ ، داراحياء التراث العربي ، بيروت . ط : ١٤٠٥ه .

([7]) . سورة البقرة . آية ٢٨٦ .

([8]) . سورة الأحزاب . آية ٧٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكر ابن كثير ([1]) في تفسير الأمانة عدة أقوال ، تدور كلها على الفرائض والطاعات ، ثم قال " وكل هذا الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي راجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إذا قام بذلك أثيب ، وإن تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفقه الله " . ([2])

وهكذا قد تناول القرآن هذه الكلمات الثلاثة ، بحيث لا تقبل الانفصام ، وتدل على المسؤلية بطريق اللزوم .

ومما يساندنا في كون هذه الألفاظ تلتقي مع بعضها وتنتظم لتعطينا معنى واحد جامعاً للمسؤلية ، قول العقاد ([3]) في بيان المراد بالأمانة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ يقول : " وردت كلمة الأمانة والأمانات في خمسة مواضع من القرآن الكريم وكلها بالمعنى الذي يفيد التبعة والعهد والمسؤلية " . ([4])

وكل ما تقدم يوضح ويبين بأن معنى المسؤلية يلتقي مع معنى الخلافة والتكليف والأمانة ، ويبدو جليا أن بين هذه القضايا قاسماً مشتركاً ، طرفاه الطلب والحساب : طلب أوامر الله تعالى والمحاسبة عليها ، فمن قام بها أثيب ، ومن تركها عوقب ، وهذا هو المعنى المسؤلية كما تقدم .

وبعد هذا نستطيع الآن بأن نضع تعريفاً جامعاً لكل أطراف المسؤلية وأبعادها ، إذن المسؤلية في معناها الجامع الشامل تعني :

" الإستعداد الفطري الذي جبل الله تعالى عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية ما كلفه به من أمور تتعلق بدينه ودنياه ، فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل له الثواب ، وإن فرط فيها حصل له العقاب ".

([1]) . هو عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ولد سنة ٧٠١ هـ حافظ مؤرخ فقيه مفسر وله مؤلفات كثيرة منها : البداية والنهاية , تفسير القرآن العظيم , توفي سنة ٧٧٤ هـ انظر طبقات الحفاظ ٥٣٣- ٥٣٤ والنجوم الزاهرة ١٢٣/١١ .

([2]) . تفسير القرآن العظيم ، لإمام ابن كثير ، ص : ١٥٢٩. (المرجع السابق) .

([3]) . هو عباس محمود العقاد شاعراً ، أديباً ونقاداً ، ولد سنة ١٨٨٩م في أسوان بمصر ، وله مؤلفات كثيرة منها : عبقرية محمد ﷺ ، عبقرية الصديق ﷺ ، الله ، الإنسان في القرآن وغيرذلك . توفي سنة ١٩٦٤ه بالقاهرة و دفن في أسوان .

([4]) . الإنسان في القرآن ، لعباس محمود العقاد ، ص : ٣٤ ، ط : دارالهلال .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خصائص المسؤلية في القرآن :

إن المتفكر في حقيقة المسؤلية في القرآن وأبعادها ، تتجلى له خصائص عديدة لها ، ومن أبرز تلك الخصائص :

١. الثبوت :

إن المسؤلية في الاسلام ثابتة ثبوتاً قطعياً ، لأنها من مقتضيات صفة التكليف . فكل مكلف مسؤل عما فعل فيه لقوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (١) أي : مسؤلون عن جميع أقوالهم وأفعالهم (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٣) ، قال ابن كثير : أي : تسألون عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له. (٤) ومن هنا سمي يوم القيامة بيوم الجزاء ، ويوم الحساب . وحاشا لله أن يترك عباده سدى ، قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ . (٥)

٢. العموم :

المسؤلية في الاسلام تعم الخلق ، فلا يفلت منها أحد ، فكل إنسان سيحاسب حسب أعماله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، سواء أكان نبيا رسولا ، أو كان عبداً تقيا صالحا، أو ضعيفاً مقصرا ، أو فاجراً ظالما لنفسه ، وسواء أكان حاكماً أو محكوماً ، رجلاً أو امرأة .

فلو تتبعنا خطابات القرآن الكريم لوجدنا أنها موجهة إلى كل فرد مكلف من بني آدم على تفاوت مراتبهم و مراكزهم . فكل إنسان توفرت فيه شروط المسؤلية والتكليف فهو ملزم برعاية أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه وهذا ما قرره القرآن الكريم وأكده في آياته البينات . كما قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦) وقال أيضاً : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . (٧)

---

(١) . سورة الصافات . آية ٢٤ .

(٢) . تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى , ص : ٤٤٦ ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) . سورة الزخرف . آية ٤٤ .

(٤) . تفسير القرآن العظيم ، لإمام ابن كثير ، ص : ١٦٨١، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه ، دار ابن حزم ، بيروت .

(٥) . سورة القيامة . آية ٣٦ .

(٦) . سورة الحجر . آية ٩٢ ، ٩٣ .

(٧) . سورة الاعراف . آية ٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به ، ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاتهم . (١)

وغيرذلك من الآيات التي توضح أن المسؤلية تقع على كل إنسان على حسب درجاتهم ، فكل إنسان سوف يسأل عما أنيط به من مسؤلية يقوم على رعايتها وحفظها ، فكل إنسان مسؤل أمام رب العالمين يوم الموقف العظيم . ويؤكد هذا قوله ﷺ " كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ..." (٢)

٣. الشمول :

المسؤلية في الاسلام شاملة شمولا كاملة ، حتى تشمل الشمول الزماني والمكاني والموضوعي .

أ . الشول الزماني :

فالمسؤلية لا تنفك عن المكلف الذى تتوفر فيه شروط التكليف ، من أول يوم يبلغ فيه سن التكليف ، إلى أن يتوفاه الله تعالى ، فلا يملك العبد في حياته فترات حرة يخرج فيها عن دائرة المسؤلية إلا في الحالات الاستثنائية ، كما جاء في الحديث " رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المعتوه حتى يبرأ " . (٣)

ب . الشمول المكاني :

فالمسؤلية شاملة للخلق جميعاً أينما كانوا ، في دار حرب أو دار الاسلام ، وفي سفر أو حضر ، وفي قرب أو بعد ، فلا تغيب عن علم الله مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وإنما تحصى على صغر حجمها ، وأينما كان مكانها ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ . (٤)

ج. الشمول الموضوعي :

فالمسولية تشمل جميع أعمال الانسان وتصرفاته ، سواء المتعلقة منها بربه ، أو المتعلقة بنفسه ، أوالمتعلقة بغيره ، وليس للانسان من علاقة سوى هذه العلاقات الانسانية الثلاث . ولا يغني المسلم إحسان علاقة واحدة من هذه العلاقات عن إحسان بقية العلاقات .

---

(١) . تفسير القرآن العظيم ، لإمام ابن كثير ، ص : ٧٤٥ .

(٢) . صحيح البخارى ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث : ٨٩٣ ، ص : ١٤٣، دارالسلام للنشروالتوزيع . الطبعة الثانية ١٤١٩ه .

(٣) . رواه أبو داؤد ، كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ، ٢ / ٥٤٤ , رقم ٤٤٠٢ ، بتحقيق محمد ميحي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الفكر .

(٤) . سورة الأنبياء . آية ٤٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الحديث " قال رجل : يا رسول الله ﷺ ، إن فلانة تكثر من صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ : هي في النار ، قال : يا رسول الله ﷺ ، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ : هي في الجنة " (١) . وكما جاء في الحديث "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت في النار " . (٢)

ومن هنا جاءت وصية الرسول ﷺ بإحسان العلاقات الثلاث جميعها فقال : " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " . (٣)

---

(١) . رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ ص : ٦٩٨ ، حديث رقم : ٩٦٧٣ . ط : بيت الأفكار الدولية.

(٢) . رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تحريم تعذيب الهرة ، رقم الحديث ٦٦٧٥ ، ص ١١٤٣ ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ه ، دار السلام للنشر والتوزيع .

(٣) . رواه الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في معاشرة الناس ، رقم الحديث ١٩٨٧، ص ٤٦٠، الطبع الأولى ١٤٢٠ه ، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض . و راجع ايضاً المقال بعنوان : " التفريط في المسؤلية خطر على المجتمع " ، محمد أبوالفتح البيانوني ، ص : ١٠- ١٥، المنهل ، مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة ، العدد ٤٨٧ المجلد ٥٢ رمضان وشوال ١٣١١ه / ١٩٩١م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

شروط المسؤلية ومناطها في القرآن الكريم

المبحث الأول : شروط المسؤلية

المبحث الثاني : مناط المسؤلية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول : شروط المسؤلية :

الإنسان كائن مكلف ، ولهذا شواهد كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، قال تعالى :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ . (١)

قال النيسابوري (٢) في تفسير هذه الآية : " الأمانة هي الطاعة وهي التكليف ، ثم قال وسمي التكليف أمانة لأن من قصر فيه فعليه الغرامة ومن أدّاه فله الكرامة " . (٣)

ويقول أبي حيان (٤) : " بين الله تعالى أن ما كلفه الإنسان أمر عظيم فقال ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ تعظماً لأمر التكليف ، والظاهر أن الأمانة هي كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي ، وشأن دين ودنيا ، والشرع كله أمانة " (٥) .

وجميع الأقوال في تفسير هذه الآية متفقة وراجعة إلى أن الأمانة هي التكليف وقبول الأوامر و النواهى وعلى هذا يمكن فهم هدف الإنسان في حياته ، فهو مبتلى بتبعة التكليف . والمسؤلية في الإسلام تقع في دائرة التكاليف التى أوجبها الله تعالى على عباده في كل علاقات الحياة . والمسؤلية صفة لازمة للمخلوق المكلف تميزه عن صفات الخالق ، لأن التكليف من غير مسؤلية عبث وضياع . لذا المسؤلية لا تنفك عن المكلف الذى تتوفر فيه شروط التكليف .

وبعد أن عرفنا بأن المسؤلية تقوم على أساس من التكليف ، ولكي يكون مكلفاً لابد وأن يتوفر فيه الشروط التالية . وهي شروط التكليف وتحقق المسؤلية . وفيما يلي أذكر هذه الشروط بعد تعريف التكليف لغة واصطلاحاً .

---

(١) . الأحزاب . آية ٧٢ .

(٢) . هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الإمام أبوالحسن الواحدي أوحد عصره في التفسير وله مؤلفات كثيرة منها : أسباب النزول , المغازي , تفسير الوسيط والبسيط والوجيز , توفي سنة ٤٦٨هـ انظر طبقات المفسرين لداودي ١٩٤/١-١٩٥.

(٣) . تفسير النيسابوري (بهامش الطبري) مجلد ١٠ ، ص :٣٤ ، ٣٥ ، مطبوع بهامش الطبرى ، دارالريان للتراث ، ١٩٨٧ م .

(٤) . هو الإمام أبوحيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ثم المصري شيخ النحاة والحاذق بالقراءات , ولد سنة ٦٥٤هـ بغرناطة وله مؤلفات كثيرة ومن أشهرها تفسيره البحرالمحيط , توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ انظر: طبقات المفسرين للأرنوي ص٢٧٨ ووفيات للسلامي ٤٨٢/١.

(٥) . البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى ٨/ ٥٠٩ طبعة جديدة بعناية الشيخ عرفات العشا ، دارالفكرللطباعة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعريف التكليف :

فالتكليف لغة : مصدر كلّف . يقال : كلفه تكليفاً أي أمره بما يشق عليه . (١)

قال تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ . (٢)

وفي الاصطلاح: "خطاب الله تعالى ، المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع " . (٣)

وفيما يلي نذكر شروط عامة للتكليف وتحقق المسؤلية :

١. العقل والبلوغ :

إن الله تعالى قد وهب الإنسان عقلاً به يميز ويدرك ويقف على الأمر أمراً والنهي نهياً ، ويستطيع تطبيق أوامر الشرع ونواهيه تطبيقاً يقوم عليه نظام المجتمع وصلاح أحواله وإستقامة أموره ، والإنسان لا يعد مسؤلاً ومكلفاً في الإسلام إلا إذا بلغ وكمل عقله وأصبح رشيداً . والرشيد يقصد به من بلغ سن الرشد وأصبح أهلا لتحمل المسؤلية والتكليف ورعاية الأمانة .

ولقد جعل القرآن الكريم سن الرشد هو سن اكتمال العقل الانساني وقدرته على الإدراك والاختيار الذي به يتحمل تبعة أعماله ويدرك به معرفة النتائج المترتبة على الأفعال وهو الرشد المقترن بالتكليف وتحمل المسؤلية ، وهو أن يبلغ الصبي ويستقل بتصرفاته وهذا ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ . (٤) فشرط إعطاء الولى المال لليتيم في الآية هو بلوغ النكاح وعلم الرشد .

إذاً فلا يتجه التكليف إلى الإنسان – رجلاً أو إمرأةَ – إلا اذا بلغ . وللبلوغ تقدير شرعي محدد . فغير البالغ ليس بمكلف ، ونعني بذالك أن جانب الإلزام والمسؤلية من أحكام الله تعالى لا يثبت بشأن الإنسان غير البالغ .

وقد اختلف العلماء والأئمة في معرفة السن الذي يصل فيه الإنسان إلى الرشد . قال ابن حجر (٥) : " أجمع العلماء على أن الاحتلام فى الرجال والنساء يلزم به العبادات والحدود و سائر الأحكام (٦) .

---

(١) . الصحاح ، لابن حماد الجوهري ٣ / ١١٧٧، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، دارإحياء التراث العربي . بيروت .

(٢) . البقرة . آية ٢٨٦ .

(٣) . الوجيز في أصول التشريع ، ص : ٩٩ ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) . سورة النساء . آية ٦ .

(٥) . هو شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر الكناني العسقلاني الشافعي الأصل المصري مولدا ونشأة ولد عام ٧٧٣ هـ تولى القضاء في مصر وله عدة مؤلفات منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري , تقريب التهذيب , لسان الميزان الإصابة في تميزالصحابة , توفي عام ٨٥٢هـ , انظر: البدرالطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ٧٨/١ وشذرات الذهب ٢٧٣/٧ .

(٦) . فتح الباري بشرح صحيح البخارى ٥ / ٢٧٧ ، الناشر : دار المعرفة . بيروت ١٣٧٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذا ذهب الإمام أبو حنيفة ([1]) – رحمه الله– إلى أن سن البلوغ ثماني عشرة في الذكور ، وسبع عشرة سنة في الإناث ، وهو المروي عن ابن عباس ﷺ ([2]) ، وذهب جمهور الفقهاء وصاحبا أبي حنيفة ـــ أبو يوسف ([3]) ومحمد ([4]) ـــ على أنهما خمس عشرة سنة في الذكور والإناث جميعاً ([5]) . ويستندون إلى حديث ابن عمرﷺ ([6]) : " أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد ، وهو أربع عشرة سنة فلم يجزه ، ثم عرضني يوم الخندق و أنا ابن عشرة فأجازني . قال نافع : تقدمت على عمر بن عبدالعزيز ، وهو خليفة فحدثته هذا الحديث ، فقال : إن هذا الحد بين الصغير و الكبير ، و كتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة سنة . ([7])

واتجه كثير من المفسرين إلى أن المراد بالرشد هو اكتمال العقل و اكتمال العقل يكون بحسن التصرف في الأموال . لأن كمال البلوغ لا يكفي كسبب لدفع أموال اليتيم إليه .

يقول الزمخشري ([8]) : " واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى إذا تبينهم منهم رشداً . أي هداية – دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن البلوغ " ([9]) .

فالرشد هو دليل كمال العقل وتظهر قدرات العقل بالتصرف الحسن فيما يزاول الإنسان من أعمال وبالأخص فيما يتعلق بالأموال .

([1]) . هو الإمام فقيه الملة عالم العراق أبوحنيفة النعمان بن الثابت بن ذوطي التيمي الكوفي مولى تيم الله بن ثعلبة ،ولد سنة ٨٠ هـ وأما الفقه والتدقيق فإليه المنتهى قال عنه الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال لأبي حنيفة توفي سنة ١٥٠ هـ انظر سيرأعلام النبلاء ٢٩٠/٦ والبداية والنهاية ١٠٧/١٠ وتذكرة الحفاظ١٦٨/١ ووفيات الأعيان ٤١٥/٥ .

([2]) . هو عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب كنيته أبوالعباس من كبارالفسرين في عهد الصحابة توفي عام ٦٨ هـ وقيل ٧٠ هـ انظر: الثقات ٣٠٨/٣.

([3]) . هو الإمام أبويوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي الفقيه المجتهد قاضي القضاة , ولدسنة ١١٣هـ تلميذ أبي حنيفة وصاحبه يحفظ التفسير والمغازي توفي سنة ١٨٢ هـ انظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٠/٨ والبداية والنهاية ١٨٠/١٠ ووفيات الأعيان ٢٧٨/٦ وشذرات الذهب ٢٩٨/١.

([4]) . هو محمد بن الحسن بن فرقد ولد بواسط ونشأ بالكوفة إما م في الفقه والأصول ثاني أصحاب أبي حنيفة بعد أبي يوسف وله مؤلفات كثيرة منها : الجامع الصغير , الجامع الكبير , المبسوط , السير الكبير , السير الصغير. انظر: البداية والنهاية ٢٠٢/١٠ والأعلام للزركلي ٣٠٩/٦ .

([5]) . المدخل الفقهي العام ، للأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ، ط سنة ١٩٦٨م ، مطابع ألف باء بدمشق .

([6]) . هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي , ولد سنة ثلاث بعد مبعث الرسول ﷺ وهاجر وهوابن عشر سنين وكان شديد الاقتداء والمتابعة برسول الله صلى الله عليه وسلم – توفي سنة ٧٢ وقيل ٧٣ هـ انظر: الاصابة ٣٤٧/٢-٣٥٠ و الاستيعاب ٣٤١/٢- ٣٤٦ وأسد الغابة ٢٢٧/٣- ٢٣١ .

([7]) . رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما في الإمارة ، باب بيان سن البلوغ ٣/ ١٣٩٠ رقم ١٨٦٨ , الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

([8]) . هو الإمام محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جارالله ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر قرية من قرى خوارزم وهو النحوي واللغوي والمفسر المعتزلي وله مؤلفات كثيرة منها: الكشاف في التفسير , أساس البلاغة , المفصل, المقامات , توفي في جرجانية بخوارزم . انظر: طبقات المفسرين للحافظ داودي ٣١٤/٢-٣١٦.

([9]) . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لإمام الزمخشري ، ١/ ٤٧٣،٤٧٢ دارالكتاب العربي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول الإمام الغزالي ([1]) : " وشرط المكلف أن يكون عاقلاً يفهم الخطاب ، فلا يصح خطاب الجماد والبهيمة ، بل ولا خطاب المجنون والصبي الذى لا يميز ، لأن التكليف مقتضاه الطاعة والإمتثال ، ولا يمكن ذلك الا بقصد الإمتثال ، وشرط القصد العلم بالمقصود ، وهذا لا يتحقق في المجنون ولا المميز لأن الأول لا يفهم والثاني إن فهم فهماً ما لم يصدر منه قصد صيحح ، فلم يصح تكليفهما ولا سؤالهما " ([2]) ، لقول الرسول ﷺ " رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المعتوه حتى يبرأ ([3]) .

ومن كل ما تقدم نخرج بأن الإنسان لا يكلف إلا إذا كمل عقله وبلغ رشده وتكاملت قواه الفكرية وظهر منه علامات تدل على ما أودع فيه من طاقات وما زود به من ملكات قادرة على الوصول إلى المعرفة الحقة والإدراك الصحيح .

وهذا هو العقل الذي جعله الله تعالى مناط التكليف وأساس تحمل الإنسان للمسؤلية ، لذلك نجد أن الإسلام يرفع عن الإنسان المسؤلية إذا طرأ على العقل أي اختلال في قدراته أو نقص ، فلا مسؤلية على صغير ولا مجنون ولا سكران .

٤. حرية الإرادة :

لم يشأ الله تعالى أن يكره الإنسان على الالتزام بالمنهج الذى كلفه به ، ولكن جعل له حرية الإرادة والاختيار في ذلك ، إن شاء التزم وتحمل أعباء التكليف ومشقته ، وإن شاء اتبع هواه . لذا إن حرية الإرادة تعد الدعامة الأساسية التى تعتمد عليها مسؤلية الإنسان عن أعماله ، فلا يمكن أن توجه المسؤلية إلى الكائن أو المخلوق الذى لديه إرادة حرة يختار ما يريد ، وهو الإنسان الذى منحه الله تعالى حرية الإرادة و ميزه بها . وهذه الإرادة التى منحها الله تعالى للإنسان واختصه بها تعد الأساس الأول للمسؤلية والتكليف ، ولذلك كانت حرية الإرادة بما اقتضته من المسؤلية والتكليف عبئا ثقيلاً قدرت السموات والأرض خطورته و لم ترض لنفسها بتحمله قال تعالى :

([1]) . هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبوحامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف وله حوالي مئتي كتاب ومن أشهر مؤلفاته: إحياء علوم الدين ولد عام ٥٤٠ هـ وتوفي بخراسان عام ٥٠٥ هـ انظر الأعلام للزركلي ٢٤٧/٧-٢٤٨.

([2]) . المستصفى في علم الأصول ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، ص : ٦٧ ، دار الكتب العلمية – بيروت بتحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ .

([3]) . رواه أبو داؤد ، كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ، ٢ / ٥٤٤ , رقم ٤٤٠٢ ، بتحقيق محمد ميحي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الفكر .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) لأنه تحمل الأمانة وهي حرية الإرادة وتبعاتها من التكليف والمسؤلية . (٢)

لقد تقرر أن مسؤلية الإنسان تنبني و تؤسس على إرادته الحرة واختياره الهادف لما يقوم به ويفعله . فأساس المسؤلية وما يتبعها ويترتب عليها من جزاء هو ما يفعله الإنسان بمحض تصرفه وإرادته وهذا ما يقرره القرآن الكريم في خطاباته المتكررة المتوجهة إلى عقل الإنسان وإسناد كل ما يقوم به من أفعال إلى إرادته ، وتأكيد مسؤليته وحسابه على ما يفعله من خير أو شر مما يبرز أن للإنسان إرادة حرة وأن له كسباً واكتسابا وأنه يهدي نفسه بنفسه ويضل نفسه بنفسه ، كما قال تعالى : ﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ . (٣)

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله قد أقام علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل . قال الله تعالى : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٤) ، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحدا على معصيته ولا اضطره إلى ترك طاعة قال الله تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٥) ، وقال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ (٧) ، فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره . وهذه الإستطاعة التي منحها الله تعالى للإنسان ، بها يفعل وبها يترك وبها يطيع وبها يعصي .

وهذه الإرادة الحرة المختارة هي ميزة الإنسان التي امتازبها عن جميع الكائنات وفاق بها كل المخلوقات وعلى أساسها أمر الله الإنسان ونهاه وكلفه برعاية ما استرعاه وجعله مسؤلاً عن جميع أعماله التي يكتسبها بحريته واختياره ، وصار الإنسان بهذه المنحة الربانية قابلا للهبوط إلى أسفل سافلين ، وقابلا للصعود إلى قمة الخلائق أجمعين . بينما غيره من المخلوقات مسلوب الإرادة والإختيار ولذلك لا

---

(١) . الأحزاب . آية ٧٢ .

(٢) . أنظر إلى المقال بعنوان " حرية الإنسان دعامة المسؤلية والجزاء " لدكتور عبد المقصود عبد الغني . قدم هذاالمقال في المؤ تمر الدولى الثالث للفلسفة الإسلامية ، جامعة القاهرة . كلية دار العلوم ، قسم الفلسفة مايو١٩٩٨م.

(٣) . سورة الإسراء . آية ١٥ .

(٤) . سورة النساء . آية ١٦٥ .

(٥) . سورة البقرة . آية ٢٨٦ .

(٦) . سورة التغابن . آية ١٦ .

(٧) . سورة الغافر . آية ١٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يستطيع الانفلات عن سنن الله الطبيعة ونواميسها التي أودعها الله فيها ، كما قال تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) ، بخلاف الإنسان الذي يعمل بإرادته ويتصرف بحريته بقوة منحها الله تعالى إياه تمكنه من أن يطيع أوامر الله تعالى ويتبع طريقه كما تمكنه من أن يعصيه ويتجنب سبيله . ولهذا فوض الله تعالى للإنسان الأمر في تحصيل أعماله الاختيارية ليبلوهم أيهم أحسن عملا فيجزي المحسن على إحسانه ويجزي المسئ على قدر إساءته .ويظهر للمتدبر لنصوص القرآنية مدى الحرية التي منحها الله تعالى للإنسان وجعلها أساس أهليته للمسؤلية وقاعدة تحمله لتبعات هذه المسؤلية من جزاء ثواباً أو عقاباً . ومما يدل على ذلك ما يأتي :

١ . إن الله سبحانه وتعالى قد أعطى المشيئة وحرية الإرادة لأبي البشرية آدم عليه السلام عندما أسكنه جنته قال له ﷻ : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾ (٢) ، فتوجيه الأمر إلى آدم وزرجته -عليهما السلام -، وإسناد المشيئة إليهما ، ونهيهما عن قربان الشجرة ، وإسناد الظلم إليهما ، كل هذا يبرز للمتأمل مدى الحرية والإختيار التي منحها الله تعالى للإنسان من أول الخليقة ، وبها يستطيع أن يقوم بما أسند إليه من رعاية لأماناته ومسؤلياته .

٢ . إن القرآن الكريم يفيض بالآيات الكريمة التى توضح وتصرح بأن الانسان يستطيع اختيار الهداية لنفسه ، كما يستطيع أن يختار الضلالة لنفسه . وتبين مدى ما هيأه الله للانسان من قدرات وإمكانيات متكافئة لقبول الخير والشر . يقول تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) ، فالله تعالى قد دل الانسان على سبيل الشكر والكفر وعليه هو أن يختار سلوك هذا وذاك ، وهذه الآية من جملة الآيات الكثيرة الدالة على أن للإنسان إرادة و اختيار . وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ (٦)

---

(١) . سورة يس . آية ٤٠ .
(٢) . سورة البقرة . آية ٣٥ .
(٣) . سورة الإنسان . آية ٢، ٣ .
(٤) . سورة الكهف . آية ٢٩ .
(٥) . سورة يونس . آية ١٠٨ .
(٦) . سورة النجم . آية ٣٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تسند الهداية والضلال إلى الإنسان في كونه يستطيع أن يكتسبها لنفسه مما يؤكد أنه سبب وكائن مختار لما يقوم به من أعمال . كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ([1]) .

٣ . ومن الآيات التي تدل أكبر دلالة على أن اختيار الانسان وحريته وجهده الذي يقوم به هو أساس مسؤليته وما يترتب عليها من جزاء ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ([2]) ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ([3]) ، فواضح من هاتين الآيتين أن مشيئة الله في تغير حال قوم إنما تجرى وتنفذ من خلال حركة هؤلاء القوم وما يقومون به من أعمال تغير ما بأنفسهم اتجاها وسلوكا شعوريا و عمليا ، فإذا حدث ذلك غيّر الله حالهم وشأنهم جزاء على ما غيّروا هم من أنفسهم .

يقول ابن كثير : " يخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه " ([4]) . كل هذه الحقائق التي قدمناها تقرر وتؤكد مدى الحرية والإرادة والاختيار الذي منحه الله للانسان لكى يستطيع القيام برعاية ما استرعاه الله تعالى من أمانات ومسؤليات .

٤ . العمل الإرادي :

الإنسان في الإسلام لا يعد مسؤلا ولا تتحقق مسؤلية الإنسان عما يقوم به من أفعال إلا إذا توفر فيه أمر ، وهوحدوث الفعل عن نية وقصد و إرادة .

وهذا يعتبر من المبادئ الأساسية في الإسلام ، فإن الإسلام لا يقيم لعمل الإنسان أي وزن إلا إذا كان قاصدا إليه وناويا له بإرادة و اختيار ، ولذلك لا يعاقب على هواجس القلب ووسوسة الضمير وحديث النفس إلا إذا كانت هذه الهواجس نزوع من الانسان إلى الخير فإن الله تعالى يثيبه عليها وإن لم يفعلها فضلا منه ورحمة .

فلا بد لكل عمل يقوم به الإنسان من إرادة ونية وقصد . وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله : " إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ من نوى ..." ([5]) ، فالأعمال التي تصحبها الإرادة والنية والعزم على فعل طاعة أو اقتراف معصية ، هو العمل الذي يترتب عليه الجزاء بنوعيه : العقاب والثواب .

([1]) . سورة الزلزلة . آية ٧،٨ .
([2]) . سورة الرعد . آية ١١ .
([3]) . سورة الأنفال . آية ٥٣ .
([4]) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ٨٤٩ .
([5]) . رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ، رقم الحديث : ١ ، ص : ١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك نفى الله تعالى ما يترتب على المسؤلية من جزاء ، إذا كانت الأعمال بدون إرادة ونية وقصد . وهذا ما يفيده قوله تعالى : ﴿ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . ([1])

فالله تعالى لا يعاقب من صدر منه الإيمان اللاغية وهي التي لا يقصدها الحالف بل يجري على لسانه من غير قصد منه ، كما قال تعالى : ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . ([2])

يقول ابن كثير " قد تقدم في سورة البقرة الكلام على لغو اليمين وأنه قول الرجل في الكلام من غير قصد " ([3]) . لذلك رفع الإسلام المسؤلية عن المكره والناس وغيرهم مما لا إعتبار لفعله الصادر منه وذلك للاجماع على أن التكليف ما لا يطاق غير واقع في الشريعة الإسلامية وتكليف من لا قصد له تكليف بما لا يطاق . وهذا ما يقرره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . ([4])

وقد رفع الله تعالى الإثم عن المضظر الذي ألجأته الضرورة إلى أكل ميتة أو دم أو لحم حنزير وغيرها مما حرمه الله تعالى و رسوله ﷺ لأنه في حكم المكره يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ([5])

إذاً فكل ما لم يعتمده الإنسان و لم يقصده ، و لم يعقد عليه قلبه من الأقوال والأفعال لم تترتب عليه مسؤلية ، و لم ينله من جزائه جزاء ، ومن ذلك رفعت المسؤلية أيضاً عن المخطئ الناسى . لذلك إن القرآن الكريم قد صرح بالتجاوز عن المخطئ والناسى ورفع عنهما الإثم ، لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات والإرادات . ولذلك علّم الله تعالى عباده الدعاء برفع الإثم عند الخطاء والنسيان بقوله تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ

([1]) . سورة البقرة . آية ٢٢٥ .
([2]) . سورة المائدة . آية ٨٩ .
([3]) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ٦٤٥ .
([4]) . سورة النحل . آية ١٠٦ .
([5]) . سورة البقرة . آية ١٧٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) ، ويقرر ذلك قوله تعالى :﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ . (٢)

٥. بلوغ الدعوة :

كان من رحمة الله تعالى بعباده أنه كما جعل فيهم العقل والفهم الذي به يميزون ويدركون ، شاءت حكمته العظيمة ألا يجعل ذلك فقط مناط مسؤلية الإنسان ومطالبته بما كلف به ، بل أرسل لهم الرسل من حين إلى حين على مدى إمتداد التاريخ البشرى من أبى البشر آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ ، وذلك ليزيلوا ما ران على فطرة الإنسان من شر وفساد ، وليقيموه إلى سواء الصراط ، وليرشدوه إلى كلا الطريقتين طريق الشر ومساوئه ، وطريق الخير ومحاسنه وفضائله ، وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ . (٣)

لذلك يعتبر هذا الشرط من أهم شروط المسؤلية . وهو بلوغ دعوة الرسل إلى الإنسان العاقل البالغ القادر. فيجب أن تصل إليه الدعوة حتى تستيقظ الضمائرالغافلة ، ولأن المؤاخذة لا تكون إلابعد إرسال الرسل وقيام الحجة عليهم . قال تعالى :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٤) ، وهذا لا يتم إلا بإعلام الإنسان بما هو مفروض وواجب عليه فعلاً أو تركاً ، بمعنى أن الإنسان لابد وأن يكون عالماً بما هو مكلف به .

يقول الشوكاني (٥) في تفسير هذه الآية : " ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله وإنزال كتبه فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وبه قالت طائفة من أهل العلم وذهب الجمهور إلى أن المنفي هنا هو عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة " . (٦)

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يعلم الإنسان وتعلم الأمم بواجباتها وحقوقها عن طريق الرسل الذين يذكرونهم دائما بالأوامر الشرعية من أجل تحقيق المسؤلية والالتزام ، وقد وردت الآيات القرآنية دالة على ذلك ، فما كان الله تعالى ليحاسب إلا بعد الإبلاغ والبيان والإعلام ، وما كان الله ليعذب أهل

---

(١) . سورة البقرة . آية ٢٨٦ .
(٢) . سورة الأحزاب . آية ٥ .
(٣) . سورة الإنسان . آية ٣ .
(٤) . سورة الإسراء . آية ١٥.
(٥) . هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ولد بشوكان من بلاد اليمن عام ١١٧٣هـ ونشأ بصنعاء, كان فقيها مجتهدا ولى القضاء بصنعاء عام ١٢٢٩ هـ وله مؤلفات منها : نيل الأوطار, فتح القدير, البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع توفي عام ١٢٥٠ هـ انظر: الأعلام للزركلي ١٩٠/٧ والبدر الطالع ٢١٤/٢.
(٦) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ٩٥٦ ، مكتبة الرشد ، الرياض . الطبعة الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرى دون أن يرسل لهم الرسل والأنبياء لدعوتهم إلى التقوى والصلاح ، وحتى يكونوا شهداء عليهم ، يقول تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا ولَهَا مُنذِرُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٣) . إذا فلا تصح التبعة على أحد لم تصل إليه الدعوة . قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ . (٤)

وجملة القول أن سنة الله تعالى المبنية على الحكم العالية أنه لا يعذب أحداً بأى لون من ألوان العذاب الدنيوي أو الأخروي على فعل شيء أو تركه إلا إذا أرسل أليه رسولا يهديه إلى الحق ويبين له طريق الرشد من الغى ، وليبلغه الدعوة ويقيم عليه الحجة ، وتتضافر آيات القرآن الكريم على تأكيد أن الله تعالى لن يحاسب أحداً على أفعاله دون أن يكون قد علم قبل الحساب والجزاء أحكام ما كلفه وما أوجبه عليه معرفة واضحة بينة .

وهذه هي أهم الشروط التي ترتكز عليها المسؤلية ، لأنها تجعل الشخص أهلا لتحمل نتائج أفعاله ، وإذا انتفى واحد منها انتفت أهلية الشخص وسقطت عنه المسؤلية .

---

(١) . سورة القصص . آية ٥٩ .

(٢) . سورة الشعراء . آية ٢٠٨ .

(٣) . سورة إبراهيم . آية ٤ .

(٤) . سورة يونس . آية ٤٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: مناط المسؤلية :

الإنسان مخلوق مسؤول وأن ما منحه الله تعالى إياه من نعم ومظاهر التكريم ، إنما هي مقتضى من مقتضيات المسؤلية و مناطها وليست ممنوحة لذاتها . والإنسان محور هذا الكون و مسؤل عن تنمية الحياة على الأرض ، ولأنه مخلوق حباه الله تعالى من الهبات ومظاهر التكريم لكى تتحرك همته نحو مسؤليته في عمارة الأرض والقيام بمهام الخلافة والعبادة والأمانة ، وأن ما كرمه الله تعالى عون له عليها . وحين نقول أن القرآن عرف الإنسان بأنه الكائن المكلف أو الكائن المسؤل فإننا نستحضر آيات جاءت نصاً في المسؤلية في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾ (٤) ،ومثل قوله : ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٥) وغيرهذه الآيات مما هو في بابها كثير .

و كل هذه الآيات تنطق بتعريف الإنسان بدوره بأنه الكائن المكلف المسؤل ، لأن الخلافة فسرها العلماء بتمثل الدين والحفاظ عليه ونشره جيلا بعد جيل ، ولأن الأمانة هي في مجموع آراء المفسرين مع شمولها لكل أمانة تأتي نصاً في فروض الدين ، ولأن العبادة التي هي غاية خلق الإنس والجن هي معرفة الله تعالى وطاعته ، وطاعته التزام أوامره ونواهيه ، وهما جماع الدين ، وآية تحديد مهمة الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوضح من أن يشار إليها أو يعلق عليها ، فهي التعبير الصريح فيما ذهبنا إليه . إذن هذه الآيات وما يدل على معناها هو الذي جعلنا نقول أن القرآن حدد الإنسان بدوره وهو المسؤلية . (٦)

---

(١) . سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٢) . سورة الأحزاب ، آية ٧٢ .

(٣) . سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

(٤) . سورة آل عمران ، آية ١١٠

(٥) . سورة الاسراء ، آية ١٥ .

(٦) . حقيقة الإنسان بين المسؤلية والتكريم ، لدكتور أبواليزيد العجمى ، ص : ١٥ ، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالإنسان في الإسلام هو الكائن المكلف المسؤل الذي حمل الأمانة وخلق للخلافة والعبادة ثم هو مكرم من أجل مسؤليته .

لذا أذكر فيما يلي أولاً بأن الإنسان مهمته في الأرض الخلافة والعبادة والأمانة في ضوء الآيات ثم أذكر بأن الله تعالى أعانه على هذه المسؤلية بالتكريم ، وهذه الأُمور هي مناط المسؤلية .

١. مهمة الانسان في الكون :

أ .الخلافة :

" وردت آيات عدة في القرآن الكريم توضح مركز الإنسان في هذا الكون من قبل مسؤليته ودوره . وهذه الآيات وإن اختلفت في ألفاظها ومناسباتها ، فإنها تلتقي جميعا عند ربط دور الإنسان به وقياسه بمدى تحقيقه وفق منهج الله تعالى " (١) . قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . (٢)

قال البغوي (٣) : "والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه ." (٤)

وقال ابن كثير : يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ ﴾ أي واذكر يا محمد ﷺ إذا قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل . كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ ﴾ (٥) وقال : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ ﴾ (٦) وقال : ﴿ وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ (٧) ، وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك

---

(١) . نفس المرجع ، ص : ١٠٣ .

(٢) . سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٣) . هو أبو محمد حسين ابن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الفقيه الشافعي كان محدثا ومفسرا الملقب بمحي الدين وركن الدين وظهيرالدين ومؤلفات كثيرة منها: معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة في الحديث. انظر: البدية والنهاية لابن كثير ١٩٣/١٢ ووفيات الأعيان ١٣٦/١٢-١٣٧.

(٤) . معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، ١/ ٦٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٥ه ، ١٩٩٥م .

(٥) . سورة الأنعام ، آية ١٦٥ .

(٦) . سورة النمل . آية ٦٢ .

(٧) . سورة الزخرف . آية ٦٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من ﴿ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (١) أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم .

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ ، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون : يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ؟ فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك ولا يصدر منا شيء من ذلك وهل وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم . (٢)

وقد ذكر الشيخ الشنقيطي (٣) في تفسير هذه الآية قولين :

القول الأول : أن المراد بالخليفة أبونا آدم عليه الصلاة والسلام ، لأنه خليفة اللّه في أرضه في تنفيذ أوامره . وقيل: لأنه صار خلفًا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبله ، وعليه فالخليفة : فعيلة بمعنى فاعل وقيل : لأنه إذا مات يخلفه من بعده ، وعليه فهو من فعيلة بمعنى مفعول . وكون الخليفة آدم عليه السلام هو الظاهر المتبادر من سياق الآية .

القول الثاني : أن قوله ﴿ خَلِيفَةً ﴾ مفرد أريد به الجمع ، أي خلائف ، وهو اختيار ابن كثير . وإذا كانت هذه الآية الكريمة تحتمل الوجهين المذكورين فاعلم أنه قد دلت آيات أخر على الوجه الثاني ، وهو أن المراد بالخليفة : الخلائف من آدم وبنيه لا آدم نفسه وحده . كقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاء ﴾ .

---

(١) . سورة الحجر . آية ٣٣ .

(٢) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) . هو محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار الشنقيطي وينتهي نسبه إلى قبيلة حمير العربية , ولد ١٣٢٥ هـ في شنقيط وهو العالم الفاضل من دولة موريتانيا وله مؤلفات كثيرة منها: آداب البحث والمناظرة , أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. انظر: مقدمة الأضواء لعطية محمد سالم ١/١٩- ٢٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومعلوم أن آدم عليه الصلاة والسلام ليس ممن يفسد فيها ، ولا ممن يسفك الدماء . وكقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (١) وقوله :﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء ﴾ (٢) ونحو ذلك من الآيات .(٣)

ومهما قيل عن معني الخلافة فهي تبعة ومسؤلية يورثها السلف للخلف ويتوقف على أدائها تحقيق مناط التكريم الذى هم فيه .

ب . العبادة :

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤)

قال القرطبي (٥) : إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص والمعنى وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون . (٦)

قال الإمام ابن كثير بعد أن ذكر جملة من الأقوال : " ومعنى الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب .(٧)

وسئل الشيخ ابن تيمية (٨) عن قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (٩) ، فما العبادة وفروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل في العبادة أم لا ؟ وما حقيقة العبودية وهل هي أعلى المقامات أم فوقها شيء من المقامات ؟

فأجاب : " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك

---

(١) . سورة الأنعام ، آية ١٦٥.

(٢) . سورة النمل ٦٢ .

(٣) . أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ١/ ١١٩ ، ١٢٠ ، طبع على نفقة السوالملكى الأمير أحمد بن عبدالعزيز ١٣٠٣ه / ١٩٨٣ م .

(٤) . سورة الذاريات ، ٥٦ .

(٥) . هو أبوعبدالله محمدبن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي , وله مؤلفات كثيرة منها : التذكرة بأمورالآخرة , الجامع لأحكام القرآن توفي بصعيد مصر عام ٦٧١ هـ انظر طبقات المفسرين لداودي ٦٩/٢ وشذرات الذهب ٣٣٥/٥ .

(٦) . الجامع لأحكام القرآن ، لإمام القرطبي ، ١٧/ ٥٥ ، دارالكتب العربي ، ط : ١٣٨٧ه ، ١٩٦٧ م .

(٧) . تفسيرالقرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص : ١٧٦٨ .

(٨) . هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله تقي الدين أبوالعباس ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي ولد في حران عام ٦٦١ هـ كان عالما فقيها مجتهدا قرأ في كثير من العلوم والفنون وله مؤلفات كثيرة منها : اقتضاء الصراط المستقيم , فتاوى ابن تيمية, الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمان وغيرها, توفي عام ٧٢٨ هـ انظر شذرات الذهب ٨٠٨/٦ .

(٩) . سورة البقرة ، آية ٢١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادات لله " ثم قال وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (١) كذلك وقول هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وجعل ذلك لازما لرسله إلى الموت كما قال : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (٢) ، وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٣) ، وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٤) .

ويقول الدكتور القرضاوي : " أن للعبادة افقاً رحباً ودائرة واسعة ، وهي تشمل الفرائض والأركان الشعائرية من الصلاة والصيام والزكاة والحج . وهي تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبد التطوعى من ذكر وتلاوته ودعاء واستغفار و تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد . وهي تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد ، كبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان لليتيم والمسكين وابن السبيل ، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان وهي تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها من صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، وغيرذالك من مكارمالأخلاق من حب الله تعالى و رسوله ﷺ وخشية الله تعالى ، والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه .

وأخيراً تشمل العبادة الفريضتين الكبيرتين اللتين هما سياج ذلك كله وملاكه وهما : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد الكفار والمنافقين في سبيل الله تعالى . وبهذا يفهم أن الدين كله داخل في العبادة " . (٥)

والتوجه إلى الله تعالى بالعبادة ومعرفة الله تعالى حق معرفته مسؤلية ليست هينة ، لأنها محاولة من الإنسان جادة للارتفاع إلى مقام العبودية لله وحده ، وهو مقام رفيع خوطب به رسولنا ﷺ ليلة

---

(١) . سورة الأعراف ، آية ٥٩ .

(٢) . سورة الحجر، آية ٩٩ .

(٣) . سورة الأنبياء ، آية ١٩ ،٢٠ .

(٤) . سورة غافر ، آية ٦٠ ، وانظر العبودية في الإسلام ، لإبن تيمية ، ص :٤ ، ٥ ط : الثانية ١٣٩ ه ، المطبعة السلفية و مكتباتها . بالقاهرة .

(٥) . العبادة في الإسلام ، لدكتور يوسف القرضاوي ، ص : ٥٠ ، ٥١ الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة الطبعة الرابعة والعشرون ١٩٩٥م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسراء والمعراج : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ . (١)

ج .الأمانة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) .

ولننظر بماذا فسرت الأمانة في هذه الآية ومدى ما تعنيه من مسؤلية : يقول أبي سعود (٣) :

بين الله تعالى عظمة التكاليف الشرعية وأنها أمر صعب للغاية كما عبرعنها بالأمانة وأوجب عليهم حسن الطاعة والإنقياذ ، والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها ، وعبر بالعرض عليهن " السموات والأرض " للاعتناء بأمرها والرغبة في قبولهن لها كما عبر عن عدم استعدادهن والإشفاق منها للتهويل والفخامة كما عبر عن قبولها بالعمل لتحقيق معنى الصعوبة حيث جعلها من قبيل الأجسام الثقيلة . والمعنى أن تلك الأمانة في عظمتها حيث لو كلفت هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لرفضن قبولها وأشفقن منه ". (٤)

قال الثعالبي (٥) : " ذهب الجمهور الى ان الأمانة كل شيء يؤتمن الانسان عليه من امر ونهى وشأن دين ودنيا فالشرع كله امانة ومعنى آلآية انا عرضنا على هذه المخلوقات العظام ان تحمل الأوامر والنواهي ولها الثواب ان احسنت والعقاب ان اساءت فابت هذه المخلوقات واشفقت فيحتمل ان يكون هذا بإدراك يخلقه الله لها ويحتمل ان يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة وحمل الانسان الأمانة اى التزم القيام بحقها وهو فى ذلك ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه " . (٦)

---

(١) . سورة الإسراء ، آية ١ .

(٢) . سورة الأحزاب ، آية ٧٢ .

(٣) . هو أبوسعود محمد بن محمد العمادي الحنفي مفتي الديار التركية صاحب التفسير (تفسيرإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المشهور بتفسير أبي سعود) ولد سنة ٨٩٣ هـ وتوفي بمدينة القسطنطينية سنة ٩٨٣ هـ انظر: البدر الطالع للشوكاني ٢٦١/١ .

(٤) . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي سعود (بتصرف)، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م ، دار احياء الترث العربي . بيروت .

(٥) . هو عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو يزيد الجعفري المالكي الأشعري الجزائري صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها ولد سنة ٧٨٦ هـ , وله مؤلفات كثيرة منها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن توفي سنة ٨٧٥ , انظر: الأعلام للزركلي ١٠٧/٤ و معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض ص٩٠.

(٦) . الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، ٤/ ٣٦١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ط : الأولى ١٤١٨ه ، ١٩٩٧م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال القرطبي : "لما بين تعالى في هذه السورة من الأحكام ما بين أمر بالتزام أوامره والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال . فالأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد .([1])

ويقول الشيخ السعدى ([2]) في تفسير هذه الآية : " يعظم تعالى شأن الأمانة ، التي ائتمن اللّه عليها المكلفين ، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم ، في حال السر والخفية ، كحال العلانية ، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة ، السماوات والأرض والجبال ، عرض تخيير لا تحتيم ، وأنك إن قمت بها وأدَّيتِهَا على وجهها ، فلك الثواب ، وإن لم تقومي بها ، و لم تؤديها فعليك العقاب .

﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ أي : خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ ، لا عصيانًا لربهن ، ولا زهدًا في ثوابه ، وعرضها اللّه على الإنسان ، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله ، وحمل هذا الحمل الثقيل . فانقسم الناس – بحسب قيامهم بها وعدمه– إلى ثلاثة أقسام : منافقون ،أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا ، ومشركون ، تركوها ظاهرًا وباطنًا، ومؤمنون ، قائمون بها ظاهرًا وباطنًا . (٣)

وذكر ابن كثير في تفسير الأمانة عدة أقوال ، تدور كلها على الفرائض والطاعات ، ثم قال " وكل هذا الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي راجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إذا قام بذلك أثيب ، وإن تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفقه الله " . ([4])

وفي كل المعاني التي ذكرت تبرز معنى المسؤلية ، وبخاصة إذا فسرت على أنها الدين . لذا الإنسان مخلوق مسؤل عن أعماله ، وقد حمله الله تعالى أمانة التكليف ، فكانت هذه المسؤلية من أوجه تفضيله على كثير من مخلوقات الله تعالى ، وهى التى رفضت هذه الأمانة حينما عرضت عليها وطلب منها الالتزام بها فرفضن حمل الأمانة وكرم الله تعالى الإنسان بتحميله لها ، وجعل جزاء هذة الأمانة والالتزام بكل توصيات تلك الأمانة ، رضوان الله والفوز بالجنة ومجاورة ورؤية رب العالمين ، كما جعل لمن تنكب ما حمّله وأعرض عن توصيات تلك الأمانة العذاب والحسرة والندم الشديد يوم يلقاه .

([1]) . الجامع لأحكام القرآن ، لإمام القرطبي ، ١٤/ ٢٥٤ .

([2]) . هوالشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي ولد سنة ١٣٠٧هـ في عنيزة بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٠٧ه . وله مؤلفات عديدة منها : تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان ، المناظرات الفقهية ، منظومة في أحكام الفقه ، وغيرذلك . أنظر : رسالة ماجستير " منهج الشيخ السعدي في تفسيره ". للطالب : الضيف نظور ، عام ١٩٩٩م ، الجامعة الإسلامية بإسلام آباد . ص : ١٤-٣٤ .

([3]) . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ أبي عبدالله عبدالرحمن آل سعدي ، ص : ٨٠٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

([4]) . تفسير القرآن العظيم ، لإمام ابن كثير ، ص : ١٥٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. الإنسان مخلوق مكرم :

وبعد أن عرفنا بأن مهمة الإنسان في الكون هي الخلافة والعبادة والأمانة ، وبعد أن وصفه الله تعالى بأنه المخلوق المكلف المسؤل ، وحددت هذه المسؤلية آيات كريمات كما ذكرنا آنفاً هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . (٣)

" ويكاد يجمع المفسرون لهذه الآيات على أن المقصود منها هو فروض هذا الدين ، إقامته والمحافظة عليه ، وحمله خلفاً عن خلف ، وجيلاً بعد جيل . فاذا كانت هذه هي مسؤلية الإنسان فإنه ولاشك دور صعب يقتضي أن تساعد الحياة هذا المخلوق في مهمته حتى لا يجتمع عليه همان : صعوبة مسؤليته ، ومعاكسة الحياة له ، فصعوبة هذه المهمة اقتضت وفق عدل الله تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٤) أن يعان عليها الإنسان . وقد أعانه الله تعالى عليها وأعده لها بما نفهمه على أنها مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان ، وأنها إعداد و تهيئة للدور المنوط بهذا الكائن المسؤل " . (٥)

لذا الله تعالى جعله خليفة ، وفضله على سائر المخلوقات ، وسخر له السموات والأرض ، واختار منه الأنبياء والمرسلين واصطفاهم واجتباهم ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم احتراماً وتقديراً واعترافاً بفضله وتحيةً له ، وخلقه في أحسن تقويم وسخرله كل شيئ حتى الملائكة جعلهم لخدمته ، وكرمه في صور متعددة ومشاهد كثيرة .

وكل شيئ مخلوق في هذا العالم إنما هو من أجل الإنسان ، وكل هذه المظاهر التكريم هي مناط المسؤلية ، ليقوم الإنسان برعاية ما نيط به من تكليف ومسؤلية ، فالإنسان مسؤل أولاً ثم مكرم من أجل مسؤليته . كما هو مفهوم القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته فيجدربنا أن نتعرف على بعض هذه المظاهر حتى يتبين لنا مدى الإستعدادات والخصائص التي منحها الله تعالى للإنسان حتى يصير أهلا لتحمل هذه المسؤلية والقيام بها ، وقد تناول القرآن الكريم هذا التكريم في مناسبات عدة ، وبأساليب متنوعة ، وفيما يلي نذكر أهم مظاهر التكريم التي هي مناط المسؤلية .

---

(١) . الأحزاب . آية ٧٢ .
(٢) . سورة الذاريات . آية ٥٦.
(٣) . سورة البقرة . آية ٣٠ .
(٤) . سورة البقرة . آية ٢٨٦ .
(٥) . حقيقة الإنسان بين المسؤلية والتكريم ، ص : ١٣٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أ. تسخيرما في الكون للإنسان :

كرم الله تعالى الإنسان بتسخير الكون له ، وتسخير ما فيها لمنفعته وتمكينه من دوره الذي خلقه من أجله ، حيث سخرله ما هو أكبر منه خلقاً كالسموات والأرضين ، وأعظم منه جسماً كالأنعـــام ، وغيرهذا كثير ومختلف . وأن كل ما أوجد في هذا العالم فإنما أوجده لأجل الإنسان . كما قال تعالى ﴿ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ (١) يقول ابن كثير :

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظا والأرض فرشا ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ (٢) ، ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك إلى هنـــا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ﴾ (٣) أي يسيران لا يفتران ليلا ولا نهارا . (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَـــوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ . (٥)

يقول الطبري (٦) في تفسير هذه الآية : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ من شمس و قمر و نجوم ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ من دابة و شجر و جبل و جماد و سفن لمنافعكم و مصالحكم ﴿ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ يقول تعالى ذكره : جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم و فضل منه تفضل به عليكم و جميعها منه و من نعمه فلا تجعلوا له في شرككم له شريكا بل أفردوه بالشكر و العبادة و أخلصوا له الألوهة فإنه لا إله لكم سواه . (٧)

---

(١) . سورة ابراهيم . آية ٣٢ .
(٢) . سورة طه . آية ٥٣ .
(٣) . سورة ابراهيم . آية ٣٣ .
(٤) . تفسير القرآن العظيم ، لإمام ابن كثير ، ص : ١٠٣٦.
(٥) . سورة الجاثية . آية ١٣ .
(٦) . هوأبو جعفر محمد بن جريرالطبري ولد عام ٢٢٤ بطبرستان كان أعلم الناس في زمانه وكان مجتهدا لايقلد أحد وله مؤلفات منها : جامع البيان عن تأيل آي القرآن , تاريخ الأمم والملوك , توفي عام ٣١٠ هـــ انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٤/٨ وطبقات المفسرين لداودي ١١٠/٢.
(٧) . جامع البيان عن تاؤيل آي القرآن ، لإبن جرير الطبري ، ١٣/ ١٤٣ ، ١٤٤، دارالفكر . ط :١٤٠٥ه ، ١٩٨٤م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (١)

وقال الإمام الرازي (٢) في تفسير هذه الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأرض ﴾ أي ذلل لكم ما فيها فلا أصلب من الحجر ولا أحد من الحديد ولا أكثر هيبة من النار ، وقد سخرها لكم وسخر الحيوانات أيضاً حتى ينتفع بها من حيث الأكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر إليها . (٣)

وقال الشيخ السعدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ (٤) ، وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته ، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه ، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به ، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا ولا شكا . (٥)

وكرم الله تعالى الإنسان حين مهد له الأرض ، وجعلها صالحة للحياة بما خصها الله تعالى بهم من هواء وماء وغير ذلك من أسباب الحياة . قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٦) .

قال الإمام الشوكاني : " أي : سهلة لينة تستقرّون عليها ، و لم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها . (٧)

وقال الشيخ السعدي في تفسيرهذه الآية : هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم ، من غرس وبناء وحرث ، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة ، ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ أي : لطلب الرزق والمكاسب . ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ

---

(١) . سورة الحج . آية ٦٥ .

(٢) . هو أبوعبد الله بن محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن علي التميمي الطبرستاني الرازي الملقب بفخرالدين والمعروف بابن الخطيب الشافعي, ولد عام ٥٤٤ هـ كان إماما في التفسير والعلوم العقلية وعلوم اللغة لقب بشيخ الإسلام وله مؤلفات عديدة منها : التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب , المطالب العالية , المحصول شرح الوجيز . توفي بهراة عام ٦٠٦ هـ. انظر وفيات الأعيان ٢٤٨/٤- ٢٥٢, البداية والنهاية ٥٥/١٣ وطبقات المفسرين لداودي ٢١٥/٢-٢١٨ .

(٣) . التفسير الكبير ، لإمام فخرالدين الرازي ، ١٢/ ٥٥ ، دارالكتب العلمية . ط : الثانية ١٤٢٥ه ، ٢٠٠٤م .

(٤) . سورة الجاثية . آية ١٣ .

(٥) . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبدالرحمن السعدي ، ص : ٩٣٦ .

(٦) . سورة الملك . آية ١٥ .

(٧) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ١٧٧١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴾ أي : بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحانًا ، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة ، تبعثون بعد موتكم ، وتحشرون إلى الله ، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة . (١)

فآيات عديدة تتحدث عن الماء وكونه سبباً للحياة ، وجوده ضرورة ، توزيعه في الأرض بهذه الصورة رحمة من الله تعالى وفضل كبير ، يقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ . (٢)

وارتباط الماء بالإنبات والإثمار الذي هو طعام الإنسان وما شيته ، ارتباط واضح ذكره القرآن في أكثر من آية ، نذكر منها قوله تعالى : ﴿ وَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا *ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ . (٤)

وأما ما يتعلق بالليل والنهار ذكره القرآن إما بصيغة التسخير وإما بذكر الغاية من هذا التسخير ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (٥)

قال ابن كثير " يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي : في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا لما عرف شيء من ذلك . (٦)

هكذا سخرله في السموات والأرض لخدمته . وأما ما ذكرناه هي مجرد أمثلة تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الله تعالى يسر للإنسان سبيل حياته زماناً و مكاناً ، وإلا فآيات التسخير كثيرة وفوائدها جمة .

---

(١) . تفسير السعدي ، ص : ١٠٥٤ .

(٢) . سورة الواقعة . آية ٦٨، ٦٩ .

(٣) . سورة النحل . آية ١٠، ١١ .

(٤) . سورة عبس . من آية ٢٤ إلى ٣٢ .

(٥) . سورة الإسراء . آية ١٢.

(٦) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير , ص :١١٠٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب : تكريم الإنسان بالجوارح و الحواس :

لقد وضح لنا القرآن الكريم بأن الله تعالى خلق الإنسان على هذه الصورة البديعة و زوده بما ركب فيه من حواس وجوارح وغرائز و غير ذلك ليتمكن بكل هذه القوى من القيام بما وكل إليه من رعاية مسؤلياته وتكاليفه . كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) ، قال الإمام النسفي (٢) : " في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه . (٣)

قال سيد قطب (٤) في تفسير هذه الآية : ومنها تبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداء في أحسن تقويم . والله سبحانه أحسن كل شيء خلقه . فتخصيص الإنسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب ، وحسن التقويم ، وحسن التعديل . . فيه فضل عناية بهذا المخلوق . (٥)

لذلك أبين فيما يلي حديث القرآن الكريم عن الحواس والجوارح التي وهبها الله تعالى للإنسان و زوده بها وكونها سبباً من أسباب المسؤلية .

وهذه الجوارح والحواس هي الألسن والشفاه والأفواه والعيون والآذان والوجه والأيدي والبطن والأرجل والرأس والفروج وغير ذلك مما كمل الله به تعالى الإنسان وأعده لتحمل المسؤلية .

فكل جارحة وحاسة في الإنسان تتعلق بها أمور كثيرة من الواجبات والمندوبات والمكروهات والمحرمات وغير ذلك ، فاللسان مثلا يتعلق به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والقراءة في الصلاة وذكر الله تعالى وغير ذلك مما هو واجب أو مندوب ، وكما يتعلق به من رالمحرمات والمكروهات قالقذف وشهادة الزور والكذب والغيبة والنميمة وغيرذلك .

ولذلك نجد القرآن الكريم في مقام التذكير الإنسان بنعم الله تعالى عليه يقول : ﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (٦) وأمرنا بالصدق في القول بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧) وتوعد من يقول الكذب بلسانه ونهى عن ذلك فقال : ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴾ (٨) ويقول مهددا أصحاب الإفك الذين افتروا الكذب على أم المؤمنين

---

(١) . سورة التين . آية ٤ .

(٢) . هو أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي الفقيه الأصولي المفسر المتكلم صاحب كتاب (تفسيرمدارك التنزيل) توفي سنة ٧١٠ هـ انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٢٤٧/٢ وتاج التراجم ص ١١١.

(٣) . مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لإمام أبي البركات النسفي ، ٢/ ٣٦٧، دارالفكرللطباعة والنشر .

(٤) . هو سيد ابن الحاج بن قطب ولد في قرية صعيد بمصر عام ١٩٠٦ الميلادي التحق بدعوة الإخوان المسلمين بعد وفاة حسن البناء عام ١٩٥١ اعتقل في زمن جمال عبد الناصر مرتين وحكم عليه بالإعدام عام ١٩٦٦ وله مؤلفات عديدة ومن أشهرها تفسيره في ظلال القرآن , انظر: عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيدقطب للشيخ عبدالله عزام ص : ٩-٣٢ .

(٥) . في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ٦ / ٣٩٣٣ ، دارالشروق . ط : العاشرة ١٤٠٢ه ، ١٩٨٢م .

(٦) . سورة البلد . آية ٩ .

(٧) . سورة الأحزاب . آية ٧٠ .

(٨) . سورة النحل . آية ١١٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عائشة رضي الله عنها ([1]) : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ([2]) . وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن اللسان وما يتعلق به من أحكام بل جعل الله تعالى الألسن شاهدة على أصحابها يوم القيامة يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . ([3])

كما يتعلق بالأفواه والبطون كثير من الأحكام فكل أمر من الله تعالى بالأكل من الطيبات الحلال ، وكل نهي يتعلق بالأكل من الخبيث الحرام ، إنما يقصد به الفم والبطن يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ([4]) ويقول ناهيا عن أكل الحرام : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . ([5])

كما يذكر القرآن الكريم في كثير من الآيات السمع والبصر أو الآذان والعيون ويبين أن الإنسان بهاتين الجارحتين يتوصل إلى الإعتبار بما في الكون من علامات ودلائل على وحدانية الله تعالى ، كما جعل الله تعالى السمع والبصر والقؤاد سبباً مؤدياً إلى شكرالله تعالى يقول الله تعالى :

﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ([6]) . كما أعلن القرآن الكريم عن ندامة الكفار وحسرتهم يوم القيامة بسبب عدم إستعمالهم جوارحهم في طاعة الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ . ([7])

وكذلك نعى الله تعالى على من لا ينتفعون بهذا الحواس والجوارح في الهداية إلى ربهم ومثلهم بالأنعام في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ([8]) ، كما وصف الله تعالى المنافقين والكفار بالصم والبكم والعمى لأنهم لم يستعملوا حواسهم في عبادة الله والإيمان به يقول تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ . ([9])

([1]) . هي أم المؤمنين عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها – ولدت بمكة بعد المبعث بأربع أوخمس سنوات تزوجها الرسول ﷺ وهي بنت ست كانت بليغة أديبة عالمة توفيت سنة ٥٨ هـ انظر: الإصابة ٣٥٩/٤- ٣٦١ و الاستيعاب ٣٥٦/٤- ٣٦١ و أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥٠١/٥ .

([2]) . سورة النور . آية ١٥ .

([3]) . سورة النور . آية ٢٤ .

([4]) . سورة البقرة . آية ١٧٢ .

([5]) . سورة البقرة . آية ١٨٨ .

([6]) . سورة النحل . آية ٧٨ .

([7]) . سورة الملك . آية ١٠ .

([8]) . سورة الأعراف . آية ١٧٩ .

([9]) . سورة البقرة . آية ١٧١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد جعل الله تعالى الإنسان مسؤلا عن هذه الجوارح يوم القيامة وعن إستعمالها فيما شرع الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (١) . فالله تعالى خلق هذه الجوارح في الإنسان ليقوى بها على القيام برعاية مسؤلياته وتحقيق مكانته في الحياة الدنيا ، فكلما تكاملت في الإنسان هذه الجوارح أصبح متحملا لجميع التكاليف وإذا سلبت منه إحدى هذه الجوارح والحواس خفف عنه ما يتعلق بها من أحكام و تكاليف ، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته بعباد حيث لم يكلفهم إلا على قدر طاقتهم كما بين ذلك في قوله : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ . (٤)

ومن مظاهر اليسر أن الله تعالى رخص للمريض والمسافر الفطر في رمضان ، واكتفى منهما بالقضاة في أيام الصحة والإقامة بل أسقط فريضة الصوم على من لا يطيقه في قوله تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) ، كما أباح للحاج المريض أو من به أذى من رأسه أن يحلق ويفدي بصيام أو صدقة أو نسك يقول تعالى : ﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ . (٦)

كما رفع الله تعالى الحرج والإثم عمن ترك الجهاد لعماه أو عرجه أو مرضه يقول تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (٧)

فتبين من كل ما سبق أن الحواس والجوارح التي زود الله تعالى في الإنسان من أسباب تكليفه ومن عوامل قيامه بتبعاته ومسؤلياته ، فإنها القوى التي يتمكن بها من أداء التكاليف التي كلفها الله تعالى وحملها للإنسان ، وبذلك يظهر رحمة الله تعالى بالإنسان حيث لم يحمله عسرا بل جعل الأمانة والمسؤلية التي حمله إياها وأناط به رعايتها والقيام بها وفق طبيعته ومطابقة لتكوينه وخلقه .

---

(١) . سورة الإسراء . آية ٣٦ .
(٢) . سورة البقرة . آية ٢٨٦ .
(٣) . سورة البقرة . آية ١٨٥ .
(٤) . سورة الحج . آية ٧٨ .
(٥) . سورة البقرة . آية ١٨٤ .
(٦) . سورة البقرة . آية ١٩٦ .
(٧) . سورة التوبة . آية ٩١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ج. تميز الإنسان بالوحي :

بعد أن كرم الله الإنسان في تكوينه جسما و عقلاً و إرادة ، وهيأ له الكون للحياة تسخيراً و انقياداً ، ما كان لرحمته و فضله أن يتركا الإنسان يتعامل مع هذا الكون وحده ، بل كرمه بإرسال الرسل إليه ، وإنزال الكتب السماوية عليه ، إذ تعامل الإنسان المكرم في ذاته ، مع الكون المسخرله ، يحدث فيه اضطراب لو أنه اعتمد على العقل وحده ، لذا زاد الله تعالى من تكريمه للإنسان ، فأرسل له الرسل ليسدده ويوفقه على الطريق الصحيح .

فبعث فيهم من أنفسهم برسل يتلون عليهم آياته ويزكونهم ويعلمونهم الكتاب والحكمة ، لكى إذا تمسكوا به صلح معادهم ومعاشهم وسهل عليهم إدراكهم ، ولهذا أزال علتهم ببعثة الأنبياء ، فقال تعالى : ﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ . (١)

ويقول سيد قطب : " على أن هذا التكريم بالوحى والرسل لا ينقص من قيمة العقل ، ولا يجعله مهملا فى مجال التلقى عن الوحى وفهم ما يتلقى وإدراك ما من شأنه أن يدركه ، بل للعقل فى حدود هذا الإطار مهمة ورسالة ، لكنه ليس حكماً أخيراً على النص ، بل ما دام النص محكماً فالمدلول الصريح له الحكم . وعلى العقل أن يتلقى مقرراته هو من مدلول هذا النص الصريح ويقيم منهجه على أساسه " . (٢)

وقد بسط القرآن القول في تكريم الله للإنسان بالرسل ، رحمة به ، وفضلا من الله تعالى . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ . (٥) ذكر الإمام القرطبى حين فسر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ . (٦)

---

(١) . سورة الإسراء . آية ١٥.

(٢) . انظر خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب ، ص : ٣٠ ، طبعة المنظمات الطلابية ، ١٩٧٨ .

(٣) . سورة النساء . آية ١٦٥ .

(٤) . سورة إبراهيم . آية ٤ .

(٥) . سورة الحشر , آية ٧ .

(٦) . سورة الإسراء . آية ٧٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأن العقل لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب (١) ، ومعناه أن ترك الأمر للعقل في كل شيئ قد يقلب النعم نقماً ، ويحيل اليسر حرجاً ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ . (٢)

يقول ابن كثير : " أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله ﷺ فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم و أشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم ، وبين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم ، فقال تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم . (٣)

هكذا أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب لإصلاح الخلق وإقامة الحجة عليهم ، وفي كل هذه المظاهر التي ذكرنا تتجلى صورة الإنسان المكرم بين مخلوقات الله جميعا ، كما توضح مركز هذا الإنسان في هذا الكون من قبل مسؤليته و دوره وهذه هي مناط التكليف و المسؤلية .

---

(١) . الجامع الأحكام . لقرطبي ، ١٠ / ٢٩٤ .

(٢) . سورة الحجرات . آية ٧ .

(٣) . تفسيرالقرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص :١٧٤٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

أنواع المسؤلية وأهدافها

المبحث الأول : أنواع المسؤلية

المبحث الثاني : أهداف المسؤلية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول : أنواع المسؤلية :

وبعد أن عرفنا المسؤلية لغةً و اصطلاحاً ، وبعد أن عرفنا أهم خصائصها وبعد أن وقفنا على شروط المسؤلية ومناطها يمكننا الآن التعرف على أنواع المسؤلية وأهدافها . ويمكن إجمال هذه الأنواع المسؤلية في المجالات الثلاثة وهي :

١. المسؤلية تجاه الخالق .

٢. المسؤلية تجاه الاسرة .

٣. المسؤلية تجاه المجتمع .

١. المسؤلية تجاه الخالق :

إن الله عزوجل لا تنفعه عبادة العابدين ، ولا يضره صدود المعرضين والكافرين ، ولا يزيد في ملكه حمدالحامدين ، ولاينقصه جحود الجاحدين ، ولو كانوا على أفجر قلب واحد ما نقص ذلك من ملكه شيئا ولوكانوا كلهم على أتقى قلب رجل واحد لم يزد ذلك في ملكه شيئا ، و لم يبلغوا ضره فيضروه ، و لم يبلغوا نفعه فينفعوه ، فهو الغني والكل فقراء إليه ، هو الغني عن الوسطاء والحجاب والأنداد . كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١) .

فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات ، وهو الغني عنهم بالذات ، هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له ، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه .

إذاً علاقة الإنسان مع ربه أسمى العلاقات وميدان المسؤلية فيها أقدس الميادين وذلك ؛ لأنها علاقة العبد مع ربه ، والمخلوق مع خالقه . وتشمل المسؤلية في هذا الجانب إلى ناحيتين : جانب الاعتقاد وجانب السلوك .

أما المسؤلية في جانب الاعتقاد : فتشمل في المحافظة على أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " وفي المحافظة على ما يتعلق بهذه الأركان من مسائل فرعية عقدية .

---

(١) . سورة فاطر . آية ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما المسؤلية في جانب السلوك : فتشمل في المحافظة على أركان الإسلام الخمسة ، وما يلحق بها من عبادات فرعية .

وفيما يلي أذكرهذين الجانبين بنوع من التفصيل :

١. جانب الاعتقاد :

تعريف العقيدة :

مأخوذ من العقد بمعنى الربط ، والتوثق ، والإثبات ، ومنه اليقين والجزم . وتطلق كذلك على الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده . (١) ، ويمكن أن نقول بأن هذه المعانى تدور في جملتها على معانى الشدة والقوة والثبات والصلابة والوثوق . وفي ذلك يقول ابن فارس (٢) : " العين والقاف والدال " أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق ، وإليه ترجع فروع الباب كلها . (٣)

و لم ترد كلمة العقيدة في القرآن الكريم ولا في السنة ولا في أمهات المعاجم ولا في الصدر الأول وإنما وردت مادتها في صيغ مختلفة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ (٦) ، وغير ذلك . وكلها تدور حول معنى التوثيق والربط والالتزام .

والعقيدة في الدين : ما يُقْصَدُ به الاعتقاد دون العمل ؛ كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل (٧) ، والجمع : عقائد . وخلاصته : ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازماً به فهو عقيدة سواءً كانت حقاً ، أو باطلاً .

وفي الإصطلاح : هي الأمور التي يجب أن يصدِّق بها القلب ، وتطمئن إليها النفس ؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك . وسميت العقيدة عقيدة ؛ لأن الإنسان يعقد عليه قلبه

والعقيدة الإسلامية : هي الإيمان الجازم بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وسائر ما ثبت من أُمور الغيب ، وأُصول الدين ، وما أجمع عليه السلف الصالح ، والتسليم التام لله تعالى في الأمر ، والحكم ، والطاعة ، والاتباع لرسوله ﷺ .

---

(١) . المعجم الوسيط ، قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وغيره ، ص : ٦١٤ . مجمع اللغة العربية .

(٢) . هو الشيخ أبوالحسين أحمد بن فارس بن ذكريا الرازي اختلف الرواة في نسبه وموطنه وتاريخ ولادته , كان اديبا ونحويا على طريقة الكوفيين وله مؤلفات كثيرة منها: المجمل في اللغة , فقه اللغة , اختلاف النحويين , توفي سنة ٣٩٥ هـ انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي ٣٥٢/١.

(٣) . معجم مقايس اللغة لابن فارس . بتحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون . ص :٨٦ / ٤ ، ط : دارالجيل بيروت لبنان .

(٤) . سورة النساء . آية ٣٣.

(٥) . سورة البقرة . آية ٢٣٥ .

(٦) . سورة طـه . آية ٢٧ .

(٧) . المعجم الوسيط ، ص : ٦١٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهمية العقيدة :

ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة ، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢)

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد دلّ كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين ﷺ على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز ، وبعث الله بها رسوله محمداً ﷺ ، ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب ، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ . وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرةٌ جداً ، فمن ذلك قول الله سبحانه : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (٣) ، وقوله سبحانه : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (٤) ، وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٥) ، وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ . (٦)

وأما الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول فكثيرةٌ جداً ، منها الحديث المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٧) أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، فقال له : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ..." . (٨)

---

(١) . سورة المائدة . آية ٥ .
(٢) . سورة الزمر . آية ٦٥.
(٣) . سورة البقرة . آية ١٧٧.
(٤) . سورة البقرة . آية ٢٨٥.
(٥) . سورة النساء . آية ١٣٦.
(٦) . سورة الحج . آية ٧٠.
(٧) . هوأميرالمؤمنين عمربن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أحفص الفاروق كان إسلامه فتحا عظيما للمسلمين وهو أحد العشرة المبشرين باللجنة وأول من لقب بأمير المؤمنين ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وتوفي سنة ٢٣هـ انظر: الاصابة لابن الحجر العسقلاني ٥١٨/٢-٥١٩ وأسد الغابة لابن الأثير ١٤٥/٤-١٨١.
(٨) . صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم : ١ ، ص : ٢٥ ، ط : الثانية ٢٠٠٠م ، دارالسلام للنشروالتوزيع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه تعالى ، وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

أركان العقيدة :

أولاً : الإيمان بالله :

ومن الإيمان بالله سبحانه ، الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه والتحذير مما يضاده ، كما قال سبحانه :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٤) . وقال ﷻ : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ . (٥)

وحقيقة هذه العبادة : هي إفراد الله سبحانه بجميع ما يعبد العباد به من دعاءٍ ، وخوفٍ، ورجاءٍ ، وصلاةٍ ، وصومٍ ، وذبحٍ، ونذرٍ ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، على وجه الخضوع له والرغبة ، والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته ، وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم ، كقوله سبحانه : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (٦) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾ (٧) ، وقوله ﷻ : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

---

(١) . سورة الذاريات . آية ٥٦،٥٧ .
(٢) . سورة البقرة . آية ٢٢.
(٣) . سورة النحل . آية ٣٦.
(٤) . سورة الأنبياء . آية ٢٥.
(٥) . سورة هود . آية ١، ٢.
(٦) . سورة الزمر . آية ٢ ، ٣.
(٧) . سورة الإسراء . آية ٢٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) ، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : " حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " . (٢)

ومن الإيمان بالله أيضا الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر ، وأهم هذه الأركان وأعظمها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن معناها : لا معبود بحق إلا الله ، فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك ، فكله معبود بالباطل ، والمعبود بالحق هو الله وحده ، كما قال سبحانه :﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (٣) . وقد سبق بيان أن الله سبحانه خلق الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به ، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه ، فتأمل ذلك جيداً وتدبره كثيراً ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل حتى عبدوا مع الله غيره ، وصرفوا خالص حقه لسواه .

ومن الإيمان بالله سبحانه ، الإيمان بأنه خالق العالم ومدبر شؤنهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كمايشاء سبحانه وأنه مالك الدنيا والآخرة ورب العالمين جميعا لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (٥)

ومن الإيمان بالله أيضا : الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف ، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله ﷻ يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته ، كما قال تعالى:

---

(١) . سورة الزمر . آية ١٤.

(٢) . صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، حديث رقم : ٤٩ ص : ٣٦ ، المرجع السابق .

(٣) . سورة الحج . آية ٦٢.

(٤) . سورة الزمر . آية ٦٢.

(٥) . سورة الأعراف . آية ٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

ثانيا: الإيمان بالملائكة :

وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم : ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ✉ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٣) ، وهم أصناف كثيرة منهم الموكلون بحمل العرش ، ومنهم خزنة الجنة والنار ، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد ، ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم، كجبريل وميكائيل ومالك (خازن النار) وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور ، وقد جاء ذكرهم في أحاديث صحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ". (٤)

ثالثاً : الإيمان بالكتب :

يجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه أنزل كتباً على أنبيائه ورسله ، لبيان حقه والدعوة إليه ، كما قال تعالي : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (٦) .

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور (وأنها تمت تحريفها ثم نسخت بمجيء القرآن الكريم) والقرآن ، والقرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه، وتحكيمه مع ما صحت به السنّة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمداً ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين ، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم ، وجعله شفاءً لما في الصدور ، وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمةً للمؤمنين ، كما قال تعالي : ﴿ وَهَذَا

---

(١) . سورة الأعراف . آية ١١.
(٢) . سورة النحل . آية ٧٤.
(٣) . سورة الأنبياء . آية ٢٧، ٢٨.
(٤) . صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة ، حديث رقم : ٦٠ ، ص : ١٢٩٥ ، المرجع السابق .
(٥). سورة الحديد . آية ٢٥.
(٦) . سورة البقرة . آية ٢١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

رابعاً: الإيمان بالرسل :

وهكذا الرسل يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلاً منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق ، فمن أجابهم فاز بالسعادة ، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة ، وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٦) . ومن سمّى الله منهم أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته آمنا به على سبيل التفصيل والتعيين ، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم صلى الله وسلم عليهم وعلى آلهم وأتباعهم .

الإيمان باليوم الآخر : خامساً :

وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه ، وما يكون يوم القيامة من الأهوال، والشدائد ، والصراط ، والميزان ، والحساب ، والجزاء ، ونشر الصحف بين الناس ، فآخذ كتابه بيمينه ، وآخذ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره ، ويدخل في ذلك أيضا الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ ، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم ، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنَّة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بيّنه الله ورسوله ﷺ .

---

(١) . سورة الأنعام .آية ١٥٥.
(٢) . سورة النحل . آية ٨٩.
(٣) . سورة الأعراف . آية ١٥٨.
(٤) . سورة النحل . آية ٣٦.
(٥) . سورة النساء .آية ١٦٥.
(٦) . سورة الأحزاب . آية ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سادساً : الإيمان بالقدر:

وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة :

أولها : أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون ، وعلم أحوال عباده ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) وقال ﷻ : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ . (٢)

ثانيها : الأيمان بكل ما قدره وقضاه كما قال سبحانه: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ . (٥)

ثالثها: الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٦) وقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٧) وقال سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (٨)

رابعها : الأيمان بخلقه سبحانه حيث لا خالق غيره ولا رب سواه ، كما قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٩) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (١٠) . فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة .

٢. جانب السلوك :

إن من أهم آثار الإيمان القلبي ، والتصديق اليقيني بوحدانية الله تعالى ووجوده ، أن ينعكس ذلك على سلوك الفرد ونتاج عمله .

---

(١) . سورة البقرة . آية ٢٩.
(٢) . سورة الطلاق . آية ١٢.
(٣) . سورة ق . آية ٤.
(٤) . سورة يس . آية ١٢.
(٥) . سورة الحج . آية ٧٠.
(٦) . سورة الحج . آية ١٨.
(٧) . سورة يس . آية ٨٢.
(٨) . سورة التكوير . آية ٢٩.
(٩) . سورة الزمر . آية ٦٢.
(١٠). سورة فاطر . آية ٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما أن الإنسان إذا إعتقد شيئا يجد في نفسه التوقان إلى تطبيق ذلك في حياته العمليه ، وبهذا التطبيق الذى هو أثرمن آثار الاعتقاد القلبي يرسخ هذا الاعتقاد حتى يغلب على مشاعر الإنسان .

فشرع الله تعالى على الناس عبادات سلوكية عملية فيها صلاح لنفوسهم ، واستقامة قلوبهم ، مما يؤدى إلى سلوك الطريق الصحيح لشكر ربهم والقيام بما يبلغهم رضا ربهم ويكسبهم سعادة الآخرة .

وفيها ايضا صلاح لأمرهم في اجتماعهم في هذه الحياة الدنيا مما يعينهم على إقامة دينهم ونشره بين الناس ، ومما يكفل لهم العيش الحسن والسعادة الاجتماعية في هذه الدنيا .

فشرع الله تعالى الصلاة سلوكا عمليا معبرا عن صدق الاعتقاد ، والزكاة سلوكا عمليا لإصلاح الوضع الاجتماعى والاقتصادى والصوم لتربية النفس البشرية ، والحج مؤتمرا جعلها لصلاح حال المسلمين . وجعلها الله تعالى فروضا و واجبات من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد ضل واتبع الهوى . وفيما يلي سأضرب بعض الأمثلة لهذه العبادات السلوكية بنوع من التفصيل .

أولاً : الصلاة :

الصلاة هى الركن الثانى بعد الشهادتين التين هما عنوان الإيمان القلبي ، وإلاقرار به من أركان الإسلام معبرا عن صدق الاعتقاد ، وسلوكا عمليا لمحبة الله تعالى ، يتجه الانسان الى خالقه يناجيه في خضوع وخشوع ومحبة وخوف ورجاء ، يلقي عن كاهله أدران الدنيا وحطامها ويسمو بروحه إلى عالم الخلود ، فتصفو روحه وتسمو عن أزمات هذه الدنيا فينتهي من الصلاة وكأنما اغتسل من جميع أدرانه النفسية والروحية ، فيقبل على الحياة العملية بقلب مطمئن ، ونفس منشرحة متصل بالله تعالى في كل اموره ، فتنعكس آثارها على سلوكه فى الحياة اليومية فيبتعد عن فواحش الأمور، وتستقيم سريرته وعلانيته . وصدق الله تعالى حيث قال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) . وبتلك السعادة الروحية التى يجنيها الإنسان من صلاته ، من استغفاره وطلبه ودعائه ومناجاته يبدأ عمله فى جماعته فيكون عضوا صالحا فى مجتمعه ولبنة من لبنات تقدمه وحضارته المستقيمة .

فالصلاة الحقيقية فى الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية نفسية تعينه على متاعب الحياة ومصائب الدنيا ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ . (٢)

---

(١) . سورة العنكبوت . آية ٤٥ .

(٢) . سورة البقرة . آية ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيا: الزكاة :

والزكاة هي العبادة المالية الاجتماعية معروفة إجماليا لكافة المسلمين ، فهي تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم ، فلا تجب إلا على من يملك النصاب بشروطه ، وهي طهرة للنفس والمال . يزكى بها الإنسان ماله وروحه ، ويشكر بها نعمة ربه عليه ، وفي هذا يقول القرآن ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) . ولهذا سميت " زكاة " لما توحي به هذه الكلمة من معاني الطهارة والنماء والبركة . ولهذا يطلب من المسلم أن يؤديها طيبة بها نفسه ، داعيا ربه أن يتقبلها منه قائلا : " اللهم اجعلها مغنما ، ولا تجعلها مغرما ".

ثالثا : الصوم :

وصيام رمضان وهو الفريضة السنوية الدورية معلوم لكل الأمة الإسلامية ، زمنه معلوم ، فهو شهر قمري محدود البداية والنهاية ، ووقته معلوم ، من تبين الفجر إلى غروب الشمس . ونوع الصيام معلوم ، فهو إمساك عن الأكل والشرب ، ومباشرة النساء . وآداب الصيام ومكملاته معلومة : من تعجيل الفطور وتأخير السحور ، والكف عن اللغو والرفث ، والحرص على قيام الليل ، والإكثار من الطاعات ، والإحسان إلى الناس .

رابعا : الحج :

والحج هي الشعيرة الرابعة وفريضة العمر واضحة معلومة إجمالا لجماهير المسلمين ، لا يجهل أحد فيهم ركنية هذه الفريضة للدين ، وأن مكانها مكة المكرمة. وأن الحاج لا بد له من الإحرام والطواف ببيت الله الحرام ، والسعي بين الصفا والمروة . والوقوف بعرفات ، والمبيت بمزدلفة ومنى ، ورمي الجمار والحلق أو التقصير. فهذه الفرائض الدينية ، والشعائر التعبدية ، واضحة تمام الوضوح في ذهن المسلم بتركيز وإجمال . (٢) وكتب الفروع قد تكفلت ببيان أحكام العبادات ووقت مشروعيتها وأسباب الرخص فيها ومفسداتها .

فالإنسان مسؤول عن كل هذه العبادات ، وعليه تأديتها كما أمر الله تعالى في كتابه الكريم وكما بينها رسوله ﷺ في سنته المطهرة .

والأصل في كل هذه العبادات والطاعات الإخلاص لله تعالى وحده ، لا يرد بها تعظيما من الناس ولا توقيرا ، لا رياء فيها ولا سمعة ولا مصلحة دنيوية . وهو في إخلاصه في العبادات والطاعات ، اما يفعلها خوفا من عذاب الله تعالى واما أن يفعلها تعظيما لله ومهابة ، وانقياذا وإجابة ، ولا يخطر له عرض من الأعراض ، بل يعبد الله تعالى كأنه يراه ، فقد أمر العابد أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يقدر

---

(١) . سورة التوبة ١٠٣.

(٢) . الخصائص العامة للإسلام ، لدكتور يوسف القرضاوي . ص :١٩١، ١٩٢، ط : ٧، ١٩٨٩م ، موسسة الرسالة، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على تقدير نظره إلى الله فليقدر أن الله ينظر إليه ومطلع عليه فإن ذلك يحمله على الاستحياء والخوف والمهابة منه . والمقصود أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولا يقبل من العمل والكلام إلا الطيب (١)

وفي النهاية أقول بالاختصار تتلخص المسؤلية في جانب العلاقة مع الله تعالى في تحقيق أمرين هما :

١. إخلاص الإعتقاد والعبادة له سبحانه وتعالى ، وأن لا يشرك معه فيها أحد .

٢. صحة أدائهما على الوجه الذى شرعه الله وتعالى ورسوله ﷺ .

(١) . أنظر العقيدة الصيحيحة وما يضادها ، لشيخ عبدالله بن باز ، ط : دارابن رجب للنشروالتوزيع .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. المسؤلية تجاه الأسرة :

اهتم القرآن الكريم بالأسرة اهتماما بالغا ؛ وذلك لأنها أساس بناء المجتمع ، لأن من مجموعها يتكون المجتمع فهي بالنسبة له كالخلية لبدن الإنسان ، ويترتب على ذلك أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع ولهذا اعتنى النظام الاجتماعي الإسلامي بالأسرة عناية كبيرة تظهر في الأحكام الكثيرة بشأنها ، وأكثر هذه الأحكام وردت بها آيات في القرآن الكريم يتعبد المسلمون بتلاوتها في صلاتهم وفي خارج صلاتهم ، فضلا عن الأحاديث النبوية الكريمة الواردة في هذا المجال (١) وأول العلاقات تتكون بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البيت ، ثم تتطور تلك العلاقات إلى التعامل مع الاقارب والجيران ، ثم مع المجتمع كله وذلك خارج البيت .

فالمسؤلية داخل البيت تتكون من :

١.المسؤلية تجاه الوالدين .

٢. المسؤلية تجاه الزوجة .

٣. مسؤلية الزوجة تجاه الزوج .

٤. المسؤلية تجاه الأبناء .

أولاً: المسؤلية تجاه الوالدين :

لقد حرض القرآن على برالوالدين والإحسان إليهما والطاعة لهما في أماكن كثيرة . قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ . (٢)

يبدأ البيان بالأمر الملزم والحكم الصادر من الله تعالى بتوحيده وإفراده بالعبادة فقال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ أي أمر وألزم وأوجب ، وقيل أوصى . (٣) ، فهو أمر بتوحيد الله والإخلاص له في صورة قضاء ، فتوحيد الله والاخلاص له هو القاعدة في كل المعاملات الجارية بين بني آدم ، والقاعدة في كل التكاليف الفردية والاجتماعية ، فبعد أن وضعت القاعدة ، وأقيم الأساس جاء التفصيل في أول مكان تبدأ فيه المسؤلية فقال تعالى :﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . فبدأ الكلام عن جوانب المعاملة الإسلامية بالأسرة وخص منها الوالدين ؛ وذلك لأنهما سبب في مجئ الفرد إلى هذه الدنيا ، فهم أولى الناس بالبر والإحسان إليهما .

---

(١) . أصول الدعوة . تأليف : د/ عبدالكريم زيدان ، ص : ١١٢ ، ط : الثالثة ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

(٢) . سورة الإسراء . آية ٢٣ .

(٣) . أنظر الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبى ، ١٠/ ٢٣٧ ، ط : دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٩٨٥م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول أبو حيان : " ومناسبة اقتران بر الوالدين بإفراد الله بالعبادة من حيث أنه تعالى هو الموجد حقيقة ، والوالدان واسطة في إنشائه وهو تعالى المنعم بإيجاده ورزقه فهما ساعيان في مصالحه " (١) ، فهما أولى الناس بالبر والإحسان .

فعلى الفرد أن يتحرى في بره لوالديه ، حتى ما يختلج في نفسه يجب أن يكون نقيا تجاههما لأن ما انطوت عليه النفس يظهر في سلوك الفرد ولو قصد ، فمن تمام برهما أن يكون نابعا من النفس حبا وكرامة وعرفانا . فهو أيضا من طاعة الله عزوجل حيث قرن برهما بطاعته وإفراده بالعبادة فهو سبحانه أعلم بما انطوت عليه الضمائر من قصد عبادة الله والبر بالوالدين .

فمن حق الآباء على الأبناء ما يلي :

١. طاعتهما في غير معصية والإنفاق عليهما .

٣. خدمتهما وإحسان صحبتهما حتى يبلغ في ذلك رضاهما ولو كانا مشركين .

٤. أن لا يرفع صوته فوق صوتهما ، ولا يجهر لهما بالكلام ولا يفعل أي شيئ يؤذيهما ، وأن يحترمهما . (٢)

والنصوص في بر الوالدين ولاسيما الأم كثيرة وكلها تدعو الى الإحسان اليهما وإكرامهما والقيام بحقوقهما ورعاية شيخوختهما . اذاً فالمسؤلية تجاه الوالدين عظيمة ، وحقهما كبير ، ولقد حكم على العاق المسيء إلى والديه بأنه مرتكب الكبيرة من أكبر الكبائر ، كما جاء في الحديث ، قال النبي ﷺ " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر"، ثلاثا قالوا بلى يا رسول الله قال " الإشراك بالله وعقوق الوالدين .." (٣)

فالتبعة تجاه الوالدين كبيرة وعظيمة ، فالله الله في بر الوالدين وطاعتهما ، فهما باب الجنة ، وهما السبيل إلى دخولها فياحسرتا على من أدرك والديه أو أحدهما و لم يدخلاه الجنة ببرهما والإحسان إليهما .

ثانياُ : المسؤلية تجاه الزوجة :

أحاط الاسلام العلاقة الزوجية برباط مقدس ، حفظ فيها حقوق الزوجة وحقوق الزوج و بين أن العلاقة الزوجية ليست علاقة شهوانية يقضى كل منها وطره ويشبع غريزته ، بل ارتقى بها في مدارج الفضيلة ، وجعل الأساس في اجتماع الزوجين والعشرة الزوجية المودة والرحمة والألفة . قال تعالى :

---

(١) . البحر المحيط ، لأبي حيان ، ٦ / ٢٦ ، ط : الثانية ١٩٨٣م ، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع .
(٢) . المجتمع المتكافل في الاسلام ، لدكتور عبدالله الخياط ، ص : ١٥٢، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٢م ، بيروت .
(٣) . صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، حديث رقم : ٢٦٥٤ ، ص : ٤٣٠ ، ط : الثانية ١٩٩٩ م ، دار السلام للنشر والتوزيع . الرياض .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)

فعلى الزوج أن يستوصى بزوجته وأهله خيرا ، فقد قال النبي ﷺ : " ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم " (٢) وقال ﷺ : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا " (٣) . فمسؤلية الزوج نحو زوجته نلخصها فيما يلي :

١. أن من أول مسؤليات الزوج على زوجته حسن الخلق معها وحسن المعاشرة لها واحتمال أذاها لقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . (٤)

٢. المسكن الشرعى بحسب حالة الزوج المادية ، يجب أن يكون مجهزا بما تحتاجه الزوجة لقوله تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ . (٥)

٣. النفقة عليها لقوله تعالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ . (٦)

٦. وأن يقوم بحمايتها وحفظ عفافها ، ذلك بأن يمنعها من التبرج والاختلاط بالرجال الأجانب ، ويلزمها بالحجاب الشرعى الذي يسترها من أنظار الفسقة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٧) وقال ﷺ " لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم " ، وغير ذلك من الحقوق . (٨)

وقد كان من أخلاق النبي ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ، ويتطلف بهم ويوسعهم نفقته، ويضاحك نسائه ، ويسامر أهله قبل أن ينام ، وقد قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٩)

وأحكام عشرة النساء والواجبات نحوهن وما يتعلق بتفصيل ذلك مبسوط في كتب السنة والفروع .

---

(١) . سورة الروم . آية ٢١ .
(٢) . سنن الترمذى ، في الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، حديث رقم :١١٦٣، ص : ٢٨٢ ، ط : الأولى ١٩٩٩م ، دار السلام للنشر والتوزيع . الرياض .
(٣) . سنن الترمذى ، في الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، حديث رقم : ١١٦٢ ، ص : ٢٨٢
(٤) . سورة النساء . آية ١٩ .
(٥) . سورة الطلاق . آية ٦.
(٦) . سورة الطلاق . آية ٧.
(٧) . سورة الأحزاب . آية ٥٩ .
(٨) . صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ، رقم الحديث : ٥٢٣٣ ، ص : ٩٣٥ .
(٩) . سورة الأحزاب . آية ٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: مسؤلية الزوجة تجاه الزوج :

وإذا كان ما تقدم كله متعلقا أصالة بمسؤليات الزوج تجاه زوجته فان الزوجة كذالك عليها مسؤليات ضخمة وهامة تجاه زوجها وبيتها ومال زوجها وبنيها ، حيث يقول الرسول ﷺ : " والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها " . (١)

إن المرأة لها خصائصها ومميزاتها الجسمية والنفسية التي تنفرد بها عن الرجل ، وكذالك الرجل لم يغفله الإسلام ، بل وضع لكل منهما منهجا يسير عليه بحيث لا يخرجه عما فطره الله تعالى عليه ، وبحيث يؤدى فرائضه وواجباته كاملة كما قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ . (٢)

ولم يخرج الإسلام المرأة عن مكانها الواجب لها من التكرم ، وحفظ الحقوق ، بل جعلها مساوية للرجل ، الا ما اقتضته الحاجة بالنسبة لنوعها وحفظ لها حقوقها كاملة من غير حيف ولا ظلم عليها والمرأة مساوية للرجل في العبادات والتكاليف الشرعية الا ما رخص لها فيه الشارع الحكيم مراعاة لطبيعتها الخلقية ، نجد أن مسؤلياتها في بيتها تدور حول محور هو زوجها. ومن أهم مسؤلياتها التي يلزمها ما يلي :

١. طاعة زوجها وموافقتة وإجابة رغبته في كل ما يجب وما لا معصية فيه .

٢. المحافظة على بيتها ومال زوجها .

٣. مساعدته على البر وإعانته على الخير وعدم الجائه إلى تكلف مالا يطيق .

٤. التهيئة لزوجها بما يعفه ويدعوه الى محبتها ، وأن تقوم بخدمتة التي تصلح بها شأنه وتعينه على قيامه بواجبه تجاه نفسه وأهله والجماعة كلها فتكون قد أعانته على امر الدنيا والآخرة ولهذا يقول النبي ﷺ " إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة " . (٣)

٥ . أن تحسن من هيئتها ومنظرها لزوجها . فتدخل السرور إلى نفسه وتعصمه من الزلل الذي قد يواجهه خارج البيت .

٦. أن تطيعه فيما أمر . حتى في تطوع العبادات ونوافل الخيرات لا يحل لها ان تفعل ذلك إلا بإذن زوجها . ومن اطاعته له في أمره أن تجيبه إذا دعاها إلى الفراش . فعليها الإجابة والطاعة مهما كانت الظروف والمشاغل ما لم يكن لها عذر شرعي .

٧ . أن تحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله .

---

(١) . صحيح البخارى ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث : ٨٩٣ ، ص : ١٤٤ .
(٢) . سورة النساء . آية ٣٢.
(٣) . سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، حديث رقم : ٨٥٥ ، ص : ٢٦٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه هي المسؤلية التي يجب على المرأة المسلمة ان تلتزم بها تجاه زوجها ، ورسالة المرأة في الإسلام لا تقتصر على البيت والأسرة ، بل تتعدى إلى المجتمع من حولها فهي عضو فيه ، فيجب أن تأخذ حظها من المسؤلية فيه ، ولكن في نطاق الحشمة والحجاب والاختلاط الذي أباحه الإسلام .

رابعاً : المسؤلية تجاه الأبناء :

لقد مر بنا في العرض السابق بعض جوانب مسؤلية الأسرة التي بدأت خطوتها بفردين هما الزوج والزوجة لا بد أن يكون لتلاقيهما نتيجة وهذه النتيجة طبيعة وحتمية غالبا هي النسل الناشئ من هذا الرباط فلا بد أن تكون هناك أبوة ولا بد أن تكون بنوة ثم لا بد أن تمتد جذور الرباط الى ذوي الأرحام .

هنا نجد أن المسؤلية غير مقصورة على ما سبق ولكنها تمتد بامتداد الأسرة وتنموا بنموها. لذلك عنى الإسلام بالأسرة عناية كبيرة تلك الخلية الأولى التي يولد وينشأ فيها الأبناء . وعناية الإسلام بالأطفال لا تقل عن عنايته بالأسرة ، إن لم تكن الأسرة تابعة لهم في ذلك .

أولاً : اختيار البيئة الصالحة :

فأول ما تتجه المسؤلية نحو الأبناء أن يختار لهم البيئة الصالحة في الأسرة ، وذلك باختيار الزوجة الصالحة التقية التي ستكون معدن هؤلاء الأطفال والتي لها الحظ الأكبر في العناية بهم والإشراف على تربيتهم ، فقد قال النبي ﷺ : " تخيّروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم ". ([1])

ثانيا : وبعد اختيار البيئة الصالحة نجد أن المسؤلية نحو الاطفال تبدأ من أول يوم يتنفس فيه الوليد نسيم الحياة خارج الرحم وعما يحتاجه من مطالب وما يستتبع ذلك من الأعباء . ومن أول ما يلزم الآباء حينئذ إحاطة الطفل بسياج من التعويذ باسم الله حتى لا يقربه شيطان . وقد كان من هدى النبى ﷺ أن يؤذن للطفل في أذنه عند ولادته دفعا للشيطان . ثم يستتبع ذلك حق آخر هو العقيقة عن الولد وقد فعلها النبي صلى الله عليه ودعا اليها .

ثالثا : ثم تتجه المسؤلية إلى الرعاية التامة والتربية الحسنة ، فتبدأ من أول الأشياء تعلقا بالطفل وهو الإسم . فعلى الوالدين اختيار الاسم الحسن لابنهما ، فقد أمر الرسول ﷺ باختيار الأسماء الحسنة لهم

رابعا : وعلى الوالدين أن يشعروا أولادهم الحنان والرحمة ، كما نجد أن الشارع أمر بالعدل بين الأبناء في المعاملة.

خامساً : العناية بتربيتهم و أمرهم بكل ما هو من صالح الأمور والعبادات ، إقتضاء بقوله تعالى :

([1]) . سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، حديث رقم : ١٩٦٨ ، ص : ٢٨٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . (١)

وقال الرسول ﷺ : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ". (٢) وقال ﷺ : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع " . (٣)

ففي هذا السن وما بعده إلى سن البلوغ على الوالدين ترسيخ معنى العقيدة السليمة في نفس إبنهما وتوثيق صلته بالله . ومن أعظم ما يدل عليه ما وصى به النبي ﷺ عبدالله ابن عباس رضي الله عنه حيث قال له : " يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " . (٤)

فهذا الحديث الشريف يظهرلنا نموذجا لتعليم أبنائنا في مثل هذه المرحلة ، فإن أهم شيء فيها تثبيت العقيدة السليمة في قلوبهم .

إذاً فالمسؤلية تجاه الأبناء عظيمة وكبيرة ذات أثر كبير على الأبناء في مستقبل حياتهم فقد قال ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " (٥) . فإذا فرط فيها الأب أوالأم فلا يلومان إلا نفسيهما ، فكيف يضيعانه صغيرا ثم يرجوان بره كبيرا . (٦)

٣ . المسؤلية تجاه المجتمع :

" لقدأوضح القرآن الكريم دور الفرد في النظام الاجتماعى ، فهو لا يستطيع أن يعيش منفردا ، بل لا بد أن يكون فردا في أسرة وفرداً في أمة ، ثم فردا في المجتمع البشرى ، ثم هو العنصر الأول الذى على عاتقه مسؤلية تكوين وتشكيل الظاهرة الاجتماعية .

ودور الفرد الاجتماعى ، يتمثل في أداء الواجبات التى فرضها القرآن الكريم ، والتى لا تقل أهمية عن الحقوق التى كفلها له القرآن الكريم ، والأفراد في ذلك متساوون ، لا فرق بين رجل وامرأة " . (٧)

---

(١) . سورة التحريم . آية ٦ .
(٢) . سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث رقم : ٤٩٥ ، ص : ٨٢ .
(٣) . نفس الحديث السابق .
(٤) . سنن الترمذى ، صفة القيامة والرقائق ، باب ٥٩ ، حديث رقم : ٢٥١٦ ، ص : ٥٧٢ .
(٥) . صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، حديث رقم : ١٣٨٥ ، ص : ٢٢٢ .
(٦) . أنظر المجتمع المتكافل في الاسلام ، لدكتور عبدالله الخياط ، ص : ١٥٣. والمسؤلية الخلقية ، ص : ٢٥٥ .
(٧) . فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، تأليف : على خليل ابو العيبين ، ص : ١١٢ ط : الثانية ١٩٨٥م دار الفكر العربى .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكما تحدثنا آنفاً بأن أول العلاقات تتكون بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البيت ، ثم تتطور تلك العلاقات إلى التعامل مع الأقارب والجيران ، ثم مع المجتمع كله وذلك خارج البيت .

فالمسؤلية خارج البيت تتكون من :

١. المسؤلية تجاه الجار .

٢. المسؤلية تجاه الاقارب .

٣. المسؤلية تجاه المجتمع بأسره .

أولاً : المسؤلية تجاه الجار :

يهدف الإسلام الى تكوين المجتمع الصالح . وإن أقرب الناس بعضهم ببعض في المجتمع الواحد هم الجيران . قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ . (١)

قرن الله تعالى في هذه الآية الإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين ، بالإحسان إلى الجار ، سواء كان جارا ذا قربى في النسب أم جارا في الجنب . فهذه الآية تدل على عظم المسؤلية تجاه الجار.

فالجيران على ثلاثة أنواع :

١. جار ذو قربى : فهذا له ثلاثة حقوق : حق القرابة ، وحق الإسلام وحق الجوار .

٢. الجار الجنب المسلم غير قريب : فهذا له حقان : حق الإسلام وحق الجوار .

٣. جار على غير الإسلام : فهذا له حق واحد هو حق الجوار .

ولقد أعظم الإسلام حق الجوار ، وأكثر الوحى من الوصاية بالجار حتى ظن الرسول ﷺ أنه سيجعله وارثا . ومما يدل على هذا قوله ﷺ " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " . (٢)

بل نفى الشارع الحكيم صفة الايمان عن الشخص الذى لا يأمن جاره بغيه وظلمه وتعديه . قال النبي ﷺ " والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن " قيل من يا رسول الله ﷺ ؟ قال ﷺ " الذى لا يؤمن جاره بوائقه " (٣) وقال ﷺ أيضاً " من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره " . (٤)

---

(١) . سورة النساء . آية ٣٦ .

(٢) . صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الوصاءة بالجار ، حديث رقم : ٧٠١٥ ، ص : ١٠٥٢ .

(٣) . صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه , حديث رقم : ٦٠١٦ ، ص : ١٠٥٢ .

(٤) . صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، حديث رقم : ٥١٨٥ ، ص : ٩٢٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومما يؤكد عظم المؤاخذة على الإضرار بالجار أن الشارع جعله ذنبا عظيما يحبط الأعمال الصالحة ، ويجازي عليه بالنار ، فقد قال النبي ﷺ لأصحابه : " ما تقولون في الزنا ؟ قالوا : حرام ، حرم الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال ﷺ " لأن يزني الرجل بعشرنسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره . ثم قال النبي ﷺ : ما تقولون في السرقة ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله ، فهي حرام فقال ﷺ : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره " . (١)

وفي حديث آخر " قال رجل : يا رسول الله ﷺ ، إن فلانة تكثر من صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ : هي في النار ، قال : يا رسول الله ﷺ ، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأتوار من الأقط ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها ، قال ﷺ :هي في الجنة " . (٢)

فعلى المسلم أن يبتعد عن كل ما فيه أذى لجاره من قول أو فعل أوعمل . فحق الجار عظيم ، والمسؤلية تجاهه أعظم ، فعلى المؤمن أن يتفقد أحوال جاره وأن يصله ويتصدق عليه ، ويعينه ويكرمه وأن يحسن إليه بإرادة الخيرله ، وحسن العشرة معه ، وتفقد أحواله، ونصحه ومعاونته فيما يحتاج إليه

ثانياً : المسؤلية تجاه الأقارب :

إن المسؤلية تجاه الأقارب تتمثل في صلة الأرحام ، والتودد لهم والإحسان إليهم ، والبر بهم وتحمل إساءتهم والصفح والعفو عن مسيئهم وغير ذلك .

ومما يدل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . (٣)

ولقد أعظم الشارع من حق الرحم وصلتها ، ومما يدل على هذا قوله ﷺ : " إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى يا رب قال فهو لك " . (٤) ثم قال النبي ﷺ : " فاقرؤوا إن شئتم : " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ " . (٥)

---

(١) . رواه أحمد في مسنده عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه ص : ١٧٨٧ ، مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٤٣٥٥ ، ط : بيت الأفكار الدولية.

(٢) . رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ص : ٦٩٨ ، حديث رقم : ٩٦٧٣ .

(٣) . سورة الأنفال . آية ٧٥ .

(٤) . صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله ، حديث رقم : ٥٩٨٧ ، ص : ١٠٤٨.

(٥) . سورة محمد . آية ٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما وعن قطع الأرحام خصوصا بل وقد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال .

بل جعل الشارع صلة الرحم سبباً من أسباب سعة الرزق وطول العمر وهما من أحسن ما يتمنى المرء في هذه الحياة . ومنه قوله ﷺ : " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه " (١) وليست من صلة الرحم بأن تحسن إليهم إذا أحسنوا إليك وأن تصلهم إذا وصلوك ، بل إن صلة الرحم المشروعة هي أن تصلهم حتى ولو قطعوك وتحسن اليهم حتى ولو منعوك و لم يكافئوك . ومما يدل على هذا قوله ﷺ : " ليس الواصل بالكافئ ولكن الواصل اذا قطعت رحمه وصلها ". (٢)

بل نجد أن صلة الرحم تتعدى إلى أكثر من هذا ، وذلك أن يصلهم حتى ولو كانوا يسيئون إليه ويتعرضون لقطيعته .

وقد جاء في الحديث ان رجلا قال : يا رسول الله ﷺ أن لى قرابة ، أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ ، فقال النبي ﷺ : " لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك ". (٣)

فالأقرباء لهم حق زائد بسبب الرحم ، فهم أولى الناس بالمعروف وبذل الفضيلة قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٤) . فهذه الآية تدل بأن إنفاق المرء على الأقرباء ليس تفضلا لأحد على أحد ، وإنما هو حق فرضه الله تعالى على المكلف ، الذي من أدائه يبرئ الإنسان بذمته ، ويصل المودة بينه وبين من يعطيه .

ولعل من أظهر المسؤليات تجاه الأقرباء هي صلتهم بالعطف على محتاجهم ، والرحمة بضعيفهم ، والإحسان في معاملتهم ، وتألف قلوبهم ، وإصلاح شأنهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وغير ذلك من الحقوق .

---

(١) . صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم ، حديث رقم : ٥٩٨٦ ، ص : ١٠٤٨ .

(٢) . صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب ليس الواصل بالمكافئ ، حديث رقم : ٥٩٩١، ص :١٠٤٩.

(٣) . صحيح مسلم ، كتاب البروالصلة والأدب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، حديث رقم : ٢٢ ، ص : ١١٢٢.

(٤) . سورة الإسراء . ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً : المسؤلية تجاه المجتمع بأسره :

فالمجتمع الإسلامى بنعمة الإسلام كتلة واحدة ، وأعماله في سبيل الله تعالى وأغراضه في هذه الحياة متحدة ، فكانه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . كما جاء في الجديث عن النبي ﷺ قال : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه " . (١)

فهذا التمثيل يفيد أن المؤمن لا غنى له عن أخيه المؤمن ، كما قال النبي ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . (٢)

وفى الحديث تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم ، وملاحظة بعضهم بعضا ، وإظهار التراحم بينهم مما يؤدى إلى اجتماع كلمتهم وقوة شوكتهم ، وإظهار دينهم .

وأظهر المسؤليات التى تجب على الأفراد تجاه المجتمع في ضوء القرآن الكريم نلخصها فيما يلي :

١. **وجوب التعامل مع الآخرين بالعدل والإحسان وحسن الخلق** : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٥) وأمر النبي ﷺ لأبي ذر رضى الله عنه بقوله : " خالق الناس بخلق حسن ". (٦)

٢. **وجوب إصلاح المجتمع** :

ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤلية إصلاح المجتمع ، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه ، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) .

ومن أعظم التعاون التعاون على اصلاح المجتمع ، وإذا كان الفرد مطالباً بإصلاح المجتمع ، فمن البديهي أنه مطالب بعدم إفساده ، كماقال تعالى : ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ

---

(١) . صحيح البخارى ، كتاب المظالم ، باب نصر المظلوم ، حديث رقم : ٢٤٤٥ ، ص : ٣٩٤ .

(٢) . صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم : ٦٥ ، ص : ١١٣١ .

(٣) . سورة النحل . آية ٩٠.

(٤) . سورة المائدة . آية ٨.

(٥) . سورة الممتحنة . آية ٨.

(٦) . سنن الترمذى ، كتاب البروالصلة ، باب ما جاء في معاشرة الناس ، حديث رقم : ١٩٨٧ ، ص : ٤٦٠ .

(٧) . سورة المائدة . آية ٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) ومن القواعد الفقهية (ما حرم أخذه حرم إعطاؤه) لأن إعطاء الحرام للغير من الفساد والإفساد ، وأن المسلم إذا عجز عن الإصلاح فعلى الأقل عليه أن يمتنع من الإفساد وتكثير الفساد . (٢) كما يجب عليه الإصلاح بين أفراد المجتمع ودفع الضرر والإضرار بالآخرين في كراماتهم وحرياتهم وحقوقهم ، قال تعال : ﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .(٤) وقال النبي ﷺ :" لا ضرر ولا ضرار " (٥)

٣. وجوب التساند والتعاون :

التساند والتعاون من أوجب واجبات المسؤلية ، فهو واجب أوجبته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وهذا التعاون مسؤلية أخلاقية وجب على المسلمين لأن المجتمع الإسلامى مجتمع متكافل متراحم متماسك متكافئ . قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . (٦)

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : " هو أمر لجميع الخلق ، بالتعاون على البر والتقوى ، أي ليعين بعضكم بعضا ، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه ، وامتنعوا منه ، وهذا موافق لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : " الدال على الخير كفاعله ". (٧)

وقد مثّل النبي ﷺ ذلك بقوله : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه ". (٨)

والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه كثيرة ، فواجب العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم ، ويعينهم الغني بماله ، والشجاع بشجاعته في سبيل الله ، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة . (٩)

وفي التعاون على البر والتقوى دعم للاتحاد والتناصر والتكافل والتواد والتراحم ، وكل هذه صفات الأمة الإسلامية ، كما في التعاون على البر والتقوى وفي الأمر به تجاوب مع واجبات المسؤلية في الإسلام . (١٠)

---

(١) . سورة الأعراف . آية ٥٦.
(٢) . أنظر أصول الدعوة ، لدكتور عبد الكريم زيدان ، ص : ١٣٢ ، ط :٣، ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
(٣) . سورة الأنفال .آية ١.
(٤) . سورة الحجرات . آية ١٠.
(٥) . سنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ، حديث رقم : ٢٣٤١ ، ص : ٣٣٥ .
(٦) . سورة المائدة .آية ٢.
(٧) . سنن الترمذى ، كتاب العلم ، ماجاء الدال على الخير كفاعله ، حديث رقم : ٢٦٧٠ ، ص : ٦٠٦ .
(٨) . صحيح البخارى ، سبق تخريجه . أنظر ص: ٥٦ .
(٩) . الجامع لأحكام القرآن ، ٦/ ٤٦-٤٧ .
(١٠) . فقه المسؤلية ، ص : ١٢١ ، المرجع السابق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤.الدعوة الى الخير والأمربالمعروف والنهى عن المنكر :

ومن الآيات التي ذكرت مسؤلية الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة ، نذكرمنها قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . ([1]) وقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾ ([2]) وقوله تعالى : ﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . ([3])

فقد عرفها ابن تيمية بقوله : " يدخل في المعروف كل واجب ، وفي المنكر كل قبيح ، والقبائح هي السيئات ، وهي المحظورات كالشرك والكذب والظلم الفواحش ". ([4])

وهذه الآيات تنطق عن المسؤلية التى يجب أن يتحملها كل إنسان في نشر الحق والخير في المجتمع ، لذلك امتدح الله من قام بهذه المسؤلية من أهل الكتاب كما جاء في الآية الثالثة ، واعتبرهم من الصالحين .

ولعل لصوق هذه المسؤلية بالإنسان المكلف هو الذى جعل الذم يتوجه إلى بنى إسرائيل على تركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واستوى في ذلك الذم العلماء والعامة ، كما قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ . ([5])

إن القيام بهذه المسؤلية يدعم الفضيلة ، ويقضى على الرذيلة ، ويبني المجتمع على الخير ومدافعة الشر ، وينشئ أفراده على مكارم الأخلاق ومحاربة الفساد ، ويحيطهم بالقوة والتمكين ، ويسعدهم بالأمن من عوامل الاضطراب وأسباب الهلاك ، لقد صور النبي صلى الله عليه وسلم أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع في صورة نجاة سفينة أو أوشكت على الهلاك الحتم بسبب أخذ بعض ركابها العاملين على أيدي بعض العابثين بالحدود العامة من أجل مصلحة ذاتية ، قال النبي ﷺ : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا

([1]) . سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .
([2]) . سورة آل عمران . آية١١٠ .
([3]) . سورة آل عمران . آية ١١٤ .
([4]) . شرح العقيدة الأصفهانية ، لإبن تيمية ، بتحقيق : إبراهيم سعيداي ، ط : الأولى ، ١٤١٥ ، مكتبة الرشد ، الرياض .
([5]) . سورة المائدة . آية ٧٨-٧٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خرقنا في نصيبنا خرقا و لم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ". (١)

إن هذه الصورة توحى بأن القيام بهذا الواجب جميع أفراد المجتمع ، وأن كل مسلم مسؤل عمن حوله من أبناء المجتمع .

٥. الإخاء والمحبة :

إن الإخاء والمحبة من دعائم أساسية في المجتمع الإسلامي ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وقد أثبت التاريخ والواقع أن الإيمان من أقوى الرباط وأن لا عقيدة أقوى من الإسلام ، وهذه الأخوة الإيمانية رابطة عامة تربط المسلم بأخيه المسلم ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وأدنى مراتب هذا الإخاء سلامة الصدر من الحسد والبغضاء ، كما قال تعالى في محكم تنزيله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢). وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (٣) .

وقال النبي ﷺ" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا ". (٤) وكذلك مما يجب علينا تجاه المجتمع الوفاء بالعهود ، وأداء الأمانات ، وتنظيم العقود وكتابتها ، والادلاء بالشهادة الصادقة، والإصلاح بين المتخاصمين ، والشفاعة الحسنة ، والتراحم والإحسان واستثمار الأموال في سبيل الخير والعفو وغير ذلك من المسؤليات ، ولا يستقيم أمر المجتمع ، ولا تتسق شؤونه إلا إذا قام كل فرد من الأفراد بهذه المسؤليات تجاه المجتمع . (٥)

---

(١) . صحيح البخارى ، كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، حديث رقم : ٢٤٩٣ ، ص : ٤٠٣

(٢) . سورة الحشر . آية ١٠.

(٣) . سورة الحجرات . آية ١٢ .

(٤) . صيحح البخارى ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم : ٦٠٦٤ ، ص : ١٠٥٩ .

(٥) . أنظر موسوعة نضرة النعيم ، ص : ٣٤٠٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني : أهداف المسؤولية :

إن المسؤولية التي كلفها الله تعالى عباده ، لها أهداف عظيمة وغايات شريفة ، وأقصد بأهداف المسؤولية هنا هي الأعراض أو الغايات التي تسعى المسؤولية إلى تحقيقها والوصول إليها ، قريبة كانت أم بعيدة ، وهذه الغايات منها ما يتعلق بذات الله تعالى و منها ما يتعلق بالإنسان فرداً و جماعة . لذلك كان لزاما عليّ أن أبين هذه الأهداف في ضوء القرأن الكريم حتى تتضح الصورة أمام الجميع ونعلم جميعاً الصراط المستقيم الذى يجب علينا إتباعه ، وحتى نتحرك جميعا تجاه هذه الأهداف بقوة و فعالية ، فالإنسان عندما يسعى لتحقيق هدف محدداً ، ينشط كلما اقترب منه خطوة ، وكلما حقق جزء منه ازداد فرحاً و سروراً و تصميماً على مواصلة العمل في سبيل تحقيق باقي الأهداف .

وقد قسمت فيما يلي هذه الأهداف إلى قسمين ، الأهداف العامة والأهداف الخاصة . والآن اذكر كل من هذه الأهداف بالتفصيل .

١. الأهداف العامة :

١. تحقيق العبودية :

ويتمثل هذا الهدف العام للمسؤلية في تحقيق معنى العبودية لله تعالى ؛ انطلاقًا من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) . فالهدف الأساسي لوجود الإنسان في الكون هو عبادة الله ، والخضوع له ، وتعمير الكون ؛ بوصفه خليفة الله في أرضه .

وحقيقة العبودية هي التوحيد ، بأن يكون العمل خالصاً لله تعالى دون سواه ، فقد دعا كل رسول أمته إلى عبادة الله وحده ، واجتناب ما سواه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ . (٢)

والعبودية لله تعالى لا تقتصر على مجرد أداء شعائر ومناسك معينة : كالصلاة ، والصيام ، والحج – مثلاً – وإنما هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فالإنسان الذي يريد أن يتحقق معنى العبودية ، هو الذي يخضع لأوامره سبحانه تعالى ورضائه ، سواء ذلك يتعلق بالإعتقادات ، أو الأقوال ، أو الأفعال ؛ فهو يخضع حياته وسلوكه جميعًا لهداية الله وشرعه و يلتزم بأوامره سبحانه وتعالى ، فيأتي منها ما استطاع ، ويتزجر عن نواهيه سبحانه فلا

---

(١) . سورة الذاريات . آية ٥٦ .
(٢) . سورة النحل . آية ٣٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقربها ؛ تصديقًا لقوله ﷺ : " إذا أمرتكم بأمر فأْتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه " . (١)

فالمسلم دائمًا إذا أمره الله تعالى أو نهاه ، أو أحل له ، أو حرم عليه كان موقفه في ذلك كله : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) . وهذا هو الهدف العام الذي يسعى وراءه الإنسان من خلال تحمل المسؤليات المختلفة .

٢. مرضاة الله تعالى :

ومن أهم الأهداف المسؤلية نيل مرضاة الله تعالى ، ويتخذ المسلم في قيام المسؤليات المختلفة مرضاة الله تعالى هدفاً له مقتدياً بنبي الله سليمان عليه السلام حين دعا ربه أن ينال على عمله الصالح رضاه ، كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣) ، ويستنهض هذا الهدف في المسؤلية همة الإنسان لإتباع منهج الله في الحياة الدنيا ، والتنعم بهدايته الذين لا سبيل إليهما إلا بالتزام أمر الله ، قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . (٤)

وينال المسلم بتحقيق هذا الهدف في عمله الأجر العظيم الذي هو دليل على أنه مقياس في خيرية الأعمال ، قال تعالى : ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . (٥)

ويحصل به العامل على درجة عالية عند الله تعالى ، لا يصل إليها من باء بسخطه سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ . (٦)

وهكذا يسهم هذا الهدف في توحيد غاية الناس في أعمالهم وحملهم على اتباع شرعه سبحانه وتعالى ، ويؤهله للجزاء الأوفى في الآخرة ، و إذا جعل الإنسان نيل مرضاة الله هدفاً له في الحياة فقد نال بغاية

---

(١) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، رقم الحديث : ٧٢٨٨ ص : ١٢٥٣ .
(٢) . سورة البقرة . آية ٢٨٥ .
(٣) . سورة النمل . آية ١٩ .
(٤) . سورة المائدة , آية ١٥ ، ١٦ .
(٥) . سورة النساء . آية ١١٤ .
(٦) . سورة آل عمران . آية ١٦٢ ، ١٦٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سامية تمكنه من الإرتقاء ما لا نهاية ، فيبقى رضا الله تعالى وحده الهدف الأعلى المعتبر في المسؤلية عن أي عمل يفعله الإنسان ، لأن الله تعالى عاب المنافقين مجانبتهم لهذا الهدف ، فقال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ . (١)

٣. السعادة :

السعادة مقصد الإنسان في عمله ، وهدف له في تحمل المسؤليات المختلفة . والسعادة في القرآن كما دلت عليها آيات كثيرة لا تتحقق إلا بالإيمان الصحيح والعمل الصالح ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ . (٢) ويدخل في الإيمان بالله تعالى كل ما يتعلق بالمسؤلية الإعتقادية ، ويدخل في العمل الصالح كل ما يتعلق بالمسؤلية السلوكية والأسرية والإجتماعية كما ذكرنا سابقا .

والمؤمن الذي يحقق بعمله الصالح سعادتي الدنيا والآخرة يبقى هدفه الأساسى هي السعادة الأخروية ، لأن سعادة الدنيا محدودة وقليلة ، وسعادة الآخرة دائمة ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ . (٣)

ثم إن سعادة الآخرة هي غاية قصوى من تحمل المسؤلية في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤) ، قال القرطبي : " الذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين نعم الدنيا والآخرة " (٥) . وكان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ " اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " (٦) ، إلى غير ذلك من نصوص القرآن والسنة .

والطريق إلى السعادة يتطلب الإلتزم بعقائد الإسلام الصحيحة وأحكامه وتحمل المسؤلية سواء هي متعلقة بجانب الإعتقاد ، أو بجانب السلوك من الصلاة والصوم والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، أو سواء متعلقة بأداء حقوق الأسرة والمجتمع كما ذكرنا في أنواع المسؤلية . وهذه هي الأسباب الرئيسية لنيل السعادة .

---

(١) . سورة التوبة . آية ٦٢ ، ٦٣ .
(٢) . سورة النحل . آية ٩٧ .
(٣) . سورة النساء . آية ٧٧ .
(٤) . سورة البقرة . آية ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٥) . الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٢ / ٤٣٢ ، ط : دارإحياءالتراث ، بيروت . ١٩٨٥م – ١٤٠٥ه .
(٦) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، رقم الحديث : ٢٦ ، ص : ١١٧١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأدلة من القرآن والسنة تؤيد هذه الحقيقة بصورة واضحة . كما قال تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) ، وكان الرسول ﷺ يجد راحته ولذته في الصلاة والطاعة ، كان يقول : " أقم الصلاة يا بلال ، أرحنا بالصلاة " . (٢)

و كما قال ابن القيم : (٣) : " أنه امتثال لأمرالله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه وأخرته أنفع من إمتثال أومر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بإمتثال أومراه وما شقى في الدنيا والاخرة إلا بتضييع أوامره " . (٤)

٤. هيمنة المعروف :

يعد هذا الهدف من أهم أهداف المسؤلية ، إذ تتعلق به حياة الإنسان وآخرته ، وتتوقف عليه سعادة الفرد والمجتمع . والإسلام يتجه في تشريعاته كلها إلى ما يصلح الجماعة ويسعدها ، ويكلف أتباعه بأحكام تربي قلوبهم وترشد عقولهم ، لذا فإن المتأمل في أركان الإسلام التعبدية يجدها قاصدة هذه الغاية .

فالصلاة عبادة تهذب النفوس ، وتربي روح المساواة والأخوة بين المسلمين ، وتنهي عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ . (٥)

والزكاة فريضة تغرس في نفوس أفراد المجتمع مشاعر العطف والحنان ، وتقيم علاقاتهم على التعاون بينهم ، وتعمل على كفاية محتاجهم ، وتجرد نفوسهم من الشح والبخل كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . (٦)

---

(١) . سورة المائدة . آية ٦٩ .

(٢) . أخرجه أبوداؤد في سننه ، في كتات الأدب ، باب في صلاة العتمة ، رقم الحديث : ٤٩٨٧ ، ص : ٧٠٢ .

(٣) . هو الإمام شمس الدين أبوعبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الفقيه الحنبلي الشهير بابن القيم الجوزية ولد عام ٦٩١ هـ كان بارعا في عدة علوم ما تفسير وفقه وعربية وحديث وله مؤلفات كثيرة منها : مدارج السالكين , زاد المعاد في هدي خير العباد, إعلام الموقعين عن رب العالمين , توفي عام ٧٥١ هـ انظر : النجوم الزاهرة١٠ ٢٤٩/ وشذرات الذهب ١٦٨/٦.

(٤) . كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لإبن القيم ، تقديم : الدكتورمحمد جميل غازى ، فصل : دواء اللواط ، ص : ٢١٩ ، ط : الثانية . مطبعة المدني ، بمصر .

(٥) . سورة العنكبوت . آية ٤٥.

(٦) . سورة البقرة . آية ٢٦٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصوم عبادة تسمو بروح المسلم ، وتزيده إيمانا ، وتملأ قلبه رحمة ومواساة على من دونه من المحتاجين ، والحج عبادة تحقق مظهر الأخوة والوحدة والاجتماع على الخير ، وهكذا كل العبادات تسهم في تحقق هذه الغاية .

وتجري المسؤلية في استهداف هيمنة المعروف في المجتمع ، وفشو الفضيلة فيه ، بإلزام الناس بقيام المسؤليات المختلفة مثل الأمر بالمعروف ، والدعوة إلى الفضيلة ، وإصلاح المجتمع بأداء حقوقه كالصدق والبر والعدل والتواضع والرحمة والوفاء والعفة وصلة الرحم ورعاية الجار وإصلاح ذات البين ، وغيرذلك من الحقوق ، كما قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . (٣)

كما تستهدف المسؤلية لهيمنة المعروف ، إقامة الروابط الإجتماعية بين أفراد المجتمع على العدل والمودة والرحمة ، لذلك جاء التشريع ناهياً عن كل ما يؤدي إلى تقطيع الروابط مثل سخرية ، وتنابز بالألقاب ، وسوء ظن ، وتجسس وغيبة وتنازع وتباغض وتحاسد وتدابر وغيرها من الأسباب ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . (٤)

إن جميع المسؤليات ذات الصفة الإجتماعية من محبة الآخرين والإحسان إليهم ومناصرة المظلوم وحماية الضعفاء ورعاية مصالحهم والسعى إلى طهارة المجتمع من الفساد ، مستهدف فيها تحقيق التعاون على البر ، كما قال تعالى ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ . (٥)

---

(١) . سورة آل عمران . آية ١٠٤ .
(٢) . سورة الحجرات . آية ١٠ .
(٣) . سورة الحج . آية ٧٧ .
(٤) . سورة الحجرات . آية ١١ .
(٥) . سورة النساء . آية ٣٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. النجاة من العقات الالهي :

لقد جرت سنة الله عز وجل في عباده أن يعاملهم بحسب أعمالهم ، فإذا اتقى الناس ربهم عز وجل ، أنزل الله عز وجل عليهم البركات من السماء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ . (١)

وإذا تمردوا عن أمر ربهم ، وأهملوا مسؤلياتهم ، أتاهم العذاب كما قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ . (٢)

والقرآن الكريم ، حين يعرض لنا مآل تلك القرى الظالمة ، ويقرر أنّ ما أصابهم ، هو بسبب ما اقترفته أيديهم ، من التمرد والجحود ، وعدم تحمل المسؤلية ، حين يعرض القرآن ذلك كله ، فهو إنما يخاطبنا نحن الحاضرين ، و يحذرنا بأن لا نقع في ذات الخطأ ، الذي وقعوا فيه ، حتى لا نتعرض لعذاب الله الشديد .

فقيام الأفراد بمسؤلياتهم ، ينجيهم وينجي المجتمع من الهلاك الجماعي . لذا نرى أن المجتمع الذي يشيع فيه المنكر ، وتنتهك فيه حرمات الله ، وينتشر فيه الفساد ، ولا يقوم فيه أحد بمسؤليته ، فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ ، تعم الجميع ، وتصيب الصالح والطالح ، وهذه السنة تدفع مباشرة من كان عنده علم أو فقه إلى المسارعة فوراً لتحمل مسؤلية إنكار المنكر دفعاً للعذاب و العقاب عن نفسه وعن مجتمعه ، كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . (٣) قال القرطبي : المقصود من الآية ، واتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح . (٤)

وقال ابن كثير : يحذر الله تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختباراً ومحنة يعم بها المسيئ وغيره لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمها . (٥)

وهذه هي الأهداف العامة التي يدعوا إليها القرآن الكريم المؤمن ، ويأمره إلى الترفع في سيره إلى مستوى هذه الأهداف ، وعلى المؤمن أن يتحرك في مجالات حياتة المختلفة حريصاً على تحقيقها ، مهما كلف من جهد ، شاعراً بعظم المسؤلية .

---

(١) . سورة الأعراف .آية ٩٦ .
(٢) . سورة النحل . آية ١١٢.
(٣) . سورة الأنفال .آية ٢٥ .
(٤) . الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٧ / ٣٩٣ .
(٥) . تفسر القرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص: ٨٣١ ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ، دارابن حزم ، بيروت .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. الأهداف الخاصة :

١. بناء الإنسان الصالح :

إن من أهم أهداف المسؤلية الخاصة هو بناء الإنسان الصالح ، والإنسان الصالح هو المسلم الصالح ، والمؤمن التقي ، وإذا استقرأنا نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة في هذا الصدد ، تحصل لنا مواصفات هذا الإنسان وأنه العليم بالله ، الخائف من ربه ، العارف بمسؤلياته ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) . فالذين وصفتهم هذه الآيات هم المؤمنون الذين أنزلت الشريعة من أجل بنائهم وإنشائهم ، وأرسل الرسول من أجل تربيتهم وتزكيتهم ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . (٣)

وللوصول إلى الكمال الإنساني ، وتكوين الإنسان الصالح تفتح المسؤلية للإنسان ميادين مختلفة ، وكل ذلك لأن يشغل الإنسان الطاقة في البر ، ولأن يصل إلى منتهى الكمال المقدر له . ففرضت للقيام بحق الله تعالى عبادات مختلفة على كل مكلف كالصلوات الخمس في اليوم والليلة ، وصيام شهر في العام ، وزكاة واجبة للأموال ، وحج واحد في العمر ، كما فرضت في التعامل وجوب رد الجميل ، ومقابلة الإحسان بالإحسان ، و معاملة الناس على النحو الذي يحب الإنسان أن يعامل به هو . وكل ذلك لتحقيق الهدف والغاية التي نحن بصددها ، الإنسان الصالح . ولا يكون هذا الفرد صالحاً إلا إذا اتصف بما يأتي :

١ – صدق الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسالاته وتكريس النفس لعبادته وتوحيده عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) . وقوله جل وعلا : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥) . وهذه التنشئة العقدية الصحيحة تعين أبناء المجتمع المسلم ؛ لإعداد الإنسان الصالح الذي يعبد الله تعالى على هدى وبصيرة .

٢ – صدق الإنتماء إلى أمة الإسلام الذي يحمل الفرد على الإعتزاز بهذه التسمية والجهر بها، والعمل

---

(١) . سورة الحج . آية ٣٥ .
(٢) . سورة الأنفال . آية ٢ .
(٣) . سورة الجمعة . آية ٢ .
(٤) . سورة الأنعام . آية ١٦٢ .
(٥) . سورة الذاريات .آية ٥٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والجهاد لتكون أمته أعز الأمم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ([1])

٣- صدق الموالاة في الله والمعاداة فيه بأن يكون المسلم أخاً للمسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، ولا يسلمه . عملاً بقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾ . ([2])

٤ – أن يتخلق الفرد في المجتمع المسلم بالأخلاق الحميدة مقتديًا في ذلك برسول الله ﷺ، الذي شهد له ربه سبحانه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . ([3])

٥ – الشعور بالانتماء إلى مجتمعه ؛ فيهتم بقضاياه وهمومه ، ويرتبط بإخوانه ؛ عملاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ([4]) ، وقوله ﷺ : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا " ([5]) ، وقوله ﷺ : " ترى المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . ([6])

٢. بناء الأسرة الصالحة :

وتستهدف المسؤلية بعد بناء الإنسان الصالح ببناء الأسرة الصالحة . لتحقيق هذه الغاية جاءت أحكام وتشريعات حاسمة لا يجوز التفريط فيها ، بل إن في التفريط فيها اختلالاً في حياة الأسرة والمجتمع كله ، قال تعالى : ﴿ يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ . ([7])

ولهذا نجد في القرآن الكريم سورا تكثر فيها أحكام الأسرة وآدابها ، كما في سورة البقرة ، والنساء ، والنور، والأحزاب ، والمجادلة ، والطلاق ، وغيرها من السور التي يذكر فيها شيء ما مما يتعلق بالأسرة ، من ذكر أب ، وأم ، وأخ ، وزوج ، وامرأة وغير ذلك . وفي العناية الربانية بنظام الأسرة في سور شتى من القرآن العظيم ، الدلالة الواضحة على أن الأسرة في الإسلام ، هي أصل المجتمع الإسلامي وجذره ، وأنه لا يقوم هذا المجتمع بدونها .

وتستهدف المسؤولية الأسرية لبناء الأسرة الصالحة على الدعائم الآتية :

([1]) . سورة المنافقون .آية ٨ .
([2]) . سورة التوبة . آية ٧١ .
([3]) . سورة القلم . آية ٤ .
([4]) . سورة الحجرات . آية ١٠ .
([5]) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، رقم الحديث : ٤٨١ ص : ٨٣ .
([6]) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم الحديث : ٦٠١١ ، ص : ١٠٥١
([7]) . سورة التحريم . آية ٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١. حسن العشرة بين الزوجين ، وتبادل الحقوق والواجبات بين الزوجين بالمعروف ، كما قال تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١) ، والقيام بالواجبات وأداء الحقوق والتعاهد على التربية.

٢. تكليف الزوج القوامة والإشراف والمسؤلية عن الأسرة : قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ . (٢)

٤. تكليف الزوجة الإشراف والمسؤلية عن البيت من الداخل : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتها ، والإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته " . (٣)

٥. وجوب رعاية الأولاد من الأبوين ، بأن يبني الأبوان شخصية أبنائهم على أساس العقيدة الصحيحة والإعتزاز بمبادئهم و تراث أمتهم ، محاطين بالإيمان والهدى والخير والفضيلة ، أقوياء في مواجهة المؤثرات المحيطة بهم ، لا ينهزمون أمام الباطل ، ولا يضعفون أمام التيارات الفكرية الزائفة . قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . (٤)

هذا هوالهدف الثاني من المسؤلية لكي لا تفسد بنية الأسرة ، ويتخلخل بناءها ، وتتقطع أواصر القرابة، وينشأ الأبناء نشأة فاسدة ، بذلك يتحقق الأمل المنشود ، ويتجدد المجد المفقود ، وما ذلك على الله بعزيز .

٣. بناء المجتمع الصالح :

والغاية الثالثة من المسؤلية هي إقامة المجتمع الصالح ، والمجتمع الذي نعنيه هنا هوالمجتمع القائم بأمر الله تعالى ، المقيم لحدوده ، الذي جعل الدنيا مزرعة الآخرة ، والذي يتراحم أفراده ويتعاطفون ، وتتألف قلوبهم وتجتمع جهودهم على محبة الله ورضوانه ، ويكون دين الله ظاهراً فيه ، و يكون فيه كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين الذين يقومون بمسؤولياتهم ، أن يستخلفهم في الأرض ، ويمكن لهم دينهم ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(١) . سورة البقرة . آية ٢٢٨ .
(٢) . سورة النساء . آية ٣٤ .
(٣) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث : ٨٩٣ ، ص : ١٤٤ .
(٤) . سورة الأنفال . آية ٢٧، ٢٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . ([1])

وقد دل كتاب الله وسنة الرسول ﷺ على وجوب إقامة هذا المجتمع الصالح ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ([2]) . وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ([3]) ، أي فكأن الله تعالى لم يخرج هذه الأمة إلا لتؤمن بالله وتدعوا إليه وتأمر بالخير وتنهى عن الفحشاء .

ومما سبق يمكننا أن نبرز هنا سمات هذا المجتمع المثالي الذي أشار إليه القرآن والسنة مما يأتي :

١. صحة العقيدة : وهذا عن طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .. وما يستلزمه من عبادات ومعاملات . كما قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . ([4])

٢. التعاون والتكافل الإجتماعي ، وتثبيت الفضائل الخلقية كلها في شتى جوانب الحياة ، ونشرها وحمايتها ، من العدل ، والإحسان ، والبر والصلة ، والتعاون على البر والتقوى ، ورعاية الأمانة والوفاء بالعهد ، وطهارة القلب من الغل والحسد ، والرياء والنفاق وغير ذلك ، وكلها من الركائز المعنوية التي لا يقوم مجتمع مسلم إلا عليها .

٣. تهذيب النفس الإنسانية وترويضها ، وفتح سبل الخير والحق له . وهذا عن طريق الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج للمستطيع ، والصبر في جميع الأحوال .

٤. إيجاد الأمة الصالحة القائمة بأمر الله سبحانه وتعالى والمستخلفة لهداية الناس وقيادة الدنيا عملاً بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . ([5])

٥. الموالاة في الله والتآخي والتعاطف والتراحم حتى تكون الأمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. والتخلص من العصبيات الجاهلية ، والطائفية والمذهبية ، وكل ما من شأنه أن يمزق الأمة ويضعف بناءها ، إقتضاء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

([1]) . سورة النور . آية ٥٥ .
([2]) . سورة الصف . آية ٩ .
([3]) . سورة آل عمران . آية ١١٠ .
([4]) . سورة البقرة . آية ١٧٧ .
([5]) . سورة آل عمران . آية ١٠٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . (٢)

وهذا هوالمجتمع الصالح الذي تربط أفراده وأسره بقيم الإسلام العليا ، ومبادئه المثلى ، ويجعلها رسالة حية، وهذا هو الهدف الثالث من المسؤلية . وهذا هوالهدف الذي يجب علينا أن نسعى لتحقيقه ، فإذا فرطنا فيه تشيع المنكرات ، وتبرز الخصومات ، وتفقد الأمانة وينتشر الظلم ، ويختل الأمن ، ويحل غضب الله على العباد ، فيمنعوا البركة من السماء ، ويعيش الناس أزمات يأخذ بعضها برقاب بعض ، فمن أزمات اجتماعية إلى الإقتصادية ، أو سياسية أو صحية وما إلى ذلك – والعياذ بالله – .

(١) . سورة الحجرات . آية ١٠ .
(٢) . سورة الحجرات . آية ١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثاني

التمهيد

* ربط الجزاء بالمسؤولية
* الجزاء لغة واصطلاحا
* خصائص الجزاء في القرآن الكريم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد

علاقة الجزاء بالمسؤلية :

يعد الجزاء هو النتيجة المترتبة على قيام الإنسان بمسؤلياته أو مخالفته لها . وحدد القرآن الجزاء بقدر المسؤلية مع إيثار جانب الرحمة والعفو ومضاعفة الحسنة . قال تعالى : ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ . (١)

فعندما يوجه الله تعالى إلينا أمره فهو يلزمنا ، فإن استجبنا وخضعنا لأمره ولبينا نداءه ، نكون قد تحملنا مسؤليتنا التي يترتب عليها الجزاء الحسن . وإن كان موقفنا أمام نداء الله تعالى وأمره ومخاطباته لنا التمرد والعصيان والمخالفة ، ترتب على ذلك الجزاء السيئ ، فالمطيع لأمر الله تعالى والقائم برعايته يجزيه الله تعالى ثوابا حسنا ، والعاصى لأمر الله تعالى المخالف لطاعته يعاقبه الله بالعقاب الأليم .

وبذلك يتبين أن الجزاء أمر مرتب على المسؤلية وسبب ناشئ منها . فالمسؤلية والجزاء معناهما متلازمان تتداخل حقائقهما وتتآلف معالمهما لما بينهما من علاقة وثيقة ، الأمر الذى يجعل كل من يتناول موضوع المسؤلية بالحديث لا بد أن يتناول الجزاء المرتب عليها ، لأن التلازم بينهما ثابت لا ينفصل .

وهكذا فإن الله تعالى قد ربط المسببات بالأسباب ربطاً محكماً ، ومنها الجزاءات على اختلاف أنواعها، لتكون عاقبة للأعمال ، لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا بثواب أو عقاب ، وذلك ليقوم الناس بالعدل ، وتتهيأ نفوسهم للتكليف والسؤال ، وتتحقق العبودية لله تعالى ، ويوفى كل نصيبه غير منقوص .

لذالك لا بد الآن تحديد معنى الجزاء وحقيقته وأنواعه والآثار المترتبة للجزاء في حياة الفرد والجماعة .

وإليك تفصيل هذا الموضوع في الفصول القادمة .

---

(١) . سورة الأنعام . آية ١٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجزاء لغة واصطلاحاً :

الجزاء لغة :

الجزاء مصدر ، ترجع مادته إلى الجيم والزاي والياء : جزي ([1]) ، ويدور استعماله على معان ، هي :

١. المكافأة على الشيئ ، يقال : جزاه به ، وعليه جزاء ، وجازاه مجازاة وجزاء . ومنه قول الحطيئة : " من يفعل الخير لا يعدم جوازيه " إذ جوازيه جمع جاز ، أي لا يعدم جزاء عليه ، ويستعمل هـذا المعنى في الثواب والعقاب .

٢. الكفاية ، يقال : جزى الشيئ يجزي ، بمعنى كفى .

٢. القضاء ، يقال ك جزى عنك الشيئ ، بمعنى قضى .

٣. الغناء ، جزيت فلاناً بما صنع جزاء أي أغنيته . ([2])

وهي معان متقاربة في المدلول ، كل منها يعني مقابلة لشيئ سابق ، إما على سبيل الإحسان والثواب أو على الإساءة والعقاب .

معاني الجزاء في القرآن الكريم :

ورد الجزاء في القرآن الكريم على ستة أوجه على جميع المعاني اللغوية المتقدمة :

الأول : بمعنى المكافأة والمقابلة ، قال تعالى : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ . ([3])

أي تقابل .

الثاني : بمعنى الأداء والقضاء : يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾ ([4])

أي لا تقضى ولا تؤدى .

الثالث : بمعنى الكفاية ، قال تعالى : ﴿ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ . ([5])

الرابع : بمعنى العوض والبدل ، قال تعالى : ﴿ فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ . ([6])

([1]) . معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، بتحقيق و ضبط عبدالسلام هارون ، ١/ ٤٥٥.

([2]) . لسان العرب ، لابن منظور ١٤/ ١٤٣- ١٤٦. وأنظر ايضاً القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، ص : ١١٦٨ بإعداد وتقديم : محمد عبدالرحمن المرشيلى ، ط : الثانية ، ١٤٢٤ه ، دارإحياء التراث العربي . بيروت .

([3]) . سورة الليل . آية ١٩ .

([4]) . سورة البقرة . آية ٤٨.

([5]) . سورة لقمان . آية ٣٣.

([6]) . سورة المائدة . آية ٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخامس : بمعنى ثواب الخير والشر . قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . ([1])

السادس : بمعنى الجزية وهي الخراج الذى يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذالك للاجتزاء بها في حقن دمهم ، قال تعالى : ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . ([2])

ومما يلاحظ أنه لم يرد في القرآن الكريم إلا جزى دون جازى وذلك أن المجازاة هي المكافأة وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها ونعمة الله تعالى ليست من ذلك ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله ﷻ . ([3])

الجزاء اصطلاحاً :

ومن كل ما تقدم نعلم أن الجزاء يندرج تحته أمران : الثواب والعقاب ، ويقصد بالثواب : ما يرجع إلى الإنسان من خير أو شر جزاء على عمله ، ويكثر استعماله فيما يرجع من خير ، ومنه قوله تعالى :﴿ فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ﴾ . ([4])

ويقصد بالعقاب : ما يجازى به الإنسان من عذاب على فعل السوء ، ويختص بالعذاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ . ([5])

التعريف المختار :

إذاً الجزاء ينقسم بحسب النوع إلى ثواب وعقاب ، وأن الثواب هو الجزاء الحسن على فعل الحسنات وترك السيئات . وأن العقاب هو الجزاء السيئ على التفريط في فعل الحسنات واقتراف السيئات والجزاء بنوعيه ثواباً وعقاباً يشمل كل جزاء يترتب على فعل الإنسان في كل وقت .

([1]) . سورة غافر . ١٧.
([2]) . سورة التوبة . آية ٢٩.
([3]) . بصائر ذوي التميز ، للفيروزأبادي ، ٢ / ٣٨٠- ٣٨٢ ، ط : المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان . والمفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني ، ص : ٩٣ ، الناشر : أصح المطابع بكراتشي .
([4]) . سورة آل عمران . آية ١٤٨ .
([5]) . سورة ص . آية ١٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خصائص الجزاء في القرآن الكريم :

كل من أمعن النظر في الجزاء الذي أعده الله تعالى لكل ما يصدر من الإنسان المكلف المسؤل وما يترتب على عمله من ثواب أو عقاب يتضح له بأنه يمتاز بعدة خصائص تتميز عن كل الجزاءات التي كانت من نتاج العقول البشرية على وجه الأرض ، و من أبرزها :

١. العدل والرحمة :

فهما أساس الجزاء الالهى كما يظهر من نصوص القرآن والسنة . وسوف أقوم فيما يلي بعرض الأدلة القرآنية التي تقرر وتؤكد كلا منهما على حدة .

أ . العدل :

إن الله تعالى هو العدل . فلما كان هو العدل و أقام نظام الكون على العدل ، كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (١) ، وجعل شريعته عدلا ، فلا غرو أن جعل العدل شأنه في جزاء عباده على أعمالهم في الدنيا والآخرة . فالعدل وما يشتق منه العدالة والمعادلة يفيد معنى المساواة أي المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر . ولقد جاءت الآيات البينات في كتاب الله تعالى تؤكد ذلك تأكيداً صريحاً يقول تعالى ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) ، يخبرالله تعالى أنه لا يظلم أحداً من عباده يوم القيامة مثقال حبة من خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له و يضاعفها أن كانت حسنة اضعافاً كثيرة ، ففاعل الخير يوفيه الله تعالى ثواب أعماله لا ينقصه منها شيئ أبدا تحقيقاً لوعده تفضلا منه وإحساناً وكرماً سبحانه وتعالى: قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٣) ، يذكرالله عزوجل أنه يتقبل الأعمال الصالحة من عباده وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم ولاينقصهم من حسناتهم ولا مقدار النقير ، وهو النقرة في ظهر النواة . كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ . (٤)

---

(١) . سورة الرحمن . آية ٧ .
(٢) . سورة النساء . آية ٤٠ .
(٣) . سورة النساء . آية ١٢٤ .
(٤) . سورة النساء . آية ٤٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب . الرحمة :

إن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه رحمان ووصف نفسه بالرحيم والإسمان الجليلان مأخوذان من الرحمة . يقول الراغب : " والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف . (١)

وقد وصف الله نفسه بالرحمن الرحيم وجمع بينهما في آية البسملة التى جعلها سبحانه مفتتح كل سورة من سورالقرآن الكريم . وذكر القرآن الكريم في أماكن كثيرة بأن الله أرحم الراحمين على لسان كثيرمن الأنبياء عليهم السلام ، كما قال على لسان موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) ، يخبرالله تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيها وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ قال " إن الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش أن رحمتى تغلب غضبى " . (٤)

ويقول الطبرى : وقوله كتب على نفسه الرحمة يقول : إخبارمنه سبحانه بأنه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة . ويقبل منهم الأنابة والتوبة وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الاقبال إليه بالتوبة . (٥)

وكثيرا ما يقرن الله تعالى في القرآن بين كونه شديد العقاب وبين كونه غفورالرحيم مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٦) ، وإذا تدبرنا في الجزاء الإلهى نجد أن رحمة الله تعالى تحيطه وتطبعه في كل جانب من جوانبه وتتمثل جوانب الرحمة في الجزاء الذى رتبه الله تعالى لعباده على أعمالهم فيما يأتي :

أولاً : أن الله يجزى المحسن على إحسانه والمسيئ على إساءته وأعد ذلك ترغيباً في الخير وترهيباً من الشر حتى يندفع الفساد ويعم الخير والصلاح .

---

(١) . المفردات في غريب القرآن ، ص : ١٠٠ .
(٢) . سورة الأعراف . آية ١٥١ .
(٣) . سورة الأنعام . آية ١٢ .
(٤) . صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم الحديث : ١٤ ، ص : ١١٩٢ .
(٥) . الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٦ / ٣٩٥ .
(٦) . سورة الرعد . آية ٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً : أن الله تعالى لا يوأخذ عباده بمجرد الهم بالمعصية ، بل إذا هم بدون عزم وتصميم ثم ترك لوجه الله تعالى وخوفاً من عقابه كتبت له حسنة . كما قال تعالى : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

ثالثاً : من رحمة الله تعالى في الجزاء أن جعل التوبة فرضا وواجباً وسبباً يمحوالله به الذنوب ويغفرها . كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (٢)

رابعاً : ومن آثاررحمة الله تعالى وسعة فضله في الجزاء أن جعل الله العقوبات والحدود كفارات ما دام يتلقاها المخطئ ويتقبلها برضى وتسليم واقتناع بحكم الله تعالى .

٢. الجزاء شامل لكل الأعمال :

فقد بين القرآن بأن الله تعالى أحاط بجميع أعمال خلقه ، ما كان كبيراً منها أو صغيراً ، وجهرياً أو سرياً ، في كل لحظة وأوان ، لا يغيب عن علمه منها شيئ ، ولا يغادر كتابه شيئا منها إلا أحصاه ، وأنه أعقبها بملائكة كرام يحفظون خيرها وشرها ، فقال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته وجميع الخلائق : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ . (٣)

٣. العمل سبب لحصول الجزاء :

قال تعالى : ﴿ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) ، أي بسبب الذي كنتم تعملونه ، كما قال تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ . (٥)

قال القرطبي " في هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الأعمال ، وأن ما عدا العمل يتلاشى ، فكل أمان مجردة في نيل ثواب كريم تزول ، وكل سبب من حسب ونسب وشفاعة ومال وبنين مما لها تأثير في الحياة الدنيا ينقطع ، ليبقى العمل وحده سبباً للجزاء (٦) ، قال تعالى :

---

(١) . سورة الأنعام . آية ١٦٠ .
(٢) . سورة الأنعام . آية ٥٤ .
(٣) . سورة يونس . آية ٦١ .
(٤) . سورة النحل . آية ٣٢ .
(٥) . سورة البقرة . آية ٢٨١ .
(٦) . الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٣ / ٣٧٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ . (٢) قال ابن كثير : ليس لأحد نجاة بمجرد التمني ، بل العبرة بطاعة الله سبحانه ، واتباع شرعه . (٣)

٤. الجزاء دنيوي وأخروي :

فقد بين القرآن جزاء الله تعالى في الدنيا إجمالاً وجزاءه في الآخرة تفصيلاً ، فقال تعالى واعداً من عمل صالحاً بالحياة الطيبة . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى متوعداً من حارب رسوله ﷺ وسعى في الأرض فساداً بعقوبة زاجرة في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . (٥)

---

(١) . سورة النجم . آية ٣٩- ٤١ .
(٢) . سورة النساء . آية ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٣) . تفسير القرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص : ٥٣٥ .
(٤) . سورة النحل . آية ٩٧ .
(٥) . سورة المائدة . آية ٣٣ . راجع أيضاً " كتاب المسؤلية الخلقية والجزاء عليها "، ص : ٣٥٨ -٣٦١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثاني

الفصل الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا

الفصل الثاني : الجزاء الإلهي في الآخرة

الفصل الثالث : الجزاء وأثره على الفرد والمجتمع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا

المبحث الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا للصالحين :

التمهيد :

إن الله ﷻ لم يخلق هذا الخلق عبثاً ولهواً ، و لم يأمر خلقه و لم يحملهم مسؤلياتهم التي طالبهم بها وأوصاهم برعايتها إلا ليعرضهم للثواب الذى وعدهم وبشرهم به ، وللعقاب الذى أوعدهم وحذرهم منه . فكان من سنة سبحانه وتعالى في خلقه جميعاً أن يجزيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وكان من حكمته سبحانه و تعالى أن شرع الجزاء بنوعيه الثواب والعقاب ليحثهم إلى فعل ما أمرهم به ويمنعهم من اقتراف ما نهاهم عنه .

وهذا هو المبدأ العام في الجزاء الدنيوى على الأعمال الخيرة تؤكده كثيرمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، وقال قتادة (٢) : من كان الدنيا همه ونيته وطلبه جازاه الله بحسابه في الدنيا ثم يفضى إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . (٣)

لذا المؤمن بالله تعالى المبتغى بعمله ثواب الله تعالى ومرضاته ونعيم الآخرة ، فإن الله تعالى يثيبه في الدنيا ويثيبه في الآخرة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ . (٤) والآن اذكر فيما يلي أهم مظاهر الثواب في الدنيا للصالحين .

---

(١) . سورة هود . آية ١٥ ، ١٦ .

(٢) . هوقتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبوالخطاب السدوسي , كان مفسرا وحافظا توفي ١١٨هـ انظر: تذكرة الحفاظ١/١١٥ .

(٣) . تفسيرالقرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص : ٩٥١ ، المرجع السابق .

(٤) . سورة النحل . آية ٣٠ ، ٣١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مظاهر الثواب :

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية يقف على مظاهر جمة للثواب الجزيل الذى وعد الله تعالى به وبشر بعطائه وإفاضته على فاعل للخير والقائم على رعاية مسؤلياته التى أوصاه الله تعالى برعايتها وحفظها وتتجلى مظاهر هذا الثواب الدنيوى فيما يأتي :

١. الطمأنينة والراحة :

يظهر هذا الثواب فيما يشعر به الإنسان من طمأنينة قلبية وراحة نفسية ، وسرور يغمر الفؤاد ، وما يمتلئ به الشعور والوجدان من معانى الخير والبر والإحسان وغير ذلك من القيم السامية التى تنشأ في النفس عقب فعل الخير والقيام بالواجب والوقوف عند حدود الله وعدم معصيته ﷻ . ويعبر عنه الرسول ﷺ بقوله : " البر حسن الخلق " (١) . فالبر هو المعنى الجامع لكل خير وأمور الخير ، وإذا اكتسبها الإنسان انعكست أثارها الطيبة على نفسه وقلبه ووجدانه ، لأن فعل الخير ينير نفس الإنسان ويزكى قلبه ، ويقوى عزيمته ويدفعها إلى المسابقة والمسارعة إلى فعل الخير والإمساك عن أقتراف الشر .

وكل عبادة يأمرنا الله تعالى تثمر ثمرة التقوى ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) ، كما ذيل فريضة الصيام بالتقوى أيضاً في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) ، كما نشاهد ذلك أيضاً في آيات الحج في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٤) ، ويختم الله تعالى آيات الحج بقوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ . (٥)

وفي كل هذا إشارة إلى الثواب الجميل الذى ينطبع به حس المؤمن ويصطبغ به فؤاده جزاء على ما قام به من رعاية لفرائض الله تعالى وأداء لواجباته ومسؤلياته ، فكأن تقوى الله تعالى وترك الاسترسال في الصغائر ظاهراً وباطناً يبعده عن محارمه و يدفعه إلى اكتساب الفضائل وعمل الصالحات الباقيات .

---

(١) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البروالإثم ، ص : ١١٢٠ ، رقم الحديث : ١٤ .
(٢) . سورة البقرة . آية ٢١ .
(٣) . سورة البقرة . آية ١٨٣ .
(٤) . سورة الحج . آية ٣٢ .
(٥) . سورة الحج . آية ٣٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك كانت تقوى الله تعالى ثمرة كل عبادة وأثراً لكل فضيلة يفعلها الإنسان . فالإنسان إذا باشر الأعمال الصالحة تكتنفه روح الخشوع والخضوع و الإخلاص ، طهرت نفسه وصح مزاجه وشعوره كما قال الرسول ﷺ في حديث : " والصلاة نور والصدقة برهان والصبرضياء " . (١)

فالصلاة إذا أقامها الإنسان على وجهها الصحيح كانت سبباً لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب كما أنها تمنع صاحبها من المعاصى وتنهاه عن الفحشاء والمنكر وتهديه إلى الصواب والحق .

كما قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ . (٢)

كما أن الزكاة لها أثرها في تطهير النفس من رذيلة البخل والشح وتزكيتها إلى درجة الكرم والإيثار والبذل والتضحية ، كما أنها برهان على صدق إيمان صاحبها . كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (٣) ، وكذلك كل ما أمرنا الله تعالى به وحثنا عليه من عبادات ومكارم أخلاق ومحاسن الآداب و ما شرع لنا من معاملات إذا قام بها الأنسان خير قيام مخلصاً لله تعالى ومبتغياً وطالباً لمرضاته أحدث أثره الطيب في نفس الأنسان .

٢. الهداية والتوفيق :

ويتمثل هذا الثواب الدنيوى الذى يناله الإنسان جزاء على ما فعله الخيرات ورعاية جميع المسؤليات التى ألزمه الله بها ، في الهداية والتوفيق الذى يفيضه الله تعالى من اتبع طريقه وسلك سبيله ، فالله تعالى يرشد أولئك الذين يعملون له ويسيرون على منهجه كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٦) ، كما يهديهم بتوفيقه إلى طريقه المستقيم ويقيمهم على دينه الحق . كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ . (٧)

فبالإيمان وما يتبعه من أعمال صالحة ينشرح صدر الإنسان ويوسع الله تعالى قلب المؤمن ويجعله يسلك ويلتزم طريق الإسلام . كما يقول تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ

---

(١) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ص : ١١٤ ، رقم الحديث : ١ .
(٢) . سورة العنكبوت . آية ٤٥ .
(٣) . سورة التوبة . آية ١٠٣ .
(٤) . سورة العنكبوت . آية ٦٩ .
(٥) . سورة التغابن . آية ١١ .
(٦) . سورة البقرة . آية ٢٥٧ .
(٧) . سورة النساء . آية ٦٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ . (١)

وغير ذلك من النصوص القرآنية تقرر الثواب الجميل الذى يعطاه فاعل الخير في هذه الدنيا جزاء على عمله الطيب الحسن ويبدوا أثره في هدايته إلى الحق وتوفيقه إلى الرشد ، و صدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ . (٢)

يقول ابن القيم : " فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوا التى لا تزال تؤتى ثمرها كل جين . وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التى فروعها الأعمال الصالحة الصاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها " . (٣)

٣. نضرة الوجوه :

وبظهر هذا الثواب فيما يشاهد في وجوه الصالحين من نور وضياء وبسمة منعكس على وجوههم من إيمانهم الصادق وأعمالهم الطيبة وما تطبعه في نفوسهم من سرور وفرحة . قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) ، وهذه السمة تظهرعلى وجوه المؤمنين في الدنيا كما سوف تظهر في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (٥) ، فيعرف الصالحون بسيماهم وما يبدوا على وجوهم من ضياء ونور للطاعات والخيرات ، قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (٦) ، ذكر ابن كثير عدة أقوال في تفسير هذه الآية أذكر منها البعض : قيل : سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن وقيل : يعني الخشوع والتواضع . وقيل : الصلاة تحسن وجوههم . ثم يقول : الغرض أن الشئ الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه بالمؤمن إذا كانت سريرته

---

(١) . سورة الأنعام . آية ١٢٥ .
(٢) . سورة إبراهيم . آية ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) . إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم ، فصل أثر كلمة التوحيد ، ١ / ٢٢٤ ، بتحقيق : الشيخ عبدالرحمن الوكيل ، الناشر: مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
(٤) . سورة يونس . آية ٢٦ .
(٥) . سورة عبس . آية ٣٩ .
(٦) . سورة الفتح . آية ٢٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صحيحة مع الله تعالى أصلح الله تعالى ظاهره للناس ، كما روى عن عمر ([1]) ﷺ قال : " من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته . ([2]) وما يظهر على وجوههم من آثار لإيمانهم الحقيقى ويقينهم الثابت بالله عزوجل يكسبهم حسنة في الوسط الاجتماعى الذى يعيشون فيه ويؤكد ارتباطهم الوثيق بمن حولهم من المؤمنين الصادقين .

٤. تهيئة الحياة :

ويظهر هذا الثواب الدنيوى الذى يتفضل به الله تعالى على من يعمل صالحا ويتبع أمره ويتجنب نهيه ، في تهيئة الحياة الطيبة . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ([3]) . فهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وكان مخلصاً في عمله ومتابعاً لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة .

ففى الآية وعد بالثواب الدنيوى وهو قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ ، فان المراد بهذه الحياة هي حياة الدنيا ، وقد قال به كثير من المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة . وفي الجلالين " قيل هي حياة الجنة ، وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال " . ([4]) ويقول ابن كثير : " والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت وقد روى عن ابن عباس ﷺ عنها وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب وعن على ابن طالب ﷺ أنه فسرها بالقناعة . وعن ابن عباس ﷺ أنها السعادة . ([5])

ولا شك أن حياة المؤمن تصير طيبة سعيدة بيقينه الصادق بقضاء الله وقدره واعترافه الحق أن كل ما يأتيه إنما هو من تدبير الله تعالى وذلك يجعله راضياً مقنعاً . كما أن قلبه يكون دائما منشرحا بمعرفة الله تعالى الذى يدفع عنه كل حزن وهم وخوف ، وبذلك يعيش حياة هادئة مطمئنة .

([1]) . هوأميرالمؤمنين عمربن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أحفص الفاروق كان إسلامه فتحا عظيما للمسلمين وهو أحد العشرة المبشرين باللجنة وأول من لقب بأمير المؤمنين ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وتوفي سنة ٢٣هـ انظر: الاصابة لابن الحجر العسقلاني ٥١٨/٢-٥١٩ وأسد الغابة لابن الأثير ١٤٥/٤-١٨١.

([2]) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٧٤١ .

([3]) . سورة النحل . آية ٩٧ .

([4]) . تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي ، وجلال الدين المحلى ، ص : ٢٦١ ، مكتبة الصفاء ، بالقاهرة . ط : الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠٢م .

([5]) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. المعية الإلهية :

ويظهر هذا الثواب في المعية الآلهية الخاصة بنصره وتأئيده لعباده المؤمنين الصالحين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١) . فالله تعالى مع المؤمنين الصادقين بتأييده ونصره كما قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ ﴾ (٢) وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٣) ، فقد وعد الله تعالى من يتبع أوامره ويقف عند حدوده بالنصر ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . (٤)

وكما وصى النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما " احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك .." الحديث (٥) . فمن حفظ حدود الله تعالى وحقوقه وأدى ما أمره به واجتنب نواهيه بأن يقف عند أوامره بالإمتثال وعند حدوده بالإجتناب فلا يتجاوزها ، فمن فعل ذلك كان جزاؤة حفظ الله له ، لأن الجزاء من جنس العمل . فالله تعالى يحفظه في بدنه وولده وأهله وماله ، كما يوكل به ملائكته ، يحفظونه ويحرسونه . قال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ ﴾ (٦) يقول مجاهد (٧) : ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما من شر يأتيه إلا قال له وراءك إلا شيئا أذن الله فيه فيصيبه . (٨)

كما يدافع الله تعالى عمن آمن به وتوكل عليه ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٩) ، يخبر الله تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويبلوهم وينصرهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

---

(١) . سورة النحل . آية ١٢٨.
(٢) . سورة الأنفال . آية ١٢ .
(٣) . سورة طه . آية ٤٦ .
(٤) . سورة محمد . آية ٧ .
(٥) . أخرجه الترمذي في سننه ، في صفة القيامة والرقائق ، باب حديث حنظلة ٥٩ ، ص : ٥٧٢ ، رقم الحديث : ٢٥١٦.
(٦) . سورة الرعد . آية ١١ .
(٧) . هوابن جبر أبوالحجاج المكي صاحب ابن عباس رضي الله عنهما كان مفسرا توفي سنة ١٠٣ هـ انظر: شذرات الذهب ١٣٠/١
(٨) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٠٠٥.
(٩) . سورة الحج . آية ٣٨ .
(١٠) . سورة الزمر . آية ٣٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

([1]) ، كما يكتب الله تعالى للمؤمنين المتقين الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة صلاح الحال في الدارين. قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . ([2])

يقول الرازى : " وفي تكرير أولئك تنبيه على أولئك على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضا فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين . ([3])

كما أزال الله عنهم الخوف والحزن في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ([4]) ، وقال تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ([5]) ، فالمهتدون بهداية الله تعالى لا يخافون مما هو آت ولا يحزنون على ما فات لأن اتباع الهدى يسهل عليهم طريق اكتساب الخيرات ويعدهم لسعادة الدنيا والآخرة ، ومن كانت هذه وجهته يسهل عليه كل ما يستقبله ويهون عليه كل ما أصابه أو فقده .

٦. التمكين في الأرض :

ويتمثل هذا الجزاء الدنيوى لأهل الإيمان بالتمكين في الأرض وجعلهم أئمة لأهل الاستقامة على دين الله قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ([6]) . يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : " هذا وعد الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة " . ([7])

نشاهد في كثير من الآيات القرآنية بأن الله تعالى أعز المؤمنين ونصرهم وجعلهم أئمة الناس ونلحظ أن هذه سنة الله ﷻ في الخلق حيث يمكن سبحانه للأمة الصالحة الاستخلاف والزعامة كما قال تعالى عن موسى عليه السلام حيث قال لقومه : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ([8]) ، وقال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

([1]) . سورة الطلاق . آية ٣ .
([2]) . سورة البقرة . آية ٥ .
([3]) . التفسير الكبير ، لإمام الرازي ، ١ / ٣٢ ، ط : الأولى ، دارالكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ه ، ١٩٩٠ .
([4]) . سورة البقرة . آية ٣٨ .
([5]) . سورة البقرة . آية ١١٢ .
([6]) . سورة النور . آية ٥٥ .
([7]) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ .
([8]) . سورة الأعراف . آية ١٢٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢) ، فالله تعالى يخبرنا عما قضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٣) وكل ذلك جزاء وثواباً لهم على طاعتهم واتباعهم لمنهج الله تعالى .

٧. محبة الناس وثناؤهم :

هذا الثواب مرجعه إلى الله تعالى ، فهو سبحانه الذي يثيب عبده إذا آمن وعمل صالحاً بوّد الناس له ، وارتفاع ذكره بينهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٤) ، كما قال النبي ﷺ : " إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض " (٥) . ولما كان هذا الجزاء أمراً واقعاً بين الناس ، يدركه كل عامل أمكن بإخلاص أن يصير مقياساً يعرف به الإنسان حسن عمله من سوئه . قال آلوسي (٦) : أي مودة في القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح ، والمشهور أن ذلك الجعل في الدنيا . (٧)

وقال الشوكاني " أي حباً في قلوب عباده يجعله لهم من دون أن يطلبوه بالأسباب التي توجب ذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب " (٨) . لذلك إن من دعاء ابراهيم عليه السلام :﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٩)

ذكر الإمام القرطبي قول ابن عطية (١٠) : هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين وكذلك أجاب الله دعوته وكل أمة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ . ثم يقول الإمام

---

(١) . سورة القصص . آية ٥ .
(٢) . سورة الأنبياء . آية ١٠٥.
(٣) . سورة غافر . آية ٥١ .
(٤) . سورة مريم . آية ٩٦ .
(٥) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ص : ٥٣٦ ، رقم الحديث : ٣٢٠٩ .
(٦) . هو أبوالفضل شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي مفسر محدث من أهل بغداد وكان مفتي بغداد ولد عام ١٢١٧هـ وله مؤلفات كثيرة منها : روح المعاني في التفسير, دقائق التفسير, المقامات في التصوف والأخلاق , توفي عام ١٢٧٠ هـ انظر: الأعلام للزركلي ٥٣/٨.
(٧) . روح المعاني ، محمود الآلوسي ، ٩ / ٢٠٩ ، ط : دار الفكرللطباعة والنشروالتوزيع ، ١٤١٧ ه ، ١٩٩٧ م
(٨) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ١٠٥٧ ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١م ، مكتبة الرشد ، الرياض
(٩) . سورة الشعراء . ٨٤ .
(١٠) . هو عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبومحمد الغرناطي القاضي ولد سنة ٤٨١هـ كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والنحو واللغة والأدب له مؤلفات عديدة منها : الوجيزفي التفسير توفي سنة ٥٤١هـ , انظر: سيرأعلام النبلاء ٧/ ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

: وقد فعل الله ذلك إذ ليس أحد يصلي على النبي ﷺ إلا وهو يصلي على إبراهيم عليه السلام وخاصة في الصلوات وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات والصلاة دعاء بالرحمة . (١)

٨. تيسير الخيرات والأرزاق :

ويتمثل هذا الثواب الدنيوى فيما ييسره الله تعالى من الخيرات والأرزاق لأهل الصلاح والتقوى . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) ، فان الإيمان بما جاءت به الرسل واتباعه وتقوى الله بفعل الطاعات وترك المحرمات يكون سببا في إنزال المطر من السماء فينبت الأرض وتصبح مخضرة تؤتى أكلها ، وينعم المتقون بثمارها فقد جعل الله تعالى بفضل رحمته وجوده الاستغفار والتوبة سببا للمتاع الحسن في الدنيا قال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) ﴾ (٣) ، " و يمتعكم متاعا حسنا " أي في الدنيا ، وذلك بما يفيضه عليهم من البركات والخيرات والنعم السابقات . كما قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ . (٤)

أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها .

وهكذا نرى صوراً كثيرا للصواب الذى وعد الله تعالى به المتقين في الدنيا من اتبع دينه القويم وسلك سبيل الرسول ﷺ ، و في هذا ترغيب وتبشير لمن عمل الصالحات وترك المبطلات واتبع الحق وترك الباطل .

---

(١) . الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٣/ ١١٢ .
(٢) . سورة الأعراف . آية ٩٦ .
(٣) . سورةهود . آية ٣ .
(٤) . سورة نوح . آية ١٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني : الجزاء الإلهي في الدنيا للطالحين :

ولما كانت طبائع النفوس متفاوتة ، وكان فيهم من يكفيه الترغيب في ثواب الله والترهيب من عقابه ، وفيهم من لا تكفيه هذه الأساليب ، فهولاء لو تركهم الله تعالى بدون جزاء لعم الفساد في الأرض ، فلما كان هذا شأن الناس قضت حكمة الله تعالى أن يكون في دين الله ومن أصوله جزاء المحسن على إحسانه ، وعقاب المسيئ على إساءته ، حتى يستقيم أمر الناس وتعتدل أحوالهم .

لذلك يرى المتتبع لنصوص القرآن والسنة النبوية بأن الله تعالى يعاقب الكافرين والمنافقين والعاصين الذين لا يقومون بواجباتهم ولايراعون بمسؤلياتهم ، بصورمن العقوبات ، وبألوان من العذاب في الدنيا ، تتمثل فيما يأتي :

مظاهر العقاب :

١. غضب الله تعالى :

ومن صور العقاب الدنيوى الذى يصيب من عصى الله تعالى واتبع نفسه هواها أن ينال غضب الله تعالى ونقمته ، كما قال تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (١) ، يقول ابن كثير : " أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى : لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا . وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلا وصغارا في الحياة الدنيا " . (٢)

وقال الشوكاني في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ " أي مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بالمفترين والافتراء الكذب فمن افترى على الله سيناله من الله غضب وذلة في الحياة الدنيا وإن لم يكن بنفس ما عوقب به هؤلاء بل المراد ما يصدق عليه أنه من غضب الله سبحانه وأن فيه ذلة بأي نوع كان " . (٣)

كما أن الله تعالى يغضب أعظم الغضب على من لا يشكر نعم الله تعالى بل يكفر كما قال تعالى : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ . (٤)

---

(١) . سورة الأعراف . آية ١٥٢ .
(٢) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ٧٨٦ .
(٣) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ٥٩٢ ، ٥٩٣ .
(٤) . سورة طه . آية ٨١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول الشوكاني في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ " والطغيان " التجاوز : أي لا تتجاوزوا ما هو جائز إلى ما لا يجوز وقيل المعنى : لا تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين وقيل لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكرها وقيل لا تعصوا المنعم : أي لا تحملنكم السعة والعافية على المعصية ولا مانع من حمل الطغيان على جميع هذه المعاني فإن كل واحد منها يصدق عليه أن طغيان ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ هذا جواب النهي : أي يلزمكم غضبي ويترل بكم " . (١)

وقد تكررت آيات الغضب في القرآن الكريم في أماكن كثيرة كما قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) ، وغيرذلك من الآيات .

٢. إهلاك المفسدين :

وقد يتمثل هذا العقاب الدنيوى في إهلاك المفسدين وإنزال العذاب عليهم في الدنيا . ولقد كانت سنة الله تعالى في الذين خلوا أنهم إذا كثرت مفاسدهم أهلكهم الله تعالى . ولقد ضرب الله تعالى أمثلة كثيرة لهذا الهلاك الذى أصاب الظالمين والفاسقين كما تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣) ، يخبرالله تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أنه أهلكهم . فعاد ، قوم هود لما عتوا واستكبروا وقالوا : من أشد منا قوة ، أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً فاصبحوا كأنهم أعجاز نخل منقعر ، وثمود ، قوم صالح عندما استمروا على طغيانهم و كفرهم ، وقتلوا الناقة التى امتحنهم الله بها ، وتهددوا صالحا ومن آمن معه بأن يخرجوهم ويرجموهم ، أرسل الله تعالى صيحة أخمدت أصواتهم واسكتت حركاتهم .

ولما بغى قارون وطغى ومشى في الأرض فرحاً ، واعتقد الفضل على غيره من الخلق ، خسف الله تعالى به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وكذلك لما عصى فرعون وطغى وبغى هو ووزيره هامان وجنودهما ، ووصل بهم الأمر في عتوهم واستكبارهم إلى أن اقتحموا البحر وراء موسى ، فكان عقابهم أن أغرقهم الله تعالى و لم ينجوا منهم أحد . وإنما أوقع الله تعالى هذا العقاب جزاء على ما كسبت أيديهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . (٤)

---

(١) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ٥٩٢ ، ٥٩٣ .
(٢) . سورة النحل . آية ١٠٦ .
(٣) . سورة العنكبوت . آية ٤٠ .
(٤) . سورة الروم . آية ٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهكذا جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يترل عذابه على كل مجتمع كفر بنعمته ، وكل قرية جحدت آياته وكذبت رسله . قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ (١) ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (٤) ، وغير ذلك من الآيات التي تبين ما أصاب المجتمعات الظالمة المجاوزة لأوامر الله تعالى والمنتهكة لنواهيه ، وهي تنذر وتوعد كل مجتمع متكبر جبار متعد لحدود الله تعالى .

ففي محاسبة الله تعالى وإهلاكه لهذه القرى الظالمة تحذير لكل من ينتهج نهجهم أو يسلك مسلكهم ويتبع غير طريق الله تعالى الذى ارتضاه لعباده .

٣. زوال النعمة :

ومن مظاهر هذا العقاب الذى يصيب الظالمين والفاسقين زوال النعم عنهم . ومن الأمثلة ما ذكر الله تعالى في شأن " أصحاب الجنة " الذين حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرالبستان ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء . فلما ذهبوا إلى جنتهم وجدوها قد احترقت ، فوقعوا في الحيرة حتى ظنوا أنهم ضلوا طريقها ثم تبين لهم الأمر بأنها هي بعينها ، لكن قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأخذوا يلومون أنفسهم ويلوم بعضهم بعضا ، أدركوا أنهم كانوا ظالمين ، فعادوا إلى ربهم ورجعوا أن يغفر لهم وأن يبدلهم خيرا من جنتهم ، كما جاءت قصتهم فى سورة ن قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُون * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيم * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ . (٥)

ونرى بأن الله قد ذيل القصة بقوله تعالى :﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) ، لبيان أن سنة الله في هؤلاء المستكبرين وفي كل أرباب النعم ، هى سنته في أصحاب

---

(١) . سورة الطلاق . آية ٨ ، ٩ .
(٢) . سورة القصص . آية ٥٨ .
(٣) . سورة الأعراف . ٤ .
(٤) . سورة الأنبياء . آية ١١ .
(٥) . سورة القلم . آية ١٧- ٢٢.
(٦) . سورة القلم . آية ٣٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجنة . ومعناه أن العذاب الذى نرسله في دار الدنيا على الطاغين ، والذى من شأنه أن يؤثر في النفوس ، إنما يكون مثل ذلك العذاب الذي نزل بأصحاب الجنة فأهلك حرثهم وأباد خضراءهم .

وكما ذكر الله تعالى في شأن الرجل الذى كفر بربه وأنكر المعاد واغتر بماله وثمار جنته الذى ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (١) ، فكان عقابه أن أنزل الله عليه حسبانا من السماء أى عذاباً ووقع به ما كان يحذر وأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها بقوله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ . (٢)

فثبت بكل ما تقدم أن المصائب والآلام والهموم والأحزان التى تصيب الإنسان إنما سببها ما فعله من معاصى وسيئات ، كما قال تعالى : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (٣) . لذلك لا يثاب الإنسان على المصائب التى تصيبه في نفسه أو أهله أو ماله فإنه لا يثاب على نفس المصيبة لأنه جزاء فعله . بل لكن إن صبر عليها كان له أجر الصابرين وإن رضى كان له أجر الراضين .

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المقام أن نعلم بما تقدم أن الكافر والمؤمن يجازى ويعاقب على أعماله السيئة في الدنيا كما يشاهد فيما وقع لصاحب الجنة في سورة الكهف . ولعموم قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ (٤) . إلا أن المؤمن يختلف أمره عن الكافر ، فالكافر يعاقب على أعماله السيئة في الدنيا والآخرة . أما المؤمن فإن المصائب تكفر عنه سيئاته ، أما في الآخرة فإنه يكون مصيره الجنة .

٤. القلق والضيق :

ومن صور العقاب الدنيوى الإحساس والشعور بالقلق والضيق عند ارتكاب الشرور والآثام . ونرى بأن القرآن الكريم كثيراً ما يسجل الخسران على من يفسد في الأرض ويطغى فيها . كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥) ، والإفساد الذى حصل من هؤلاء إفساد عام يشمل العقيدة والاخلاق

---

(١) . سورة الكهف . آية ٣٢ .
(٢) . سورة الكهف . آية ٤٢ .
(٣) . سورة النساء . آية ٧٩ .
(٤) . سورة النساء . آية ١٢٣ .
(٥) . سورة البقرة . آية ٢٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأعمال ، لذلك سجل الله عليهم الخسران ، وخسرانهم في الدينا يتمثل في ظلمة أنفسهم وفساد أخلاقهم وأنواع الهموم التى تصيبهم ، وكل هذا يؤدى بهم إلى الإفراط الذى يسبب لهم الأمراض الجسدية والنفسية .

ولقد كان الختم والطبع على قلوب الكافرين أثراً من آثار كفرهم وعقاب لهم على تكذيبهم وافترائهم على أنبيائهم ، لأن الكفر يعمى القلوب ويطمس البصيرة ويصد عن الحق ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ، وكما قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى في شأن الكافرين : ﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾ (٣) ، فالضلال والضيق الذى أصابهم ، والختم الذى غطى قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وكذلك الغشاوة والميل والبعد عن الحق ، كل ذلك كان أثراً طبيعياً لما اكتسبوا واقترفوا من الضلال والعتو والاستكبار عن الحق .

٥. تحريم الطيبات :

وقد يكون العقاب في الدنيا للأمم المكذبة لرسلها وعن أتباع أمر ربها ، بتحريم طيبات كانت حلالاً لهم قبل ظلمهم وبغيهم ، كما حدث ذلك بالنسبة لليهود . يقول الله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٥) . وهذا التحريم كان عقابا لليهود على طغيانهم وبغيهم وظلمهم ومجاوزتهم حدود الله تعالى .

وإن هذا العقاب وإن كان خاصاً باليهود لكنه من الممكن من أن يقع على كل من هاد عن طريق الله تعالى واتبع غير شرعه ، فإن الإنسان إذا أدار ظهره لأحكام الله تعالى وانتهج نهجاً آخر ، فانه بذلك

---

(١) . سورة الأنعام . آية ١٢٥ .
(٢) . سورة الجاثية . آية ٢٣ .
(٣) . سورة البقرة . ٧ .
(٤) . سورة النساء . آية ١٦٠ ، ١٦١ .
(٥) . سورة الأنعام . آية ١٤٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحرم خيراً كثيراً كان يصيبه ويناله لو أنه سلك طريق ربه واتبع سنة نبيه ، وعند المخالفة يكون قد حرم ما أحل الله له وفي هذا أشد عقاباً يلحظه من استنار قلبه بنور الايمان واستقام نهجه على طريق الرحمن .

٦. عدم الإهتداء إلى الحق :

ويتمثل هذا العقاب الدنيوى في عدم الإهتداء الظالمين إلى الحق كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ (١) ، قال الإمام الطبرى في معنى هذه الآية : " إن الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ فكفروا بالله بجحود ذلك وظلموا بمقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم عباد الله ، وحسداً للعرب ، وبغيا على رسوله محمد ﷺ ﴿ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ يعني : لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقوبتهم عليها ولكنه يفضحهم بها بعقوبته إياهم عليها ﴿ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾ يقول الإمام : و لم يكن الله تعالى ذكره ليهدي هؤلاء الذين كفروا وظلموا الذين وصفنا صفتهم فيوفقهم لطريق من الطرق التي ينالون بها ثواب الله ويصلون بلزومهم إياه إلى الجنة ولكنه يخذلهم عن ذلك حتى يسلكوا طريق جهنم وإنما كنى بذكر الطريق عن الدين وإنما معنى الكلام : لم يكن الله ليوفقهم للإسلام ولكنه يخذلهم عنه إلى طريق جهنم وهو الكفر يعني : حتى يكفروا بالله ورسله فيدخلوا جهنم ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ يقول : مقيمين فيها أبدا ، ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ . (٢)

وكل هذا يدل على عدم هدايتهم في الدنيا إلى الصواب من الأفعال ، فيكون هذا سبباً لدخولهم جهنم يوم القيامة . وذلك لأن الله تعالى يعاقب الكفار في الدنيا بالختم والطبع على قلوبهم والصرف عن تدبر آياته ، وكل هذه العقوبات في الحقيقة إبعاد لأصحابها عن الإهتداء إلى طريق الجنة .

٧. إحباط الأعمال :

هذه العقوبه وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم ، وجاءت مقترنة بالدنيا في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (٣) ، يقول الراغب : وحبط العمل على أضرب :

---

(١) . سورة النساء . آية ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) . انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لإبن جرير الطبري ، ٦/ ١٦٩ ، ط : دارالفكر ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٨
(٣) . سورة آل عمران . آية ٢٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأول : أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني يوم القيامة غناء ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ . (١)

الثاني : أن تكون الأعمال أخروية ، ولكن صاحبها لم يقصد بها وجه الله . كما روي عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) . (٢)

الثالث : أن تكون أعمالا صالحة يكون بإزائها سيئات تزيد عليها . وهذا هو المشار إليه بخفة الميزان . (٣)

قال الإمام الطبري : ﴿ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ يعني : بطلت أعمالهم ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ فأما في الدنيا فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس لأنهم كانوا على ضلال وباطل و لم يرفع الله لهم بها ذكرا بل لعنهم وهتك أستارهم وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة فذلك حبوطها في الدنيا وأما في الآخرة فإنه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها لأنها كانت كفرا بالله فجزاء أهلها الخلود في الجحيم . (٤)

---

(١) . سورة الفرقان . آية ٢٣ .

(٢) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، ص : ١٥٢ ، رقم الحديث :٨٥٢ .

(٣) . المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني ، ص : ١١٣ .

(٤) . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لإبن جرير الطبري ، ٣/ ٢١٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨. العقوبات الحسية :

ومن العقاب الدنيوى الذى وصفه الله تعالى وحددته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، عقوبات الجرائم العامة والجنايات التى تصيب الأصول العامة والأسس الضرورية للحياة الإنسانية لحفظ كيان المجتمع البشرى وصيانتة سلامته وحماية مصالحه من الفساد والتدهور والإنحطاط .

كان من عدل الله تعالى ورحمته بخلقه أن شرع لهم عقوبات زاجرة لحفظ الأمور الخمسة التى تقوم عليها الحياة الإنسانية الكريمة التى تقتضى توفر هذه الأمور والمحافظة عليها ومنع الإعتداء عليها وهى :

١.المحافظة على الدين .

٢.المحافظة على النفس .

٣.المحافظة على العقل .

٤.المحافظة على العرض .

٥.المحافظة على المال .

وإن هذه الأصول قد جاءت جميع الشرائع السماوية للمحافظة عليها وبنيت عليها العقوبات كلها في الإسلام . فلما كانت هذه الأمورمن المصالح المقررة الثابتة فقد قرر القرآن الكريم والسنة والنبوية الشريفة عقوبات تضمن صيانتها وحفظها وزاجرة عن الاعتداء عليها مؤدية إلى درء المفاسد عن المجتمع البشرى ومحققة لمصلحته .

وفيما يلي سوف أبين ما شرعه الله تعالى من عقوبة على كل جريمة تمس أحد هذه الأمور الخمسة السابقة .

وهذه العقوبات تنقسم إلى قسمين :

١. قسم يسمى بالحدود والقصاص وهى الجزاءات والعقوبات النصية التى حددها القرآن الكريم والسنة النبوية تحديدا دقيقا .

٢. وقسم يسمى بالتعزيرات وهى الجزاءات والعقوبات التفويضية التى فوض فيها الأمر للأمام أن يعاقب عليها بما يراه رادعاً لفاعلها وزاجراً لغيره .

أما الحدود فهي تحتوي على عقوبات الردة ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والسرقة ، و الحرابة . والآن نذكر نبذة بالإيجاز عن كل حد فيما يلي :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١. عقوبة الإعتداء على الدين بالإرتداد :

تعريف الردة : إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان ، إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان ، فالرجوع عن الإيمان يسمى ردة في الشرع (١) . فالمرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر في الإصطلاح الفقهاء . (٢)

ولقد اعتبر القرآن الردة من أشد التضليل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾ (٣) ، وذلك لأن العقيدة الدينية من الضروريات الإنسانية التى أجمعت الشرائع السماوية كلها على وجوب المحافظة عليها . ومن ثم شرع الاسلام أشد العقوبات عليها في الدنيا وهي القتل زيادة على ما ينال المرتد من عقاب شديد في الآخرة .

والعقاب الدنيوى لهذه الجناية هو القتل ، وقد ثبت بحديث الرسول ﷺ أنه قال : " من بدل دينه فاقتلوه " (٤) . وهذا القتل الذى قرره الرسول ﷺ جدير بهذه الجناية الشنيعة إذ بقاء المرتد بين العباد مفسدة لهم ولا خير يرجى في بقائهم ، لأن الله تعالى لا يسوغ لأهل الأهواء أن يعبثوا بالدين أو يتخذه لهواً ولعباً . ويبين القرآن الكريم عقوبة المرتد في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . (٥)

فجعل الله تعالى عقوبة المرتد حبوط أعماله ، والمراد به زوال آثارها وثوابها المرتب عليها شرعاً وذلك يشمل آثارها في الدنيا والآخرة . ولقد قرر القرآن ذلك في عدة آيات ، نذكر منها قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . (٦)

فالمرتد تزول عنه خصائص الإسلام من حرمة النفس والمال والعرض والصلات عليه بعد الموت والدفن في مقابر المسلمين وغير ذلك من الأحكام التى تناله بعد ردته .

---

(١) . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، لإمام علاءالدين الكاساني الحنفي ، ٧ /١٣٤، ط: الثالثة ١٤٠٦ه ، ١٩٨٦م دارالكتب العلمية . بيروت .

(٢) . المغني ، لإبن قدامة ، ١٢/ ٢٦٤ ، دارعالم الكتب للطباعة والنشر، ط : الثالثة ، ١٤١٧ه ، ١٩٩٧م .

(٣) . سورة النساء . آية ١٣٧ .

(٤) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، ص : ١١٩٣ ، رقم الحديث : ٧٩٢٢ .

(٥) . سورة البقرة . آية ٢١٧ .

(٦) . سورة المائدة . آية ٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. عقوبة الجناية على النفس البشرية :

لقد كرم الله تعالى الإنسان وأعلى من قدره وشأنه حتى وضعه على قمة الكائنات التي خلقها في هذه الحياة يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١) ، ومن ثم فقد غلظ واشتد في عقوبته من يتعدى على نفس الانسان واعتبر أن من قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً ، وأن إحياء النفس الواحدة بمثابة إحياء الناس جميعا . يقول الله تعالى :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، وفى هذا إشارة إلى عظيم جريمة القتل والإعتداء على الغير ، فانه إعتداء على حق الحياة المقدسة ، وهو حق ثابت لكل الناس مما يجعل الإعتداء على النفس البشرية من أخطر الجرائم وأبشع الجنايات ، ولذلك تكرر النهى في القرآن الكريم عن القتل . قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ . (٤)

ولقد جعل الله تعالى عقوبة القاتل المتعمد أو المعتدى على غيره من بنى الإنسان بقتل أو جرح القصاص قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) ، فالله تعالى قد فرض علينا العدل في القصاص فالقاتل يقتل قصاصاً عقوبة بالمثل لأن مادة القصاص تدل على التساوى والتعادل و التماثل ، وفي شرع القصاص ، وهوقتل القاتل حكمة جليلة وسر عظيم لأن فيه صيانة المجتمع من الفساد والتدهور . وذلك أن القاتل إذا علم أنه يقتل إذا اقترف هذا العمل الشنيع امتنع عن القتل وفي امتناعه حياة لنفسه وحياة للمقتول وحياة لجميع الخلق ، ولقد بين الله تعالى حكمة مشروعية القصاص بقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦) ، كما شرع الله تعالى عقوبة الاعتداء على الأطراف والجوارح بقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ

---

(١) . سورة الإسراء . آية ٧٠ .
(٢) . سورة المائدة . آية ٣٢ .
(٣) . سورة الأنعام . آية ١٥١ .
(٤) . سورة الإسراء . آية ٣٣ .
(٥) . سورة البقرة . آية ١٧٨ .
(٦) . سورة البقرة . آية ١٧٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) ، فهذه الآية الكريمة وان كانت حكاية لما كتبه وفرضه الله تعالى التوراة على بنى اسرائيل إلا أن ورودها في القرآن الكريم يجعلها شرعاً لازماً علينا يجب تطبيقه لاسيما أنه لم يرد ما ينسخه .

وقال الحسن البصرى (٢) : هي عليهم وعلى الناس عامة (٣) ، ويفسر سنة رسول الله ﷺ فقد روى البخارى بسنده عن أنس ابن مالك ﷺ (٤) : " أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا إلى أهلها العفو فأبوا فعرضوا عليهم الأرض فأبوا . فأتوا رسول الله ﷺ فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص فقال : أنس بن النضير : يا رسول الله ﷺ أتكسرثنية الربيع ، لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول الله ﷺ يا أنس : كتاب الله القصاص فرضى القوم فعفوا فقاله رسول الله ﷺ " إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره " (٥) .

ولقد أوجب الله تعالى عقوبة الدية والكفارة على القاتل غيره خطأ كمن أراد أن يرمى صيدا فأصاب ملسما فعلى القاتل في هذه الحالة تحرير نفس مؤمنة من الرق . وأن يدفع دية إلى المقتول : قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾ . (٦)

ومن النصوص نستفيد ما يأتي :

١. أن القاتل عمدا يقتص منه .

٢. إذا عفى عنه أولياء المقتول ورضوا بالدية وجب عليه دفع الدية .

٣. أن الجروح قصاص .

٤. أن القاتل قتلا خطأ عليه الدية والكفارة .

وبذلك نشاهد أن الاسلام بما شرعه من عقوبة الاعتداء على البشرية فيه علاج شاف للطبائع البشرية والنفوس الشريرة التى تميل إلى الاعتداء على الغير . وفيه قضاء على الاجرام وردع للمعتدين وزجر وحماية للنفس الانسانية وصيانة لها من الهدم الهلاك .

---

(١) . سورة المائدة . آية ٤٥ .

(٢) . هو الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار البصري أبوسعيد مولى زيد بن ثابت ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمربن الخطاب ﷺ بلغ من العمر تسعا وثمانين سنة , انظر: سيرأعلام النبلاء ٤/٥٨٨- ٥٦٣.

(٣) . تفسير القرآن العظيم ، ص : ٦٢٢ .

(٤) . هو أنس بن مالك بن النضربن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار أبوحمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية شهد بدرا وغيرها من الغزوات توفي سنة ٩٣ هـ وكان عمره (١٠٠سنة) , انظر: الإصابة في تميزالصحابة ١/٢٧٦ وتهذيب الكمال ٣/٣٥٣

(٥) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) ص : ٧٦٥ ، رقم الحديث : ٤٥٠٠.

(٦) . سورة النساء . آية ٩٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣ . عقوبة الإعتداء على العقل :

لقد شرف الله تعالى الإنسان وميزه بميزة كبرى وهي العقل . وبالعقل يتلقى الانسان ويفهم أوامر الله تعالى ونواهيه وهو مناط التكليف وأساس مسؤولية الإنسان . لذلك نهى الله تعالى عن كل ما يؤدى إلى تعطيل القوى العقلية ، ومن أضر الأشياء على العقل وأشدها فتكا به شرب الخمر .

ولقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن تناول الخمر وحذرهم منها قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (٢) ، وقال النبي ﷺ " كل مسكر خمر وكل خمر حرام . ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة " . (٣)

لم ينص القرآن الكريم على عقوبة جريمة الشرب ، ولكن نصت السنة المطهرة على ذلك فقد أخرج البخارى في صحيحه عن أنس ﷺ قال " جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر ﷺ (٤) أربعين " . (٥)

وكما جاء في حديث عن أنس ﷺ " أن النبي ﷺ اتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريد نحوا أربعين . قال وفعله ابوبكر ﷺ فلما كان عمرﷺ استشار الناس فقال عبد الرحمن ﷺ (٦): اخف الحدود ثمانين " . (٧)

ونلخص من كل ما تقدم إلى أن القرآن الكريم لم يحدد حد الخمر . وأن الرسول ﷺ جلد مقدار أربعين وسار على ذلك خليفته من بعده أبوبكر الصديق ﷺ ثم عمر ﷺ ضرب ثمانين .

---

(١) . سورة البقرة . آية ٢١٩ .

(٢) . سورة المائدة . آية ٩١ .

(٣) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ، ص :٨٩٦ ، رقم الحديث : ٧٥ .

(٤) . هو أبوبكرالصديق ﷺ بن أبي قحافة صاحب رسول الله ﷺ في الغار والهجرة ، كان من أعلم الصحابة ، زاهداً متواضعاً توفي في سنة ١٣ه . أنظر أسد الغابة ، لابن الأثير ٣ / ٣٠٩ – ٣٣٥ .

(٥) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في ضرب شارب الخمر ، ص : ١١٦٨ ، رقم الحديث : ٦٧٧٣ .

(٦) . هو عبدالرحمن بن عوف ﷺ بن عبد عوف ، أحد العشرة المبشربين بالجنة ، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين ، أسلم قديماً قبل دار الأرقم ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً . توفي سنة ٣١ه ، ودفن بالبقيع . أنظر الاصابة ٤ / ٢٤٧ – ٢٥٠ .

(٧) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب حد الخمر ، ص : ٧٥٦ ، رقم الحديث : ٣٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والذي يهمنا في هذا المقام أن نظهر أن الإسلام قد حرص كل الحرص على تكريم الإنسان وإحترامه . وهو في تشريعه حداً وتعزيراً وتأديباً لشارب الخمر ، تأكيداً على حرصه حماية الإنسان وإعلاء لشأنه بين جميع الكائنات .

٤. عقوبة الإعتداء على العرض :

لقد أوجب الإسلام عقوبة زاجرة رادعة لمن يعتدى على أعراض الناس ، لأجل المحافظة على الأنساب. والإعتداء على الأعراض يأتي من جهتين :

١. الإعتداء بالزنا .

٢. الإعتداء بالقذف .

١. الإعتداء بالزنا :

الزنا شرعاً : وطء المرأة من غير عقد شرعي (١) . فالزنا جريمة قبيحة من جرائم الإعتداء على الأعراض . فحرمها الله تعالى بالنص الصريح بقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، وفي هاتين الآيتين بيان لما يأتي :

١. حكم الزانى الذى لم يتزوج بأنه يجلد مائة جلدة .

٢. أن يكون جلد الزناة بحضرة الناس المؤمنين فإنه يكون أبلغ في زجرهما .

٣. تحريم نكاح الزانى والزانية .

وهذا إذا لم يكن محصناً ولا خلاف بين الفقهاء في ذلك . أما إذا كان الزانى محصناً فعقوبته الرجم حتى الموت ، وقد ثبتت هذه العقوبة بالسنة النبوية . وقد فصلت كتب الفروع المحررة كل ما يتصل بأحكام هذه العقوبة وما يترتب عليها من آثار .

وان المتتبع لنصوص القرآن الكريم يجد كثيرا من الآيات القرآنية تقرن النهى عن قتل النفس بالنهى عن الزنى ، أذكرمنها قوله تعالى :

---

(١) . المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٢٠ .

(٢) . سورة النور . آية ٢ ، ٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (١) ، ومن هذا النص يتبين أن بين الزنى وقتل النفس صلة ومناسبة أوجهة جامعة ، لأن في جريمة القتل إعتداء على نفس واحدة ، فجريمة الزنا إعتداء على أنفس كثيرة كانت تريد حياة كريمة ، فلم تنلها أونالتها ذليلة منبوذة . من أجل تلك النتائج البعيدة المدى في الجماعة وفي مصلحة الشخص نفسه ، كانت عقوبة الزنى من أغلظ العقوبات في التشريع الإسلامى .

٢. الإعتداء بالقذف :

القذف شرعاً : هو الرمى المحصن بالزنا ، أي نسبة الشخص إلى الزنا بشروط معينة (٢) . والقذف محرم بنص القرآن ويوجب الحد بقدر ثمانين جلدة إذا توافرت شروط القذف طبقاً لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . (٣)

وهذا النص القرآنى يبين عقوبة القاذف في الدنيا إذا لم يقم بينة على ما قاله . وكان المقذوف بالغاً عاقلاً عفيفاً وهوالمراد بالإحصان وهى ثلاثة أمور :

١. أن يجلد ثمانين جلدة .

٢. أنه ترد شهادته أبدا .

٣. أن يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله تعالى ولا عند الناس .

والقذف بالزنا من السبع الموبقات وفقا لقول الرسول ﷺ " اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال ﷺ: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) . (٤)

٥ . عقوبة الإعتداء على المال :

إن الإسلام يحافظ على المال الذى هو أصل من الأصول الخمسة ، وان من حق الإنسان أن يكون له مالاً يستعين به في معيشته ليقوم بحقوق دينه ودنياه على أكمل وجه . والمال هو الذى تتوقف عليه حاجات الإنسان في كل زمان ومكان . ولما كان هذا شأن المال وضع الإسلام نظاماً كاملاً يكفل

---

(١) . سورة الفرقان . آية ٦٨ .

(٢) . بدائع الصنائع ، للكاساني ، ٧/ ٤٠ .

(٣) . سورة النور . آية ٤ .

(٤) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، باب رمي المحصنات ، ص : ١١٨٢ ، رقم الحديث : ٦٨٥٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حفظ أموال الناس وصيانتها من العبث والضياع ، من ذلك أن حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل ، فحرم الربا والغصب والرشوة والسرقة وغير ذلك .

والإعتداء على المال يأتي من جهتين :

١. السرقة .

٢. الحرابة أو قطع الطريق .

١. السرقة :

يعرفها الفقهاء بأنها " الأخذ على سبيل الإستخفاء " (١) . وقال الراغب : أخذ ما ليس له أخذه في خفاء وصار ذلك في الشرع لتناول الشيء من موضع مخصوص وقدر مخصوص . (٢)

وشرع الله تعالى عقاباً رادعاً زاجراً لكل من يتعدى على أموال الناس بالسرقة . ونص القرآن الكريم على قطع يد السارق بقوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . (٣)

فقرر الله تعالى قطع يد كل من يأخذ مال غيره على وجه الخفية والإستتار عقاباً على صنيعه السيء وحيث أخذ أموال الناس بيده ناسب أن يقطع ما استعان به في ذلك تنكيلا من الله تعالى على ارتكاب ذلك . وقد بينت السنة الشريفة مقدار نصاب السرقة التي توجب القطع .

فعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال " تقطع يد السارق في ربع دينار " . (٤)

وعن أبي هريرة (٥) ﷺ عن النبي ﷺ قال " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده " . (٦)

وعن ابن عمر ﷺ قال " قطع النبي ﷺ فى مجن ثمنة ثلاثة دراهم ". (٧)

وغير ذلك من الأحاديث التي توضح ما شرعه الله تعالى من عقوبة للسارق وذلك حفظاً لأموال الناس ومنعاً من الإعتداء عليها وتأكيداً لأمن الناس وراحتهم .

---

(١) . بدائع الصنائع ، للكاساني ، ٧/ ٦٥ .

(٢) . المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) . سورة المائدة . آية ٣٨ .

(٤) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب قول الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ، ص : ١١٧٠ ، رقم الحديث : ٦٧٨٩.

(٥) . هو عبدالرحمن بن صخر وقيل عبد الشمس وعبدالله كان أكثر الصحابة حفظا لحديث رسول الله ﷺ وأكثرهم رواية كناه النبي ﷺ بأبي هريرة أسلم عام خيبر روى عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي توفي سنة ٥٧هـ انظر الإصابة ٢٠٢/٤-٢١١ وأسد الغابة ٣١٨/٦-٣٢١.

(٦) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب لعن السارق إذا لم يسم ، ص : ١١٦٩ ، رقم الحديث : ٦٧٨٣ .

(٧) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب قول الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ، ص : ١١٧١، رقم الحديث : ٦٧٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. الحرابة أو قطع الطريق :

يعرفها الفقهاء " بأنها الخروج على المارة لأخذ المال على سبيل المغالبة على وجه يمتنع المارة عن المرور وينقطع الطريق ، سواء كان القطع من جماعة أو من واحد بعد أن يكون له قوة القطع ، وسواء كان القطع بسلاح أو غيره . وسموا مرتكب هذه الجريمة بالمحارب . (١)

والفرق بين السرقة والحرابة ، أن في السرقة يؤخذ فيها المال دون علم المجني عليه دون رضا ، أما في الحرابة يؤخذ فيها المال بعلم المجنى عليه ولكن بغير رضاه على سبيل المغالبة . (٢)

و قد نص القرآن الكريم على تحريم هذه الجريمة وشدد في عقوبتها . فقد شرع عقوبة قوية زاجرة على قطاع الطريق والمحاربين لله تعالى الذين يغتصبون أموال الناس ظلماً وكرهاً ويخرجون على المارة لسلب أموالهم على سبيل المغالبة والتخويف والفساد في الأرض . قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) ، فاعتبر الله تعالى قاطع الطريق محارب لله ولرسوله ، لأنه يحارب شرع الله ويحارب المجتمع الذى جاء الإسلام لحمايته وتثبيت أمنه وسلامته لذلك وضع الإسلام لكل من يفعل ذلك عقوبة تتناسب مع بشاعة جريمته .

روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال " إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا و لم يأخذوا المال قتلوا و لم يصلبوا . وإذا أخذوا المال و لم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف . وإذا أخافوا السبيل و لم يأخذوا نفوا من الأرض " . (٤)

ولقد أوقع الرسول ﷺ أفظع العقوبات على من فعل ذلك . روى عن أنس بن مالك ﷺ : " أن نفرا من عكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا الأرض وسقمت أجسامهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال (ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها و ألبانها ؟) فقالوا بلى فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطردوا الإبل فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم فأدركوا فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا (٥) .

---

(١) . بدائع الصنائع ، للكاساني ، ٧/ ٩٠ ، ٩١ .

(٢) . التشريع الجنائي الإسلامي ، عبدالقادرعودة ، ٢ / ٥١٤ ، ط : الرابعة عشرة ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٩٧م .

(٣) . سورة المائدة . آية ٣٣ .

(٤) . تفسيرالقرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص : ٦١٢ .

(٥) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب حكم المحاربين والمرتدين ص:٧٣٨ ، رقم الحديث : ١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا ما شرعه الله تعالى من عقوبات للجرائم الكبيرة التي تهدد كيان المجتمع وتصيب بنيانه وتخيف أفراده وتسلب سلامته وأمنه .

٦. التعزيرات :

معناه لغة : ضرب دون الحد ، لمنع الجاني عن المعاودة وردعه عن المعصية (١) .

وشرعاً : " تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود " (٢) .

فإن جرائم التعزير هي محظورات شرعية ليس لها عقوبة مقدرة من قبل الشارع ، وتختلف مقادير هذه العقوبة وصفاتها حسب كبر الذنوب وصغرها ، وحسب حال المذنب وحال الذنب في قلته وكثرته ، وقد ذكر ابن تيمية امثلة لهذه المعاصي مثل الخلوة بالأجنبية أو المباشرة بلا جماع أو أكل ما لا يحل كالدم والميتة أو القذف بغير الزنا أو السرقة من غير حرز أو شيئا يسيرا أو الخيانة من الأمانة أو الغش في المعاملة كالغش في الأطعمة والثياب وما إلى ذلك أو شهادة الزور أو الإلقاء أو الإشارة في حكم أو الحكم بغير ما أنزل الله أو غير ذلك من أنواع المحرمات .

قال الإمام ابن تيمية ما نصه : " وأما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة كالذي يقبل الصبي والمرأة الأجنبية أو يباشر بلا جماع أو يأكل ما لا يحل كالدم والميتة أو يقذف الناس بغير الزنا أو يسرق من غير حرز أو شيئا يسيرا أو يخون أمانته كولاة أموال بيت المال أو الوقوف ومال اليتيم ونحو ذلك إذا خانوا فيها وكالولاء والشركاء إذا خانوا أو يغش في معاملته كالذين يغشون في الأطعمة والثياب ونحو ذلك أو يطفف المكيال والميزان أو يشهد بالزور أو يلقن شهادة الزور أو يرتشي في حكمه أو يحكم بغير ما أنزل الله أو يعتدي على رعيته أو يتعزى بعزاء الجاهلية أو يلبي داعي الجاهلية إلى غير ذلك من أنواع المحرمات فهؤلاء يعاقبون تعزيزا وتنكيلا داعي الجاهلية إلى غير ذلك من أنواع المحرمات فهؤلاء يعاقبون تعزيزا وتنكيلا وتأديبا بقدر ما يراه الوالي على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقلته فإذا كان كثيرا زاد في العقوبة بخلاف ما إذا كان قليلا وعلى حسب حال المذنب فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته بخلاف المقل من ذلك وعلى حسب كبر المذنب وصغره

---

(١) . انظر: لسان العرب ، لإبن منظور، بتحقيق : عامرأحمد ، مادة (عزر) ، ٦٤٦/٣ ، ط : الأولى ١٤٢٤ه ، ٢٠٠٣م ،دارالكتب العلمية ، بيروت . وتاج العروس ، للزبيدي ، بتحقيق: د/ حسينن نصار ، ٢٠/١٣ ، مطبعة حكومة الكويت.

(٢) . الأحكام السلطانية ، لأبي الحسن الماوردي ، ص : ٢٣٦ ، دارالكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ه ، ١٩٧٨م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيعاقب من يتعرض لنساء الناس وأولادهم ما لا يعاقبه من يتعرض إلا لإمرأة واحدة أو صبي واحد " . ([1])

والإمام أو من ينوب عنه ، يقدر عقوبة التعزير . ولهذا قال الفقهاء أن من الفروق بين الحد والتعزير أن الحد مقدر والتعزير مفوض إلى رأى الإمام . والإمام أو نائبه ، كالقاضى ، في تقديره عقوبة التعزير لا يصدر الحكم عن الهوى وإنما من واجبه أن يلاحظ جسامة الجريمة وظروفها ومقدار ضررها وحال الجانى من كونه ذوى الأخلاق والجاه و لم يرتكب من قبل جريمة .

من أجل هذا تركت الشرعية الإسلامية المجال فسيحاً ، والامر متسعاً أمام القاضى أو ولى الأمر لتقدير الملائم من هذه العقوبات . وهو من باب السياسة الشرعية ، بل قد اعتبر بعض الفقهاء السياسة الشرعية هي التعزير ، أو العكس .

ويمكن القول بأن العقوبات المقدرة في الشريعة ، هى طريق الوصول إلى العقوبات غير المقدرة . وانه يمكن ان نأخذ من الحدود أساسا تبنى عليه عقوبات جرائم التعزير ، ذلك أن حدود الله تعالى قد جاءت من أجل رعاية المصالح المعتبرة في الإسلام ، فكل ما يتضمن المحافظة على الأصول الخمسة أو أدى إلى ذلك فهو مصلحة وكل ما تضمن تفويتها أو أدى إليه فهو مفسدة .

فالقاعدة العامة في ذلك أن كل عقوبة تؤدى الى تأديب المجرم واستصلاحه وزجر غيره وحماية الجماعة من شر المجرم والجريمة هي عقوبة مشروعة . ([2])

([1]) . السياسة الشرعية ، لإبن تيمية ، ص : ١١١-١٢ ، ط : الرابعة ، دارالكتاب العربي ، بمصر.

([2]) . التشريع الجنائي الإسلامي ، عبدالقادرعودة ، ١ / ٦٨٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني : الجزاء الإلهي في الآخرة

المبحث الأول : الجزاء الإلهى في الآخرة للصالحين :

التمهيد :

١ . الجزاء في الدنيا ليس شاملا :

وبعد أن ذكرنا في الفصل الماضى بعض مظاهر الجزاء الدنيوى للصالحين والطالحين ، أريد أن أنبه هنا إلى أمر مهم وهو أن الجزاء في الدنيا ليس شاملاً ولا كاملاً . فقد يفعل أحد الناس خيراً ولا يعطى ثوابه في الدنيا بل يدخر الله تعالى له الثواب في الآخرة . وقد يفعل البعض إجراماً ومعاصى ، ولا يلحقه شيئا من العقاب في الدنيا بل يمهله الله تعالى إلى الآخرة ليكون عقابه أشد وعذابه أقوى وأغلظ . لذا الجزاء بنوعيه ثواباً أم عقاباً ليس شاملا ولا تاماً ولا كاملاً في الدنيا ، وهذا ما تؤكد وتدعمه آيات القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (١) ، يبين الله تعالى أن كل ما يصيب الناس من مصائب في الدنيا إنما هي بسبب ما كسبت واقترفت أيديهم من سيئات ومعاصى ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ ، لبيان أنه تعالى قد يعفوا عن كثير من السيئات فلا يعاقب عليها بل يعفوا عنها .

ذكر الإمام الرازي في تفسيره : " بأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، وهذه سنّة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يعجل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة " . (٢)

ويزيد الأمر تقريراً وتأكيداً ، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ (٣) ، ومعناه أن الله تعالى لوأخذ الناس في الدنيا بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل الأرض ولكنه يمهلهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يوم الحساب الأوفى ، ويجازى كل عامل بعمله فتثيب أهل الطاعة ويعاقب أهل المعصية .

---

(١) . سورة الشورى . آية ٣٠ .

(٢) . التفسير الكبير ، لإمام الرازي ، ١٤ / ١٧٤ ، دار الفكر ، بيروت . ط : ١٤١٠ ه ، ١٩٩٠م .

(٣) . سورة فاطر . آية ٤٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ . الجزاء الأخروى :

إن القارئ للقرآن الكريم والمتدبر في آياته يلحظ في كل سورة من سور القرآن الكريم الإهتمام البالغ بالحياة الآخرة بحيث لا تخلو سورة من سور القرآن من ذكر الآخرة أو الإشارة إليها ، بل نجد بعض السور تتجه كل آياتها لتجلية معالم الآخرة وابراز حقائقها وصورها . وذلك لإقناع الناس بأن الدار الآخرة هي الحق الواقع والأصل الثابت يرى فيها المرء الجزاء الكامل على أعماله في الدنيا إن خيراً فخير إن شراً فشر . والدار الآخرة هي الدار الحاصلة بعد الموت التى يقع فيها البعث والنشور والحشر والحساب والجنة والنار . يقول الراغب " ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى . (١)

فالحياة الآخرة هي التى يتحقق فيها الجزاء التام الكامل على الأعمال وتشمل كل ما وردت به النصوص القطعية من بعث وحشر وحساب وجنة ونار .

٣ . وجود الجنة والنار :

من المتفق عليه عند الجمهور أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان وهما باقيتان ، وأن الله تعالى قد أعدهما وهيأهما ليكونا مستقراً لعباده الجنة لأهل الطاعة والإيمان . والنار لأهل الكفر والعصيان .

و لم يخالف ذلك إلا بعض ممن ضعف إيمانهم وتضاءلت عقولهم عن فهم النصوص القطعية الثابتة الدالة على وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان وما تمسكوا به من أدلة لا ينظر إليه ولا يؤبه به لذلك أذكر هنا فقط الأدلة التى تمسك بها العلماء المحققون من أهل السنة والجماعة .

يقول ابن القيم : " لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على إعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم أليها وأخبروا بها ، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة الله فيما يفعله " (٢)

ويقول ابن حزم (٣) : " ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقها بعد وذهب

---

(١) . مفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٢٣ .

(٢) . حادي الأفراح إلى بلاد الأفراح ، لإبن القيم ، بتحقيق : الدكتور السيد الجميلي ، الباب الأول : في بيان وجود الجنة ، ص : ٣٧ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ه ، ١٩٨٨م ، دار الكتاب العربي .

(٣) . هو الإمام أبو محمدعلي بن أحمد الشهير بابن حزم الأندلسي الظاهري صاحب اللسان الشديد برع في فنون كثيرة ومن مؤلفاته: المحلى في الفقه, الفصل في الملل والأهواء والنحل, ولدسنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ١٨/١٨٧-٢١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا " . (١)

ولقد تضافرت نصوص القرآن والسنة على إثبات ما ذهب جمهور المسلمين من كون الجنة والنار مخلوقتان الآن فالله تعالى يقول في شأن الجنة : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، ويقول تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) ، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن . وقد عبر القرآن بصيغة الماضي في قوله (أعدت) وهذا التعبير يفيد أنها مخلوقة موجودة وفي قصة المعراج يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ (٤) ، مما يفيد أن النبي ﷺ رأى سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في حديث أبي ﷺ في قصة الإسراء حيث يقول في آخره : (ثم أنطلق بي جبريل حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هي ؟ ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك " (٥) .

وأخبر الله تعالى أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

ويقول في شأن النار : ﴿ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٧) ، ويقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ (٨) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ . (١٠)

وغيرذلك من الآيات الدالة على وجود النار . أما الأحاديث الدالة كذلك على وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان فكثيرة تقتصر على ذكر حديثين فقط منها عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) . الفصل والملل والأهواء والنحل ، لإبن حزم ، الكلام في خلق الجنة والنار ، ٤/ ٨١ ، دار الفكر ، ١٤٠٠ه ، ١٩٨٠م .
(٢) . سورة آل عمران . آية ١٣٣ .
(٣) . سورة الحديد. آية ٢١ .
(٤) . سورة النجم . آية ١٣- ١٦ .
(٥) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ، ص : ٥٥٦ ، رقم الحديث : ٣٣٤٢
(٦) . سورة السجدة . آية ١٩ .
(٧) . سورة آل عمران . آية ١٣١ .
(٨) . سورة الكهف . آية ٢٩ .
(٩) . سورة الكهف . آية ١٠٢ .
(١٠) . سورة غافر . آية ٤٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

" إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " . (١)

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فاقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) . (٢) وغيرذلك من الآحاديث التي تقرر وتؤكد أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن ومعدتان لإستقبال الخلق .

مظاهر الجزاء الإلهي في الآخرة للصالحين :

إن الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين الأبرار بدار في الآخرة ينعمون بجمالها و يبتهجون بحسنها ويقيمون في ظلها وينالون فيها كل ما تشتهيه أنفسهم و تقر به أعينهم ثواباً من الله تعالى بسبب ما قاموا به من أعمال حسنة طيبة ومراعاتهم لمسؤلياتهم ، وأدائهم لأمور عبادتهم .

والقارئ للقرآن الكريم ليجد فيه ذكر كثير من هذه الألوان النعم وهذا الخير الذي وعد الله تعالى عباده الصالحين . ولو تتبعنا كل ما جاء في القرآن الكريم من ذلك فسوف يطول الحديث جدا . ولهذا سوف اقتصر فيما يلي على بعض مظاهر هذه النعم التي أعدها الله تعالى لعباده الصالحين في الآخرة .

١. الجنة متبوأ المؤمنين :

يقرر القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة أن الجنة و نعيمها متبوأ المؤمنين ومستقرهم و ميراثهم الذى يرثونه بسبب أعمالهم الطيبة في الدنيا قال تعالى ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٣) ، كما قال تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) كما قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . (٥)

ولذلك كان من دعاء ابراهيم عليه السلام فيما حكاه القرآن الكريم ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٦)ويقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ (٧) ، فالله

---

(١) . صحيح البخاري ،كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه بالغداة والغشي ، ص : ٢٢١ ، رقم الحديث : ١٣٧٩ .

(٢) . صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، ص : ٥٤١ ، رقم الحديث : ٣٢٤٤ .

(٣) . سورة مريم . آية ٦٣ .

(٤) . سورة المؤمنون . آية ١٠ ، ١١ .

(٥) . سورة الزخرف . آية ٧٢ .

(٦) . سورة الشعراء . آية ٨٥ .

(٧) . سورة العنكبوت . آية ٥٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سبحانه وتعالى هيأ وسوى و زين الجنة للمؤمنين ، لذا يقولون عند دخولهم إليها : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ . (١)

فحمدوا الله تعالى واثنوا عليه حيث أورثهم الجنة وجعلها متبؤهم ومستقرهم وحقق لهم ما وعدهم به في مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (٢) ، وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تؤكد وعد الله تعالى للمؤمنين بأن الجنة ميراثهم و متبؤهم و مستقرهم .

٢. تحيتهم بالسلام :

أن أهل الطاعة والإيمان الذين عاشوا في الدنيا مسلمين لله ﷻ يتفضل الله تعالى عليهم في الآخرة بسلامه كما قال تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (٣) ، كما تحييهم الملائكة بالسلام كلما دخلوا عليهم أو شاهدوهم يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٤) ، كما يحيونهم بذلك عند دخولهم الجنة ﴿ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . (٥)

ويكون السلام تحية بعضهم بعضا ، يقول الله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ، و كما قال تعالى : ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ (٧) . فحياتهم في الجنة خالية عن اللغو والعبث مملوءة بالسلام كما قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ . (٨)

٣ . عدم الخوف :

إن الله تعالى يتفضل على أهل الجنة من المؤمنين والصالحين فيبعد عنهم الخوف والحزن والقلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ . (٩)

---

(١) . سورة الزمر . آية ٧٣ .
(٢) . سورة الكهف . آية ١٠٧ ، ١٠٨ .
(٣) . سورة يس . آية ٥٨ .
(٤) . سورة النحل . آية ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) . سورة النحل . آية ٣٢ .
(٦) . سورة يونس . آية ١٠ .
(٧) . سورة الفرقان . آية ٧٥ .
(٨) . سورة الواقعة . آية ٢٦ .
(٩) . سورة طه . آية ١٢٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاذا كان الخوف قد نفى عن أهل الجنة فهذا يدل على أن كل أسباب ذلك مبعدة عنهم . لذلك سوف يناديهم الله تعالى ويمن عليهم بقوله : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (١)

وهنا يفرح المؤمنون بذلك ويقولون ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢) فهم يثنون ويحمدون ربهم على ما أزاحه عنهم مما كانوا يخافونه و يحذورنه .

وبالجملة فإن الله تعالى يتفضل وينعم على عباده المؤمنين في الجنة بأن يزيح عنهم كل ما يخيفهم أو يحزنهم ، فيحيون في الجنة بسلام أمنين .

٤. طعام وشراب أهل الجنة :

لقد وصف الله تعالى طعام أهل الجنة وبين أن فيه من أنواع الملذات ما تشتهيا الأنفس وتلذ به الأعين ، في آيات كثيرة من القرآن الكريم . يقول الله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ (٣) أي مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ " (٤) ، كما يقول تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ (٥) ويقول تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٦) ، وغير ذلك من الآيات التي تخبر بأن ثمار الجنة وطعامها كثير ومتنوع . يقول تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (٧) . وهذه الطعوم والثمار تكون قريبة دانية من أهل الجنة تقدم إليهم وهم مكرمون ، يقول تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٨)

كما أن الله تعالى يتفضل على أهل الجنة بألذ الشراب وأطيبه ، يقول تعالى في وصف شرابهم : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا

---

(١) . سورة الزخرف . آية ٦٨ .
(٢) . سورة فاطر. آية ٣٤ .
(٣) . سورة يس . آية ٥٧ .
(٤) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٥٧٢ .
(٥) . سورة ص . آية ٥١ .
(٦) . سورة محمد . آية ١٥ .
(٧) . سورة الرحمن . آية ٥٢ .
(٨) . سورة الصافات . آية ٤٢ ، ٤٣ .
(٩) . سورة محمد . آية ١٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ (١) " أي يتعاطون فيها كأسا أي من الخمر ، لا يتكلمون فيها بكلام لاغ أي هذيان ولا إثم أي فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا " . (٢)

٥ . درجات أهل الجنة :

يخبرنا الله تعالى أن الجنة درجات بعضها فوق بعض وأن لكل مؤمن درجة خاصة على حسب إيمانه وطاعته وأعماله الصالحة . قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : " وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة والعاصي منهم في النار كالإنس سواء وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه ومعنى ولكل درجات أي ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب ولكل عامل بمعصية دركات في العقاب " . (٤)

ويقول ابن كثير " أي ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله يبلغه الله إياها ويثيبه بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر " (٥) . ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٨) ، فأهل الجنة يتفاوتون في الدرجات فيرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد و يوضح هذه الدرجات ويفسرها الرسول ﷺ بقوله " في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس " . (٩)

وقال النبي ﷺ " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله ﷺ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " . (١٠)

---

(١) . سورة الطور . آية ٢٣ .
(٢) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٧٧١ .
(٣) . سورة الأنعام . آية ١٣٢ .
(٤) . الجامع لأحكام القرآن ، لإمام القرطبي ، ٧ / ٨٧، ٨٨ .
(٥) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ٧٢٣
(٦) . سورة الأحقاف . آية ١٩ . .
(٧) . سورة النساء . آية ٩٦ .
(٨) . سورة الأنفال . آية ٤ .
(٩) . أخرجه الترمذي في سننه ، صفة الجنة ، في صفة درجات الجنة ، ص : ٥٧٣ ، رقم الحديث : ٢٥٢٩ .
(١٠) . صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، ص : ٥٤٣ ، رقم الحديث : ٣٢٥٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦. مساكن أهل الجنة :

إن الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين الصالحين المتقين بمساكن طيبة في الجنات ثواباً على أعمالهم الصالحة في الدنيا . يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١) ، وبين الله تعالى بأن هذه المساكن غرف مبنية بعضها فوق بعض . يقول الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ (٢) ، " أخبر ﷻ عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ﴿ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات ". (٣)

وقد وصف الله تعالى هذه المساكن بأنها طيبة حسنة جميلة بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) ، كما وصف بأن أهل الجنة سوف يكونون في أمن وسلامة ولا يخافون شيئا في الجنة وفي مساكنهم التي يسكنونها . قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (٥) ، أي هم في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه .

كما أخبرنا الله تعالى إن أهل الجنة يدخلونها و يتعرفون على مساكنهم فيها كأنهم قد سكنوها قبل ذلك . يقول تعالى ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (٦) ، قال مجاهد : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم ، وحيث قسم الله تعالى لهم منها ، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا ، لا يستدلون عليها أحداً (٧) . وبذلك يحيا المؤمنون في الجنة وقصورها ومساكنها حياة سعيدة هادئة طيبة يقيمون فيها أبدا ولا يبغون عنها حولا .

٧. أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة :

جعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين : منزلا في الجنة ومنزلا في النار ، ثم إن من كتبت له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النار ، والذين كتب لهم السعادة من

---

(١) . سورة العنكبوت . آية ٥٨ .
(٢) . سورة الزمر . آية ٢٠ .
(٣) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٦١٧ .
(٤) . سورة التوبة . آية ٧٢ .
(٥) . سورة سبأ . آية ٣٧ .
(٦) . سورة محمد . آية ٦ .
(٧) . تفسيرالقرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص :١٧١٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة ، قال تعالى في حق المؤمنين المفلحين بعد أن ذكر أعمالهم التي تدخلهم الجنة : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ . (٢)

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ، لأنهم خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، فلما قام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم ﷻ ، بل أبلغ من هذا أيضا ، وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال : " يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى " (٣) ، وقال النبي ﷺ " إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً ، فيقول : هذا فكاك من النار " (٤) ، وهذا الحديث كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٥) ، أي " هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله ﷻ في السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس ". (٦)

وذكر الرازي قول الحسن في تفسير هذه الآية " أن المراد أنا ننقل تلك المنازل ممن لو أطاع لكانت له إلى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل هذا النقل إرثاً ". (٧)

---

(١) . سورة المؤمنون . آية ١٠ – ١١ .
(٢) . أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ، ص : ٦٣٥ ، رقم الحديث : ٤٣٤١ .
(٣) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، ص : ١٢٠٠ ، رقم الحديث : ٥١ .
(٤) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، ص : ١١٩٩ ، رقم الحديث : ٤٩ .
(٥) . سورة مريم . آية ٦٣ .
(٦) . تفسيرالقرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص :١١٩٥ و ص: ١٢٩٢.
(٧) . التفسير الكبير ، لإمام الرازي ، ١١ / ٢٠٣ ، دارالكتب العلمية ، بيروت . ط : الثانية ١٤٢٥ه ، ٢٠٠٤م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨ . أفضل ما يُعطاه أهل الجنة :

وأفضل ما يعطاه أهل الجنة من النعيم هو رضوان الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم . وقد صرح الحق تبارك وتعالى برؤية العباد لربهم في جنات النعيم بقوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (١) والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم ، والتكرمة الباهرة ، قال تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ . (٢)

وقال النبي ﷺ : " إذا دخل أهل الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى " ، زاد في رواية : " (٣) ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) ، وقد فسرت الحسنى بالجنة ، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، كما يشير إليه الحديث .

والنظر إلى وجه الله تعالى هو من المزيد الذي وعد الله به المحسنين كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٥) ، وفي حديث عن النبي ﷺ : " إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها – وفي رواية طولها – ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن " . (٦)

٩. صحبة أسرهم وأهل مودتهم :

لقد بشر الله تعالى ووعد عباده الأبرار المتقين الصالحين بأنه يجمعهم بأسرهم وأهل مودتهم في الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (٧) ، قال ابن كثير : أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ؛ لتقر أعينهم بهم ، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى ، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته ، بل امتناناً من الله وإحساناً (٨)

---

(١) . سورة القيامة . آية ٢٢ – ٢٣ .
(٢) . سورة المطففين . آية ١٥ .
(٣) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، ص : ٩٢ ، رقم الحديث : ٢٩٧ .
(٤) . سورة يونس . آية ٢٦ .
(٥) . سورة ق . آية ٣٥ .
(٦) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الرحمن ، ص : ٨٦٣ ، ٤٨٧٩ .
(٧) . سورة الرعد . آية ٢٣ .
(٨) . تفسيرالقرآن الكريم ، لإبن كثير ، ص : ١٠١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (١) ، وقال في تفيسرهذه الآية " يخبر تعالى عن فضله وكرمه ، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه : إن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المترلة وإن لم يبلغوا عملهم ، لتقر أعين الأباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه ، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذلك من عمله ومترلته ، للتساوي بينه وبين ذاك ؛ ولهذا قال : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ " (٢)

١٠ . خلود النعمة :

يقرر القرآن الكريم في كثير من الآيات بأن نعم الدنيا فانية ، ونعم الآخرة باقية أبدية ، لذلك سمى الله تعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعاً ، لأنه يتمتع به ثم يزول ، أما نعيم الآخرة فهو باق ، ليس له نفاد ، كما قال تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ ﴾ . (٣)

قال ابن كثير (مَا عِندَكُمْ يَنفَد) أي يفرغ وينقضي فإنه إلى أجل معدود محصور مقدر متناه (وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) أي وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول (٤) .

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ . (٦)

وهناك آيات كثيرة تؤكد وتقرر دوام واستمرار أهل الجنة في الجنة بلا انقطاع ودوام الجنة وأبديتها . قال تعالى : ﴿ قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا *مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (٨) ، وقال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٩) ، نرى في هذه الآيات المتقدمة بأن الله تعالى قد كرر لفظ : ﴿ أبدا ﴾ وهذا اللفظ لا يأتي إلا بعد وصف أهل الجنة بالخلود فيها أو المكث .

---

(١) . سورة الطور . آية ٢١ .
(٢) . تفسيرالقرآن الكريم ، لإبن كثير ، ص : ١٧٧١.
(٣) . سورة النحل . آية ٩٦ .
(٤) . تفسيرالقرآن الكريم ، لإبن كثير ، ص : ١٠٧٥.
(٥) . سورة ص . آية ٥٤ .
(٦) . سورة الرعد . آية ٣٥ .
(٧) . سورة المائدة . آية ١١٩ .
(٨) . سورة الكهف . آية ٣ .
(٩) . سورة التوبة . آية ٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكل هذا يقرر أبدية الجنة وخلودها ودوام أهلها فيها . ويزيد الأمر تأكيداً في أحاديث رسول الله ﷺ، قال ﷺ : " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم " . (١)

وقال رسول الله ﷺ : " يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ، قال : ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، قال ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . (٢)

هذه هي بعض المظاهر التي ذكرناها في ضوء الآيات القرآنية من ألوان النعيم وأنواع الخير في الآخرة للصالحين ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وهذا هو الفوز الكبير الذي يناله عباد الله المؤمنون الذين سلكوا سبيل ربهم ، واتبعوا سبيل نبيهم ، وقاموا برعاية الأمانة والمسؤلية الموكلة إليهم . فهم يحيون في الجنة حياة سرمدية أبدية ، يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ ﴾ . (٣)

المبحث الثاني : الجزاء الالهى في الآخرة للطالحين :

لقد أخبرنا المولى ﷻ في كتابه الكريم وعلى لسان الرسول ﷺ بأن النار هي مثوى الكافرين بالله والمستكبرين عن طاعته وعبادته وأنها منازل و دركات تتناسب مع مستوى الإجرام والمعصية بمقتضى العدل الإلهي .

وإن القرآن الكريم قد أكثر من ذكر النار وأوصافها و بيان ما فيها من ألوان العذاب وأشكاله حتى لا تكاد تخلوا سورة من سور القرآن من الحديث عن العقاب الذى سوف يصيب الكفار والعصاة في النار. ولقد فصل الله تعالى في كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أهوال النار وعذاب أهلها وما يقاسون فيها من شدة العذاب في كثير من الآيات . ولو تتبعنا عن كل هذه الآيات

---

(١) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ص : ١١٣٤ ، رقم الحديث : ٦٥٤٨

(٢) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ص : ١٢٣٧ ، رقم الحديث : ٤٠ . وانظر : سورة مريم . آية ٣٩ .

(٣) . سورة الشورى . آية ٢٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سوف يطول البحث ويكثر الحديث . لذلك سوف أختصر في هذا الحديث على ذكر بعض ألوان من عذاب النار و أهلها في المظاهر الآتية :

١. النار مثوى و مأوى الكافرين :

يخبرنا الله تعالى في كثير من الآيات بأن النار مثوى الكفار والعصاة والمتكبرين وإليها مآلهم ومرجعهم كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلْطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٢) ، أي قرارهم فيها وبئس المقر جهنم وقال تعالى : ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ . (٣) والله ﷻ جعل النار دركات ، كما جعل الجنة درجات ، جعلها دركات مختلفة في الجحيم و العذاب ، فمنها : سقر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٤) . ومنها الحطمة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ* إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ *فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ . (٥) ومنها لظى ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ (٦) ، ومنها الهاوية ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ . (٧) ومنها جهنم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . (٨)

وكل اسم من هذه الأسماء فيه ترعيب و ترهيب و تخويف يقشعر منه القلب و يهتز لسماعه الفؤاد ويذوب منه الشعور والوجدان . وذلك لتخويف الطغاة والكفار .

وأخبرنا الله تعالى بأن لها سبعة أبواب ، يدخل منها أصحاب السيئات على قدر سيئاتهم ، وكل إنسان عاص يدخل من باب بحسب عمله قال تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٩) وقال قتادة " هي والله منازل بأعمالهم " (١٠) ، فإذا استقر أهل النار فيها كل في دركه الذى يناسب عمله وكسبه ، ذاقوا حرها ونالوا بالها وقاسوا شدتها ونكالها .

---

(١) . سورة النبأ . آية ٢١ ، ٢٢ .
(٢) . سورة إبراهيم . آية ٢٨ .
(٣) . سورة التوبة . آية ٩٥ .
(٤) . سورة المدثر.آية ٢٧ – ٣٠ .
(٥) . سورة الهمزة . آية ٥ – ٩ .
(٦) . سورة المعارج . آية ١٥ – ١٨ .
(٧) . سورة القارعة . آية ٨ – ١١ .
(٨) . سورة الحجر . آية ٤٣ .
(٩) . سورة الحجر. آية ٤٤ .
(١٠) . تفسير القرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص : ١٠٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. النعم وألوان الخير التى يحرم منها أهل النار :

ولقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم عن النعم وألوان الخير التى يسلبها الله تعالى ويحرمها على أهل النار .

منها حبوط أعمالهم : قال تعالى : ﴿ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) ، كما قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (٢) ، وحبوط الأعمال أي ذهاب أثرها وثوابها .

ومنها يأسهم من رحمة الله تعالى : يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) ، أي يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها .

كما تسلب منهم نعمة مغفرة الذنوب : كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾ (٤) ، كما أن الله تعالى لا ينظر إليهم ولا يزكيهم يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . (٥)

كما يحرمون من النور يوم القيامة يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (٦) ، فعندما يفشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة يعطى الله المؤمن نورا يستضيء به ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا . وهو المثل الذى ضربه الله في سورة النور بقوله : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (٧) .

فهذا مثل ضربه الله للكافر يوم القيامة حيث يكون في ظلمات متراكمة ويحرم من نور الله بسبب أعماله .

بل يحرمون من كل ما يشتهون يقول الله تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ (٨) ، فانه يحال بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه

---

(١) . سورة البقرة .آية ٢١٧ .
(٢) . سورة الكهف . آية ١٠٥ .
(٣) . سورة العنكبوت . آية ٢٣ .
(٤) . سورة النساء . ١٦٨ .
(٥) . سورة آل عمران . آية ٧٧ .
(٦) . سورة الحديد . آية ١٣ .
(٧) . سورة النور . آية ٤٠ .
(٨) . سورة سبأ . آية ٥٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الآخرة فمنعوا منه . والقرآن الكريم مليئ بالآيات التي تخبر وتنذر الكافرون والعصاة والمذنبين بما يصيبهم يوم القيامة من حرمان و خزى وخسران وغير ذلك .

٣ . ما يصيب أهل النار من عقوبات الذل والهوان :

فالقرآن الكريم يحدثنا عن الكفار أنهم يأتون يوم القيامة ذليلين ناكسى رؤوسهم ، يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (١) ، كما يقول تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾ (٢) ، كما يأتون سود الوجوه تعلوا وجوهم الغبرة والقترة يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٣) . عابسة كالحة يقول تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ (٤) ، تعلوها الظلمة والغبار . يقول تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ (٥) . كما أن الكافر إذا واجه أعماله السيئة يوم القيامة أصابته الحسرة والندامة وتمنى أن يباعد الله بينه وبين أعماله يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾ (٦) . وعندئذ يدعون على أنفسهم بالويل والهلاك كما يخبرنا الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٧) ، كمايقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ (٨) ، أي عندما يشاهد أعماله حاضرة لديه معروضة عليه صغيرها وكبيرها ، فمن شدة ما يلقى من العذاب ومن هول ما يرى ويبصر يتمنى أن يكون جمادا لم يصب حظاً من الحياة .

ويغشاهم الخزى والعار يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ (٩) . ولسوف يعرضون أمام ربهم ويراهم الأشهاد ويشيرون إليهم باحتقار وسخرية .

---

(١) . سورة السجدة . آية ١٢ .
(٢) . سورة إبراهيم . آية ٤٣ .
(٣) . سورة الزمر . آية ٦٠ .
(٤) . سورة القيامة . آية ٢٤ .
(٥) . سورة عبس . آية ٤٠ ، ٤١ .
(٦) . سورة آل عمران . آية ٣٠ .
(٧) . سورة الكهف . آية ٤٩ .
(٨) . سورة النبأ . آية ٤٠ .
(٩) . سورة الأنعام . آية ١٢٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

بل الأمر أشد وأفظع عليهم عندما يرون أن أبدانهم وحواسهم يشهدون عليهم يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (٢)

ويزيد همهم وغمهم عندما تنقطع الروابط والعلائق التي كانت تربطهم بأتبائهم أو بساداتهم ، قال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ (٣) ، وعند ذلك يعضون على أصابعهم ندامة وحسرة . يقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ (٤) . وغير ذلك من الآيات القرآن الكريم .

٤. تحيتهم بالتهكم والإستهزاء :

عندما يدخل الكفار والطغاة النار تسألهم خزنتها سؤال تقريع وتوبيخ . يخبرنا الله تعالى بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٥)

يقول أبي سعود : أي سيقوا اليها بالعنف والإهانة افواجاً متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة (٦) . ويقول ابن كثير: أي بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة . (٧)

وهكذا يساق الأشقياء والكفرة والمنافقون إلى النار سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد يدفعون دفعا إليها مع توبيخهم وتقريعهم كما يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) ، أي يدفعون إلى النار دفعا وتقول لهم الزبانية تقريعا وتوبيخا ، ﴿ أَفَسِحْرٌ

---

(١) . سورة هود . آية ١٨ .
(٢) . سورة النور . آية ٢٤ .
(٣) . سورة البقرة . آية ١٦٦ .
(٤) . سورة الفرقان . آية ٢٧ – ٢٩ .
(٥) . سورة الزمر . آية ٧١ ، ٧٢ .
(٦) . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي سعود ، ٧/ ٢٦٣، ط : الرابعة ١٤١٤ه ، ١٩٩٤م ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت .
(٧) . تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص : ١٦٣٠ .
(٨) . سورة الطور . آية ١٣ – ١٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) ، أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته : ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي ولا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله .

٥ . طعام أهل النار وشرابهم :

لقد صور القرآن الكريم طعام أهل النار بعبارات مختلفة تشير إلى بشاعته وشدته ما ينفر منه الطبع . فقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ * طَعَامُ الْأَثِيمِ* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ (٣) ، فشجرة الزقوم المشهورة بمرارتها هي طعام الكفار في جهنم ولقد وصف الله شجرة الزقوم وصفاً مرعباً بقوله : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ *فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ . (٤)

وليس أدل على قبح منظرها وبشاعة صورتها من قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٥) قال ابن عباس ﷺ : ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج . كما وصف الله تعالى بقوله : ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ (٦) . فكل ما ذكره الله تعالى من طعام وأكل الكفار في النار يدل على مدى بشاعته وكراهته وقبحه ، مما ينفر النفوس منه ويجعلها تطلب كل وسيلة للفرار والبعد منه .

أما شراب أهل النار فقد ذكر الله تعالى في القرآن صوره بأنه يقطع الأمعاء ويذيب الأحشاء . قال تعالى : ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ . (٧)

قال أبي سعود : أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ، ولا شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا . والغساق ما يسيل من صديدهم . (٨)

---

(١) . سورة الطور . آية ١٥ .
(٢) . سورة الطور . آية ١٦ .
(٣) . سورة الدخان . آية ٤٣ – ٤٦ .
(٤) . سورة الصافات . آية ٦٢ – ٦٦ .
(٥) . سورة المزمل . آية ١٣ .
(٦) . سورة الحاقة . آية ٣٦ .
(٧) . سورة النبأ . آية ٢٤ ، ٢٥ .
(٨) . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي سعود ، ٩/ ٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووصف الله تعالى هذا الطعام أيضاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ ﴾ (١) ، قال القرطبي : والغسلين هو صديد أهل النار السائل من جروحهم و فروجهم . (٢)

فكل ما ذكره الله من أوصاف شراب أهل النار يفيد أنه حار شديد الحرارة تذوب منه الأمعاء وتتفتت منه الأعضاء فقد وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ (٣) . قال الامام الشوكاني : والمراد بالعين الآنية : المتناهية في الحر . ثم ذكر قول الواحدي بأنه قال : قال المفسرون لو وقعت منها نطفة على جبال الدنيا لذابت . (٤)

فهذا هو طعامهم إذا جاعوا ، فإذا أكلوا منها التهبت أكبادهم عطشاً ، وإن يستغيثوا يغاثو بماء كالمهل يشوي وجوههم حتى تتساقط لحومها ، فإذا شربوه على كره وضرورة قطع أمعاءهم ، ومزَّق جلودهم ، وهذا شرابهم كالمهل في حرارته ، وكالصديد في نتنه وخبثه ، يضطر شاربه إلى شربه اضطراراً ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ .

٦. ضرب الوجوه وسوادها :

إن أكرم ما في الإنسان وجهه ، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه ، ومن إهانة الله لأهل النار أنهم يحشرون في يوم القيامة على وجوههم عمياً وصما وبكماً ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٥) ، ويلقون في النار على وجوههم ﴿ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . (٦)

---

(١) . سورة الحاقة . آية ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) . الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٨/ ٢٧٣ .
(٣) . سورة الغاشية . آية ٥ .
(٤) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ١٨٩٣ .
(٥) . سورة الإسراء . آية ٩٧ .
(٦) . سورة النمل . آية ٩٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتلفح النار وجوههم وتغشاها أبداً ، لا يجدون حائلا يحول بينهم وبينها ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ﴾ (٣) ، ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤) ، ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ (٥) ، وهكذا يقلب الله تعالى وجوههم في النار . ثم يسحب الكفار في النار على وجوههم ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ . (٦) ويزيد من آلامهم لما يسود الله في الدار الآخرة وجوه أهل النار ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٧) ، وهو سواد شديد ، كأنما حلت ظلمة الليل في وجوههم ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . (٨)

٧. العذاب يحيط بجميع أجزاء الجسد :

فقد أخبرنا الله تعالى في آيات كثيرة بهول ما يصيب الكافر والعاصى في النار فبين أن العذاب يغشاه من رأسه إلى قدميه لا يترك جزئية من جزئيات جسمه إلا أصابها . فالعذاب يصب من فوق رءوسهم كما يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ (٩) ويصيب وجوهم كما قال تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ﴾ (١٠) ، وقال تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (١١) ، بل أن العذاب يصيب جباهم وجنودهم وظهورهم كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (١٢) ، بل يغطيهم العذاب من جميع مناحى أجسامهم يقول

---

(١) . سورة الأنبياء. آية ٣٩ .
(٢) . سورة المؤمنون . آية ١٠٤ .
(٣) . سورة إبراهيم . آية ٥٠ .
(٤) . سورة الزمر . آية ٢٤ .
(٥) . سورة الأحزاب . آية ٦٦ .
(٦) . سورة القمر ز آية ٤٧ ، ٤٨ .
(٧) . سورة آل عمران . آية ١٠٦ .
(٨) . سورة يونس . آية ٢٧ .
(٩) . سورة الدخان . آية ٤٨ .
(١٠) . سورة إبراهيم . آية ٥٠ .
(١١) . سورة المؤمنون . آية ١٠٤ .
(١٢) . سورة التوبة . آية ٣٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْتَعْمَلُونَ﴾ (١) ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (٢) ، فالنار تغشاهم وتغطيهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب الحسي . وكلما احترقت جلود الكفار كلما احترقت وزالت من النار يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣) . فكلما أكلت النار جلود الكفار أبدلهم الله تعالى جلوداً غيرها كي يستمر الألم بلا انقطاع ويذوقوا العذاب الأليم بدون توقف .

وبالجملة فإن عذاب جهنم وشدته يحيط بالكافرين والمجرمين من جميع الجهات فيعذبون ظاهراً وباطناً يشملهم العذاب من كل جوانب كما يقول تعالى ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ . (٤)

٨ . سعة جهنم و خزنتها :

إن الله ﷻ يعذب الكفار والعصاة بأنواع من العذاب ومنها الضيق في جهنم وهو يشمل ظواهرهم وبواطنهم ، وقد اجتمعت عليهم ألوان العذاب فنفوسهم ضيقة حيث قال تعالى :﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ (٥) ، فهم ملقون في أضيق الأماكن , وقد كانوا في الدنيا ينحتون من الجبال القصور فرحين بها , فما أحوجهم يوم القيامة إلى شبر من الأرض يعبدون الله فيه فينجون من ذلك الضيق وذلك العذاب . قال تعالى :﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ . (٦)

وجهنم مع ما يحصل لأهلها من الضيق , فهي واسعة ضخمة , يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ , إذ سمع وجبة (أي سقطة) فقال النبي ﷺ : " تدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً , فهو يهوى في النار إلى الآن حتى انتهى في قعرها " . (٧)

ومما يدل على سعة النار وعظمها كثرة الداخلين إليها على ما هم عليه من ضخامة الجسم وعظم الهيئة , وكذلك قذف الشمس والقمر فيها على ضخامة الشمس وسعة القمر .

---

(١) . سورة العنكبوت . آية ٥٥ .
(٢) . سورة الزمر . ١٦ .
(٣) . سورة النساء . آية ٥٦ .
(٤) . سورة الأعراف . آية ٤١ .
(٥) . سورة الفرقان . آية ١٣ .
(٦) . سورة المطففين . آية ٧ .
(٧) . أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : جهنم أعاذنا الله منها ، ص:١٢٣٤، رقم الحديث:٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهي واسعة عظيمة , كبيرة مهولة , ومع ذلك يجد فيها المجرمون من الضيق والحبس ، ما يعضون عليه الأنامل من ندم التفريط في الدنيا , عن عائشة رضي الله عنها أنها : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) ، قالت : فأين الناس يومئذ ؟ قال : على جسر جهنم " (٢) ، فأين ما جمعوا في الدنيا وهم على جسرها العظيم , ينتظرون نتيجة المصير .

ومما يدل على سعة جهنم كثرة الملائكة الذين يأتون بها يوم القيامة . قال ﷺ : " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام , مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " (٣) ، وقال الله عز وجل :﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ (٤) ، وهذا ما يدل على عظمها وأنها تسع الكفار والمجرمين والعصاة .

أما خزنتها ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) ، فخزنة جهنم موصوفون بالغلظة والشدة ، لما لمناسبة هاتين الصفتين لمكان العذاب , فهم غلاظ على الكفار شداد عليهم , فلا يغلبون ولا يقهرون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون , وقد ذكر الله عز وجل عددهم فتنة للمنافقين والكفار فقال سبحانه : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٦) ، وقد افتتن المنافقون بذلك فظنوا أنهم قادرون على هذا العدد القليل , فأعقب الله جل وعلا الآية بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . (٧)

٩ . حسرة أهل النار و ندامتهم :

عندما يرى الكفار النار يندمون أشد الندم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٨) ، وعندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله ، فيرى كفره وشركه الذي يؤهله للخلود في النار ، فإنه

---

(١) . سورة الزمر . آية ٦٧ .
(٢) . أخرجه الترمذي في سننه ، تفسيرالقرآن ، سورة الزمر (والأرض جميعاً قبضته) ص : ٧٣٧ ، رقم الحديث : ٣٢٤١ .
(٣) . أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب: جهنم أعاذنا الله منها ، ص:١٢٣٤، رقم الحديث:٢٩.
(٤) . سورة الفجر . آية ٢٣ .
(٥) . سورة التحريم . ٦ .
(٦) . سورة المدثر . آية ٢٦ –٣٠ .
(٧) . سورة المدثر . آية ٣١ .
(٨) . سورة يونس . آية ٥٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدعو بالثبور والهلاك ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ (١) ويتكرر دعاؤهم بالويل والهلاك عندما يلقون في النار ، ويصلون حرها : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (٢) ، وهم في ذلك الوقت يعترفون بضلالهم وكفرهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) ، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (٤) ، ولكن طلبهم يرفض بشدة ، ويجابون بما تستحق أن تجاب به الأنعام : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٥) . ويتوجه أهل النار بعد ذلك بالنداء إلى خزنة النار ، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم العذاب : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٦) ، وعند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (٧) ، إنه الرفض لكل ما يطلبون ، لا خروج من النار، ولا تخفيف من عذابها ، ولا إهلاك ، بل هو العذاب الأبدي ، ويقال لهم آن ذلك : ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) .هناك يشتد نحيبهم وتفيض دموعهم ، ويطول بكاؤهم : قال تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩) ، إنهم يبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون دما ، وتؤثر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر ، لقد خسر هؤلاء الظالمون أنفسهم وأهليهم عندما استحبوا الكفر على الإيمان .

١٠. الخلود في النار :

أخبرنا الله تعالى في كثير من الآيات بأن النار مقيم وأن أهلها لا يخرجون منها ، وأنها خالدة باقية ، والأدلة القرآنية التي تقطع وتثبت بأبدية النار وخلودها ودوام أهلها فيها كثيرة جداً نذكر منها

---

(١) . سورة الإنشقاق . آية ١٠ – ١٢ .
(٢) . سورة الفرقان . آية ١٣ ، ١٤ .
(٣) . سورة الملك . آية ١٠, ١١ .
(٤) . سورة غافر . آية ١١.
(٥) . سورة المؤمنون . آية ١٠٦ – ١٠٨ .
(٦) . سورة غافر . آية ٤٩ ، ٥٠ .
(٧) . سورة الزخرف . آية ٧٧ .
(٨) . سورة الطور . آية ١٦ .
(٩) . سورة التوبة . آية ٨٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البعض ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (٢) . كما أخبر الله تعالى بأنهم خالدون في العذاب أبداً وصرح سبحانه وأكد بأبدية أهل النار في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ . (٤)

يقول الراغب : " والأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان " . (٥)

كما أكذب الله تعالى اليهود في زعمهم بأن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة ، بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٦) ومما يؤكد خلود الكافرين في النار وأبديتهم فيها قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾ (٨)

فهذه الآيات من كتاب الله فيها التصريح بالبقاء في العذاب وذكر الخلود ، وتأكيد هذا الخلود بالتأبيد . كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (٩) . ففي هذه الآية أخبر تبارك وتعالى بعدم خروجهم من النار ، مؤكداً ذلك بأن العذاب مقيم ودائم معهم . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (١٠) . وكما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (١١) ، وغير ذلك مما يفيد القطع بدوام عذاب النار

---

(١) . سورة المائدة . آية ٣٧ .
(٢) . سورة الزخرف . آية ٧٤ ، ٧٥ .
(٣) . سورة النساء . آية ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٤) . سورة الجن . آية ٢٣ .
(٥) . المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ١٧ .
(٦) . سورة البقرة ٨٠ ، ٨١ .
(٧) . سورة النساء . آية ١٦٩ .
(٨) . سورة الأحزاب آية . ٦٥.
(٩) . سورة البقرة . آية . ١٦٧ .
(١٠) . سورة فصلت . آية ٢٨ .
(١١) . سورة هود . آية ١٠٦ ، ١٠٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالنسبة للكفار والمشركين . لذا ثبت من كل هذه الأدلة خلود أهل النار فيها ، الذين لا يرحلون ولا يبيدون وهم الكفرة والمشركون . هذا بالنسبة للكفار والمشركين .

أما العصاة من الموحدين يدخلون الجنة في آخر أمرهم ، كما ثبت في الحديث بأن بعد ما يخرج من النار من كان يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ، ويدخلون الجنة ، يأمر الله تعالى أن يؤتي بالموت على صورة كبش أملح ، ويجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، كما قال النبي ﷺ " يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح . ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت " . ([1])

فالنار خالدة لا تفنى ولا تبيد ، ونقل ابن حزم اتفاق الأمة على ذلك ، فقد جاء في كتابه " الفصل في الملل " قوله: " اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا الجهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف ، وقوماً من الروافض " . ([2])

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أن النار خالدة لا تبيد ، وأهلها فيها خالدون ، ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين ، أما الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون . كما قرر ذلك أهل السنة في مصنفات العقائد ، والنصوص الدالة على خلود النار كثيرة جداً , كما ذكرنا بعض منها آنفاً .

لقد أطال القرآن في تبيان جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النيران ، ونحن نذكر هنا أهمها

١- الكفر والشرك : فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن الذين كفروا ينادون عندما يكونون في النار . فيقال لهم : إن مقت الله لكم أعظم من مقتكم أنفسكم بسبب كفركم بالإيمان، ثم بين أن خلودهم في النار إنما هو بسبب كفرهم وشركهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ . ([3])

٢- عدم القيام بالتكاليف الشرعية مع التكذيب بيوم الدين وترك الإلتزام بالضوابط الشرعية وعدم تحمل المسؤوليات ، فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين : ﴿ مَا

([1]) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ص : ١٢٣٧ ، رقم الحديث : ٤٠ .

([2]) . الفصل والملل والأهواء والنحل ، لإبن حزم ، الكلام في بقاء أهل الجنة والنارأبدا ، ص : ٤/ ٨٣ .

([3]) . سورة الغافر . آية ١٠- ١٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ ، فيجيبون قائلين : ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ . ([1])

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية : ما عمل أهل النار، وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : " عمل أهل النار : الإشراك بالله تعالى ، والتكذيب للرسل ، والكفر ، والحسد ، والكذب ، والخيانة ، والظلم ، والفواحش ، والغدر ، وقطيعة الرحم ، والجبن عن الجهاد ، والبخل ، واختلاف السر والعلانية ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والجزع عند المصائب ، والفخر والبطر عند النعم ، وترك فرائض الله ، واعتداء حدوده ، وانتهاك حرماته ، وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياءً وسمعة ، ومخالفة الكتاب والسنة ، أي اعتقاداً وعملاً ، وطاعة المخلوق في معصية الخالق ، والتعصب للباطل ، واستهزاء بآيات الله ، وجحد الحق ، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " . ([2])

([1]) . سورة المدثر . آية ٤٢- ٤٧ .

([2]) . مجموع الفتاوى ، لإبن تيمية ، رسالة في العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها ، ١٠ / ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، جمع وترتيب : عبدالرحمن قاسم ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول : أثر الجزاء الدنيوي على الفرد والمجتمع :

التمهيد :

وبعد هذا العرض لمظاهر الثواب والعقاب للصالحين و الطالحين في الدنيا والآخرة في الفصول السابقة ، لعله من المهم توضيح آثار هذا الجزاء التي تعود بعضها إلى صلاح الفرد وبعضها إلى صلاح المجتمع . " وذلك لأن تصرفات البشر إذا قامت على خشية الله والخوف من الجزاء السيئ ، والطمع في الجزاء الحسن ، فإن ذلك له أشد الأثر في توجيه الفرد والمجتمع إلى فعل الخير و اجتناب الشر ، بل هو الميزان الذي يقف عليه الإنسان ليزن أعماله " . ([1])

لذا لا يتصور قيام حياة الفرد والمجتمع من غير نظام الجزاء ، إذ تصور مثل هذا جهل ، بما ركبت عليه النفوس البشرية من حب الخير يحتاج إلى ثواب مشجع ، و نزوع إلى الشر يحتاج إلى عقاب و زجر ، إذ الغالب أن الإنسان يستجيب بما يطلب منه إذا وعد عليه بثواب ، ويتجنب ما ينهى عنه إذا توعد عليه بعقاب ([2]) . والآن سأورد بعض هذه الآثار المترتبة للجزاء على الفرد والمجتمع فيما يلي :

١. أثر مظاهر الثواب على الفرد والمجتمع :

آثار فردية :

١. مراقبة الله تعالى :

ومن أعظم فوائد وآثار الجزاء الحسن على الفرد في الدنيا مراقبة الله في السر والعلن ، حيث يستحضر الإنسان عظمة ربه واطلاعه عليه ونظره إليه وفضله عليه ، فيورث ذلك كله دوام المراقبة في العبد ، فيطيع خالقه وينفذ أوامره و يجتنب نواهيه ، ويتقي غضبه بإجتناب محارمه وإتيان محابه ، فيرزق الإنسان بهذا تقوى الله تعالى ويرتقي إلى مرتبة الإحسان ، فهو يعبد الله كأنه يراه ، ومن لازم التقوى نال من الله تعالى الدرجات العلى ، وأثر التقوى في المؤمن واضح من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ([3]) ، وهكذا يعيش الإنسان في كنف الله تعالى قد التجأ إليه وفوض أمره كله ، قد اطمأن قلبه وهدأت نفسه وزالت وساوسه .

([1]) . مجتمعنا المعاصر . أسباب ضعفه ووسائل علائجه ، د. عبدالله سليمان المشوخي ، ص : ٤٣ ، ط : الأولى ١٩٨٧م ، مكتبة المنار ، الأردن .

([2]) . المسؤلية الخلقية والجزاء عليها ، ص : ٤٥٧ .

([3]) . سورة الطلاق . آية ٢ ، ٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ . معرفة النفس :

ومن الآثار أن الجزاء يعرف الإنسان بحقيقة نفسه، ومكانته في هذا الوجود ، فهو أولاً وآخراً مخلوق لله المكرم ، خلقه سبحانه في أحسن تقويم ، وكرمه الله على سائر مخلوقاته ، كما أخبرنا بذلك سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ﴾ (١) ، فإذا عرف الإنسان حقيقة نفسه سار في حياته على هدى ونور من ربه .

وبهذا " يحس الإنسان بكرامته وذاتيته ، ويشعر بأن له وزناً وقيمة في هذا الوجود ، ويشعر أن لوجوده غاية . ولحياته رسالة ، وأنه شيء مذكور بين أ شياء هذا الكون العديدة . وأنه مخلوق متميز عن القرود والدواب والحشرات ، وأنه لم يخلق في هذه الأرض عبثاً، ولا أُعطي العقل وعلم البيان اعتباطاً " . (٢)

٣. العمل الدائم :

وإن من أهم آثار مظاهر الثواب في الدنيا على الفرد ، إندفاع المؤمن في الدنيا إلى العمل الدائم . لأنه يدرك سنن الله في الكون بأنه من يعمل عملاً صالحاً يجد ثمرته في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ، وهذه سنة الله في الكون لا تتغير ولا تتبدل ، ثم سنن الله في الدنيا لا تفرق في الجزاء على العمل بين مؤمن وكافر ، فمن عمل أُجر، ومن قعد حرم ، مهما كان دينه أو اعتقاده . وبهذا يندفع المؤمن إلى العمل دائماً ، حتى لا يصادم سنن الله في الكون فتصدمه ؛ فيكون من الهالكين . (٤)

---

(١) . سورة الإسراء . آية ٧٠.

(٢) . الإيمان والحياة . للقرضاوي ، ص : ٥٥ ، ٥٦ ، ط : الثالثة عشرة ١٤٢٣ه ، ٢٠٠٢ م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

(٣) . سورة النحل . آية ٩٧ .

(٤) . الإيمان والحياة ، ص : ٢٩٦ . نفس المرجع .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آثار إجتماعية :

١. الأمن والرضا :

ومن أهم آثار الجزاء الحسن على المجتمع في الدنيا الأمن والراحة ، بحيث " يتمتع أفراد المجتمع بالأمن النفسى والسلام مع الذات ، كما أنهم يتمتعون بالرضا ، فهم راضون عن أنفسهم ، وعن مكانهم في الحياة ، راضون عن ربهم العادل الرحيم ، راضون عن تدبيره وتقديره ، كما احساسهم بنعم الله عميق فياض ، فلا سخط ولا تبرم ، ولا ضجر " (١) ، وكما قال تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢) وكما ينال الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة ، السعادة التي يبحث عنها كثير من الناس فلا يجدونها إلا في هذا الدين – وهذا باعتراف من أسلم منهم – مع الإشارة إلى أن مفهوم السعادة لا يعني التفوق المادي ونحوه ، وإنما السعادة الحقيقية يحياها من التزم دين الإسلام حق الالتزام . يشهد لهذا واقع الناس اليوم ، فإن كثيراً ممن لا يدين بهذا الدين يشعر بالفراغ الروحي ، وبفقدان الأمن والاستقرار النفسي ، وقد ذكر سبحانه في كتابه الكريم أن حصول الأمن إنما يحصل لعباده الذين أمنوا به واتبعوا سبيله ، فقال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ . (٣)

فمع الإيمان الحق يكون الأمن والاطمئنان ، ومع الأعراض يكون الضنك والشقاء ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٤) . ويجمع هذا وذاك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . (٥)

---

(١) . الإيمان . حقيقته وأثره في النفس والمجتمع ، لدكتورمحمدعبدالله الشرقاوي ، ص : ٥١ ، ط : الثانية ١٤١٠ه ١٩٩٠م الناشردارالجيل ، بيروت .
(٢) . سورة النحل . آية ٣٠ .
(٣) . سورة الأنعام . آية ٨٢ .
(٤) . سورة طه . آية ١٢٤.
(٥) . سورة الأعراف . آية ٩٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. التفاؤل والاقدام :

وكذلك من آثار الجزاء الحسن بأن أفراد المجتمع يتمتعون بالأمل الرحب والاستبشار والتفاؤل ، لا يعرفون يأساً ، ولا يخشون بأسا ، لا يحل القنوط بساحتهم ، ولا يعرف اليأس بابهم (١) . عرفوا تسخير الكون لهم فانتفعوا به ، هذا كله يدفعهم إلى النشاط والتفاؤل .

فيلجؤون إلى الإيمان عند الخوف فيطمئنون إليه فيزيدهم إيماناً وثباتاً ، وقوة وشجاعة ، ويضمحل الخوف الذي أصابهم ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) . لقد اضمحل الخوف من قلوب هؤلاء الأخيار، وخلفه قوة الإيمان وحلاوته ، وقوة التوكل على الله ، والثقة بوعده .

ويلجؤون إلى الإيمان عند الطاعة والتوفيق للأعمال الصالحة ، فيعترفون بنعمة الله عليهم ، ويلجؤون إلى الإيمان إذا ابتلوا بشيء من المعاصي بالمبادرة إلى التوبة منها ، وعمل ما يقدرون عليه من الحسنات ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٣) ، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان ومفزعهم إلى تحقيقه ، ودفع ما ينافيه ويضاده ، وذلك من فضل الله عليهم ومنه.

٣ . الأمن المعيشي :

ومن آثار الجزاء الحسن على المجتمع تحقيق الأمن المعيشي والإستقرار . ولقد بين الله تعالى أن الأمن المعيشي بصورته الحقيقية رهين بإلتزام هديه والإيمان به وتقواه . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ، " أما الكفار فإن ما يمدهم الله به من فتوحات مادية من الإستدراج لهم وتعجيل الطيبات لهم في هذه الدنيا ، وهي فتوحات تغريهم بالإخلاد إليها حتى يأخذهم الله وهم فرحون آمنون وذلك أشد لهم كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا

---

(١) . الإيمان ، لدكتور عبدالله الشرقاوي ، ص : ٥١ .
(٢) . سورة آل عمران . آية ١٧٣ ، ١٧٤.
(٣) . سورة الأعراف . آية ٢٠١.
(٤) . سورة الأعراف . آية ٩٦ .
(٥) . سورة المائدة . آية ٦٥ ، ٦٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (١) ، وفرق بين هذا الفتح والفتح على المؤمنين ، فهذا الفتح لا بركة فيه : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أما الفتح على المؤمنين بسبب إيمانهم فهو فتح مبارك " (٢) ، ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ﴾ . (٣)

٢ . . أثر مظاهر العقاب على الفرد والمجتمع :

آثار فردية :

١ . قبول هدي الله تعالى :

إن لمظاهر العقاب على الفرد لآثاراً واضحة وثماراً طيبة ، لابد أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه ، وفي حياته كلها ، ومن أهم آثار لمظاهر العقوبات على الفرد في الدنيا ، قبول الإنسان هدي الله تعالى أو الرجوع إليه سبحانه وتعالى بالعمل الصالح ، والزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها ، وحينئذ لا يحزن على فواتها ، ولا يمدن عينيه إلى ما متع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها ، كما يتولد أيضاً من هذا الشعور الراحة النفسية والسعادة القلبية وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات ، وكل ذلك رجاء فيما عند الله تعالى من الأجر والثواب ، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل ، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ (٤) . وكما يحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم ، والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم .

٢ . العلم بعظمة الله وقوته :

وإن من أهم آثار العقاب الإلهي على نفس المسلم ، العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه . وذلك عن طريق الشعور برقابة الله تعالى عليه ، وأنه مطلع على جميع حركاته وسكناته ، فيبعثه ذلك على الخشية منه و الإستقامة على أمر الله تعالى بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي ، والشعور بالطمأنينة والأنس ، فيكون ذلك دافعاً إلى الصبر وعدم اليأس .

---

(١) . سورة الأنعام . آية ٤٤ .

(٢) . تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة ، د. عبدالرحمن بن زيد ، ص : ٤٧٨ ط : ١٩٩٩ م .

(٣) . سورة الأعراف . آية ٩٦ .

(٤) . سورة النساء . آية ١٠٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكما يدرك الإنسان أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً ، وأن ما من شيء في هذا الكون إلا بأمره سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (١)

وهكذا يبقى المؤمن بين الخوف من عقاب الله ، والرجاء لعفوه ، يذكر بأن الله سريع الحساب وأنه شديد العقاب ، فيغلب عليه الخوف ، ويذكر أنه عفو رحيم ، وأنه أرحم الراحمين .

٣. التوبة من المعاصي :

إن من أعظم أثارالعقوبات على الفرد ، اللجوء إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة ، لأنه جرت سنة الله تعالى في العصاة ، أنه يعاقبهم على ذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة ، وذلك تنبيهاً للغافلين ، وتذكرة للناسين ، يقول الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) ، فالله تعالى لا يجازيهم بكل ما عملوا من سوء ، بل يعاقبهم ببعضه فقط ، ويعفوا عن الباقي وهو كثير ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (٣) ، فقد ترك الله تعالى باب التوبة والإنابة مفتوحاً في كل وقت وفي كل حين ليرجع من أراد الإنابة إليه ، والدخول في رحمته . فيعود العبد إلى الله تعالى طالباً المغفرة ، هارباً من الذنب لاجئاً إلى التواب الرحيم ، فيجده رحماناً رحيماً .

كما أنه يخاف من كوارث الحياة ، ريحاً أو مطراً أو غير ذلك ، ويخاف من الأمراض المتعددة ، وهو يخاف ويضطرب من أمور كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها، حتى أصبح الخوف والقلق سمة من سماته ، ويدرك بأن الله سبحانه وتعالى يسوق الكوارث على البشر في حياتهم الدنيا ، لينبه النفوس من غفلتها ، وليعيدها إلى خالقها ، ويربطها بموجدها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ الخَوْفِ والْجُوعِ وَنَقْص مِّنَ الأَمْوَال وَالأَنفُس وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (٤)

فكل هذه المصائب على النفوس المؤمنة من أجل أن يتوب الإنسان ، فيتذكر أن من أسماء الله " الرحيم ، التواب ، والغفور " فلا يتمادى في خطيئته ، بل يترع عنها ، ويتوب إلى ربه ، ويستغفره فيجده غفوراً تواباً رحيما .

---

(١) . سورة الأعراف . آية ٥٤ .
(٢) . سورة الروم . آية ٤١ .
(٣) . سورة الشورى . آية ٣٠ .
(٤) . سورة البقرة . آية ١٥٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آثار اجتماعية :

١ . إحياء المعاني والصفات الحميدة :

فالإيمان باليوم الآخر يحي في نفوس المؤمنين معاني الصبر والإحتساب ، والرضا ، والعفو والبذل في سبيل الله عز وجل ، فالمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وليست دار للجزاء و النعيم ، فيعفو عمن ظلمه ، و يقبل الأعذار ، ويبذل وينفق في سبيل الله تعالى ، ويضرب أروع الأمثلة في التضحية والفداء ويسعى إلى الخير ويقاوم الشر ، لا يغش و لا يخدع ، ولا يسرق ، ولا يزني ، وكل هذا لإيمانه باليوم الآخر ومقتدياً قوله تعالى : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) ، قال القرطبي : أي أنكم ترجون ثواب الله وهم لا يرجونه وذلك أن من لا يؤمن بالله لا يرجو من الله شيئا ". (٢)

كما يترتب على هذا الجزاء ، خضوع المسلم لأحكام الشريعة خضوعاً اختيارياً في السر والعلن خوفاً من عقاب الله ، وحتى لو استطاع الإفلات من عقاب الدنيا ، لأن عقاب الآخرة ينتظره ولا يستطيع الإفلات منه .

٣ . الاعتبار بما حل بالأمم السابقة :

إن المؤمن ينطلق في الحياة فيشاهد مصارع الأولين ، وآثار ديارهم المخربة ، وحصونهم المدمرة ، فيرتعب لتلك المشاهد أن أُخذ أهلها في غفلة ، وقد كانوا أقوياء ذوي كثرة ، فما أغنى عنهم غناؤهم ولا دفعت عنهم قوتهم لما جاءهم العذاب ، لقد كانت لهم آلهة يعبدونها من دون الله ، وهم من خلق الله ، وكانوا يحسبون أنها ستدفع عنهم النقم وتصرف عنهم المحن ، فحان عليهم الدهر وأحاط بهم القهر : ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ . (٣)

إن من بلغ به الإيمان بلقاء الله حد اليقين اعتبر بما حصل للأمم السابقة من العذاب – كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم – ، وذلك لعلمه بأن الله من ورائهم محيط ، وقد أخذهم علي حالهم لينالوا كمال العقوبة في الآخرة ، فكان ذلك الأخذ آية مشاهده دالة على لزوم محاسبة الناس على أعمالهم : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ (٤) ، وقد كان المشركون من أهل مكة يمرون علي ديار من أخذوا بالعذاب – كقوم

---

(١) . سورة النساء ، آية ١٠٤ .
(٢) . الجامع لأحكام القرآن ، لإمام القرطبي ، ٥ / ٢٧٤ .
(٣) . سورة هود . آية ١٠١ .
(٤) . سورة هود. آية ١٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لوط – فلا يتأثرون لعدم رجائهم للآخرة ؛ فانعدم الخوف من نفوسهم فلم يعتبروا بمرورهم ذلك كما قال الله : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (١) ، لهذا كان الخوف من لقاء الله مادة كل خير ، والأمان من غضب الله مادة كل شر .

٣. تزكية النفوس :

إن المجتمع الذي يشيع فيها الظلم ، وإعتداء الناس بعضهم على بعض ، من أكل أموال الناس بالباطل ، والنيل من الأعراض ، والحسد والتباغض ، والفرقة والإختلاف ، وركون إلى الدنيا ، فتكون العقوبة الإلهية هنا علاجاً لتلك الأمراض ، وسبباً لتزكية النفوس ، كما يكون لها أثر كبير في حث الناس على العمل الصالح والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات .

وإذا عرف الإنسان هذه السنة الإلهية في المجتمعات ، وأيقن بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق ، والحذر من ظلمهم في دم أو مال أو عرض ، سيضفي الأمن والأمان على مثل هذه المجتمعات ، لأن أهلها يخافون عقاب الله من أن يترل عليهم ، فلا تحاكم إلا لشرع الله ، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة ، فلا خيانة ولا غش ولا ظلم . إذاً أنه لا شيء يمنع النفس من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض إلا من العقوبة الإلهية وإعطاء كل ذي حق حقه ، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه ، والحذر من الدنيا والركون إليها .

٣. أثر العقوبات الحسية على الفرد والمجتمع :

آثار فردية :

١. ردع المجرم وإصلاحه :

إن أول أثر من آثار العقوبات الحسية في الدنيا على الفرد الذي من أجلها شرع الله الحدود في الإسلام ، هو الزجر أعني الردع والمنع وهذا قبل وقوع الجريمة ، أما بعد وقوعها بالحكمة منها زجر الجاني من العود إلى الجريمة ، كما تكون هذه العقوبة وسيلة لصلاح المجرم وإصلاحه ، لأن العقوبة تدعو إلى الندم على ما فعل ، وتقريع نفسه عما أقدمت عليه من معصية الشرع مما يحمله على التوبة

(١) . سورة الفرقان . آية ٤٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النصوح ، فينصلح حاله ، بل وقد يكون حاله بعد الجريمة وإنزال العقوبة فيه وتوبته عما ارتكب خيراً مما كان عليه قبل ارتكات الجريمة . ([1])

وقال الماوردي ([2]) : " الحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما خطر ، وترك ما أمر به ، لما في الطمع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة ، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة ، وخيفة من نكال الفضحية ، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً ، وما أمر به من فروضة متبوعاً ، فتكون المصلحة أعم ، والتكليف أتم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ([3]) ، يعني في استنفاذهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة ، وكفهم عن المعاصي ، وبعثهم على الطاعة " . ([4])

إذاً ينتفع الجاني من العقوبة الشرعية مهما بدت قاسية شديدة ، فيرتدع عن مقارفة الجريمة بعد أن غلبته الشهوة ، وزين له الشيطان فعلها حين يتذكر ألم عقوبتها في الدنيا فيتزجر عنها ويسلم من خزيها .

ويقول ابن تيمية : " شرعت العقوبات رحمة من الله تعالى بعباده ، فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم ، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة بهم كما يقصد الوالد تأديب ولده ، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض " . ([5])

٢. التطهر من الذنب :

فرض الله سبحانه وتعالى الحدود في الإسلام (العقوبات الشرعية المنصوص عليها) مطهرات للذنوب التي ارتكبها أصحابها وعوقبوا عليها ، وهي في الوقت نفسه مطهرة لصاحبها، مخلصة له من عقاب الله في الدار الآخرة ، فمن عوقب على ذنبه في الدنيا وفقاً لأحكام شرع الله ، لقي الله تعالى طاهراً

([1]) . راجع المفصل في أحكام المرآة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية ، الدكتور عبدالكريم زيدان ، ٥ / ١٥ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ه ، ٢٠٠٠م .

([2]) . هو ألو الحسن على بن محمد الماوري البصري الشافعي ، ولد عام ٣٦٤ه ، بالبصرة ، توفي سنة ٤٥٠ه فهو إمام في الفقه والأصول ، مجتهد ، إمام في التفسير ، وله مؤلفات كثيرة منها : النكت والعيون في تفسيرالقرآن ، كتاب الاقناع ، الكافي ، الأحكام السلطانية وغيرذلك . راجع رسالة الماجستير بالجامعة الإسلامية العالمية ، بإسلام آباد سنة ١٩٩٨م ، للطالب عبدالشكور .

([3]) . سورة الأنبياء . آية ١٠٧ .

([4]) . الأحكام السلطانية ، للمارودي ، الباب التاسع عشر، في أحكام الجرائم ، فصل في ثبوت الجرائم ، ص : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ط : الأولى ١٤١٦ه ، ١٩٩٧م ، المكتب الإسلامي .

([5]) . الفتاوى الكبرى ، لإبن تيمية ، كتاب الجنايات ، ٥ / ٥٢١ ، ط : الأولى ١٤٠٨ه ، ١٩٨٧م ، دارالكتب العلمية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظيفاً ما عليه ذنب ، كما في حديث عبادة بن الصامت ﷺ (١) أن رسول الله ﷺ قال : " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه " . (٢)

فهي صفة تختص بها العقوبة في الإسلام تلك هي أنها مكفرة بمعنى أنها تكفر عن الذنب وتطهر صاحبها من أدرانه ، ومن هنا كانت تلك الظاهرة الفريدة أن يسعى من يقترف ذنباً لتوقيع العقوبة صائحاً "طهرني" وفي هذه الحالة تنتفي كل أثارة من أثارات المهانة ويستحق المذنب ثواباً يشمل المئات ، وهذه الحالة تختلف كل الاختلاف عما يحدث في المجتمعات الأوروبية عندما تستنفر السلطات كل وسائل الضبط لإيقاع المتهم متلبساً بالجريمة وما يحدث من إنكار المتهم ومحاولة المحكمة التوصل إلى الأدلة بمختلف الطرق .

والطهارة الشرعية من الذنب حق من حقوق الله تعالى إذ لا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه وتعالى ، ولا يغفر الله الذنب إلا بالطرق التي شرعها لذلك . ومعنى هذا أن الذين تطبق عليهم عقوبات وضعية فإنما نفتنهم ونعذبهم فقط دون أن يعود عليهم مردود ديني وهذا في نفسه ظلم للعباد كما أنه جريمة في حق الله سبحانه وتعالى لأننا بذلك نعذب العباد بما لا يرضاه الله وما لم يشرعه. وهذا ظلم آخر .

ويقول ابن القيم : " إن الله أوجب الحدود على مرتكبي الجرائم التي تتقاضاها الطباع ، وليس عليها وازع طبيعي ، والحدود عقوبات لأرباب الجرائم في الدنيا كما جعلت عقوبتهم في الآخرة بالنار إذا لم يتوبوا ، ثم إن الله تعالى جعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فمن لقيه تائبا توبة نصوحا لم يعذبه مما تاب منه " . (٣)

٣ . حفظ كرامة الإنسان وسعادته :

تعد الكرامة من أخص حقوق الإنسان الطبيعية التي يستحقها لمجرد كونه إنساناً ، فهي ضرورة من ضرورات حياته ، لا يمكن بدونه أن يقوم بواجب على وجهه . لذلك أحاطها الإسلام بسياج قوي في تشريعاته التي تمنع النيل منها ، والإعتداء عليها ، ويتمثل ذلك في تحريم الزنا والقذف والغيبة والنميمة ، وتوعد فاعلها بالعقوبة الأخروية والدنيوية ، تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

---

(١) . هو عبادة بن الصامت بن قيس بن حرام بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمر بن عوف بن الخزرج الأنصاري شهد بدرا وقال ابن سعد كان أحد النقباء بالعقبة وآخ الرسول ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي توفي سنة ٣٤ هـ انظر:الاصابة في تميز الصحابة ٣/٥٠٥-٥٠٧ وتهذيب التهذيب ٥/١١١-١١٢.

(٢) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ، رقم الحديث : ١٨ ، ص : ٦ .

(٣) . أعلام الموقعين ، لإبن القيم ، ٣ / ١٤٤ ، ط : دار الجيل للنشروالتوزيع ، بيروت ، لبنان .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آدَمَ ﴾ (١) ، كما يقيم سياجاً من التشريع يصون به كرامة الإنسان ما دام خاضعاً له ، بحيث يحفظ دمه أن يسفك ، عرضه أن تنتهك ، وماله أن يغتصب ، ومسكنه أن يعتدى عليه ، ونسبه أن يطعن فيه ، وقلبه أن يتحكم فيه قسراً ، وحريته أن تقيد خداعاً ، ولا يزال في حمى هذه الكرامة حتى ينتهك هو حرمتها ، ويترع بيده هذه الحصانة بارتكاب جريمة ترفع عنه جانباً منها ، ولا تعود على ما كانت عليه حتى يتوب ويعاقب بما يستحقه . (٢)

كما يتمتع الإنسان في الجزاء الإلهي ما يكفل له دوام السعادة التي يتمتع بها ما دام متصلاً بطاعة الله ، حذراً من معصيته ، فكم يكون لضعف الإيمان بهذا الجزاء أو الجهل به أو إنكاره جحوداً من أثر في تنغيص هذه السعادة ، وتبديلها تعاسة وجحيماً لا يطاق ، إن الجزاء يحمي حياة الناس ، فهو يحول دون إرادة اغتصاب عرض أو انتهاك مال أو سفك دم ، وغير ذلك .

هنا يبين أن تشريع الجزاء في الإسلام أكثر إسعاداً للإنسان ، فهو يتصل بجميع جوانب حياة الإنسان ، ويجزي على جميع الأعمال بالثواب والعقاب ، دون استبعاد لأي نوع منها ، قال تعالى :﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) ، مما يعني أن سلطة الجزاء في الإسلام واسعة النطاق ، تتعلق بظواهر الإنسان وبواطنه ومصالحه ومصالح مجتمعه .

آثار اجتماعية :

١. الأمن والإستقرار :

فلقد شرع الله سبحانه وتعالى الحدود لحكم عظيمة ومنافع كثيرة ، يترتب عليها آثار كثيرة ينعم بها المجتمع الإنساني ، حيث يعم فيه الأمن والإستقرار والراحة والإطمئنان ، فيعيش المرء أمنا في بيته ، مرتاح الضمير ، روحه مصونة فلا تزهق ، ودمه محقون فلا يراق ، ونسبه لا يعتدى عليه ، وعرضه سليم فلا يقذف ، وأمواله محفوظة فلا تصل إليها يد المجرم ولا تمتد إليها يد السارق ، وعقله باق على جبلته التي ميزه الله بها ، فلا يزيل نعمة الله عليه بالسكر ، ودينه ثابت مستقيم لا تلعب به الأهواء ولا تزعزعه العواطف فتجده مذبذباً متردداً يسير على غير هدى . ولا ريب أنه إذا صينت المجتمع من الرذائل ، وحفظت مسالكه من الإنحراف ، ونشئ أفراده على الفضيلة والاستقامة تحقق له الأمن والاستقرار .

---

(١) . سورة الإسراء . آية ٧٠ .
(٢) . المسوؤلية الخلقية والجزاء عليها ، ص : ٤٥٩ .
(٣) . سورة الأنعام . آية ١٦٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الحدود في الإسلام شرعت لتأمين حياة الناس ، فقد قال تعالى في القصاص :﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) ، إذ تهيئ هذه العقوبة لأفراد المجتمع حياة آمنة ، لأنه إذا علم المجرم " أنه يقتل قصاصاً إذا قتل آخر كف عن القتل ، وانزجر عن التسرع إليه ، والوقوع فيه ، فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية جميعها (٢) ، وكذلك الأمر في الجرائم الأخرى فإنه إذا علم أنه إذا انتهك عرضاً عوقب عليه بما يزجره ، فإنه يمتنع عن ذلك ، مما يحقق انكفافاً عن الجريمة ، وبعداً عن الفساد .

٢ . إبعاد المجتمع من الرذيلة والفساد :

إن من أهم آثار من وضع العقوبة هي محاربة الجريمة وإبعاد المجتمع من الرذائل ومنع وقوعها أو تقليلها ، فإن الإسلام قد بلغ في هذه الغاية مبلغا لم يصل إليه تشريع قبله أو بعده ، وذلك أنه حارب الجريمة قبل وقوعها ثم قضى عليها بعد وقوعها قضاء يذهب أثرها ويقلل مضارها وقد سلك في ذلك طرقا كثيرة ، حيث أحاط الفرد منذ نشأته بالمواعظ التي تؤثر في القلوب وتملؤها بتقوى الله تعالى والرغبة في مرضاته طمعاً فيما عنده من الثواب العظيم ثم شفع هذه الموعظة بالوعيد من ارتكاب المآثم ليملأ القلوب مخافة ورهبة من سخط الله والتعرض لعذابه في الآخرة ، وهذه هي الخطوة المهمة في الدفاع ضد الجرائم حيث يقل وقوعها ممن امتلأ قلبه بالإيمان بالله والخوف من عقابه . (٣)

كما يسهم الجزاء في الإسلام إسهاماً بالغاً في حماية الفضيلة وتمكينها في المجتمع ، بإتخاذ خطوات مختلفة كالترغيب في امتثال الأخلاق الحسنة ، والتحلي بها ذاتياً ، والتعامل مع الآخرين ، مع الوعد بالثواب الجزيل الذي تتعلق به آمال المؤمنين ، مما يستلزم إعراضهم عن الرذيلة . وكالمعاقبة على كل ما يمس الفضيلة ، كالإعتداء على الأنفس والأعراض والأموال بعقوبة القصاص والحدود أم جرائم محدودة الضرر بعقوبة التعزير ، والمقصد من كل هذا كله حماية المجتمع ومنابذة الرذيلة إلى أن تختفي من المجتمع ، ومحاربة الفساد إلى أن يضمحل .

وهدف الشريعة الإسلامية من فرض العقوبة هو إصلاح النفوس وتهذيبها والعمل على سعادة الجماعة البشرية ؛ ذلك لأن للإسلام في العقاب رأيا ينفرد به .

---

(١) . سورة البقرة . آية ١٧٩ .

(٢) . فتح القدير ، لإمام الشوكاني ، ص : ١٣٧ ، ط : الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١م ، مكتبة الرشد ، الرياض .

(٣) . أثر تطبيق الحدود في المجتمع ، لدكتورعبدالسميع إمام ، ص :٣٠٣ ، ٣٠٤، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي ، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٣٩٦ه ، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠٤ ه ، ١٩٨٤م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أجل ذلك وضع الله الحدود وضعا شرعياً كافلاً لراحة البشر في كل زمان ومكان ؛ حتى يكون الناس في مأمن وتمتنع الجرائم التي ترتكب ، فكل فعل سيئ يحدث في الأرض لا يمكن إصلاحه إلا بالعقوبة .

ويقول شاه ولى الله الدهلوي ([1]) في كتابه حجة الله البالغة : " اعلم أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد وذلك كل معصية جمعت وجوها من المفسدة ، بأن كانت فسادا في الأرض واقتضابا على طمأنينة المسلمين ، وكانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تميج فيها ، ولها ضراوة لا يستطيع الإقلاع منها بعد أن أشربت قلوبهم بها وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان ، وكان كثير الوقوع فيما بين الناس ، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة ، بل لا بد من إقامة ملامة شديدة عليها وإيلام ليكون بين أعينهم ذلك فيردعهم عما يريدونه . ثم مثل ببعض المعاصي ، إلى أن قال: وكالسرقة ؛ فإن الإنسان كثيرا ما لا يجد كسبا صالحا فينحدر إلى السرقة . ([2])

٣. معالجة الأمراض :

إن الحكمة من العقوبة بصفة عامة هي معالجة الأمراض الاجتماعية . وإيقاع العقوبات على بعض الأفراد يعتبر علاجاً للمجتمع ، لذلك تعتبر العقوبة من الأمور الضرورية للمجتمعات ، ولا يمكن أن يعيش مجتمع دون أن تفرض فيه عقوبة ، فكما أن الجريمة جزء من المجتمع ملازمة له ولا يتصور وجود مجتمع بدون جريمة ، فكذلك لا يتصور وجود مجتمع بدون عقوبة ، فالعقوبة تعتبر رد فعل للجريمة. والشريعة الإسلامية فإنها في عقوباتها متوسطة لا إفراط ولا تفريط خاصة عندما تطبق بأمانة وعدالة ، فإنها تؤثر تأثيرا بالغاً في التقليل من الإجرام والحد منه .

يقول العز بن عبد السلام ([3]) في قواعد الأحكام : " ربما كانت أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح ، لا لكونها مفاسد ، بل لكونها مؤدية إلى المصالح ، وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظا للأرواح ، وكالمخاطرة بالأرواح في الجهاد ، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها

([1]) . هوشاه ولي الله قطب الدين أحمد بن عبدالرحمن أبو عبدالله الدهلوي من أشهر المحدثين في الهند وفقهائها , أحي الله به السنة وعلم الحديث ولدسنة ١١٤هـ وله مؤلفات كثيرة منها : الفوزالكبير في أصول التفسير , حجة الله البالغة, وغيرها , توفي سنة ١١٧٦هـ انظر: نزهة الخواطرللحسني الندوي ٦/٣٩٨-٤١٥.

([2]) . حجة الله البالغة ، لإمام شاه ولي الله الدهلوي ، بتحقيق : السيد سابق ، ٢ / ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، المكتبة الأثرية ، شيخوبوره ، باكستان .

([3]) . هوعزالدين شيخ الإسلام أبومحمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن الإمام العلامة المصري الشافعي , ولد بدمشق سنة ٥٧٧هـ وله مؤلفات كثيرة في الفقه والتفسير والحديث والتصوف والسيرة ومنها : قواعدالأحكام في مصالح الأنام , توفي سنة ٦٦٠هـ , انظر: شذرات الذهب ٥/٣٠١ وطبقات المفسرين لداودي١/٣٠٨-٣٢٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مفاسد ، بل لكون المصلحة هي المقصودة من شرعها كقطع يد السارق وقاطع الطريق ، وقد سميت مصالح من قبيل المجاز بتسمية السبب باسم المسبب " . ([1])

فشرع الله الذي شرع لعباده ، هو الذي يصلح المجتمعات ، ويقضي على جذور الاعتداء ، والاستخفاف بالنفوس ، وإخافة الآمنين ، لما فيه من جزاء رادع يقضي بتطبيقه على الشر ، لأنه لا يصلح النفوس ، ويردها عن ذلك إلا هذا الأسلوب قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالْعَيْنِ والأَنفَ بِالأَنْفِ والأُذُنَ بِالأُذُنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ . ([2])

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى ﴾ ([3]) وهذا هو حكم الله الذي فيه طمأنينة المجتمع ، وإخافة الفاعل ، والردع عن التمادى في العمل الضار ، قد أنزله سبحانه على بني إسرائيل في توراتهم ، فخالفوا وعاندوا ، وبدلوا ، فكانت النتيجة جرائم متتالية ، واضطرابات في المجتمع ، وسار على منوالهم النصاري فحل بهم ما لحق بسابقيهم ، حسبما نلمسه اليوم في قوانينهم الوضعية .

واختار الله هذه الأمة لتطبيق ذلك فأمن مجتمعهم ، واطمأن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم عند الإمتثال ، ثم دب القلق في بعض المجتمعات الإسلامية ، لأن أقواماً استبدلوا بحكم الله قانوناً بشرياً ، وغيروا ما أراده الله ، بما أخذوه عن غيرهم تقليداً ، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. ولا شيء يؤمن المجتمع ، ويحفظ الأمة ، ويقضي على أسباب الخوف ، إلا بتطبيق ما ارتضاه الله في شرعه ، وأكده رسوله الكريم ، بحماية الأفراد ، والمحافظة على الجماعات ، لأن الله بعباده رؤوف رحيم . فما من أمة ضيعت أمر الله وحدوده إلا شاع فيها الاضطرابات ، وقل خيرها ، وذهبت بركتها ، وضاقت أرزاق أهلها ، وكثرت فيها الأزمات والقلاقل . ومصداق هذا من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ﴾ ([4]) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ﴾ . ([5])

([1]) . قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للعز بن عبد السلام ، ١ / ١٤ ، ط : الثانية ١٤٠٠ه ، ١٩٨٠م ، دار الجيل.

([2]) . سورة المائدة . آية ٤٥ .

([3]) . سورة البقرة ، آية ١٧٨ .

([4]) . سورة الجن . آية ١٦ .

([5]) . سورة الأعراف . آية ٩٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني : أثر الجزاء الأخروي على الفرد والمجتمع:

١ . أثر مظاهر الثواب على الفرد والمجتمع :

آثار فردية :

١. توجيه السلوك وانضباط الغرائز :

ركز القرآن المكي على اليوم الآخر غاية التركيز ، فقل أن توجد سورة مكية لم يذكر فيها بعض أحوال يوم القيامة وأحوال المنعمين في الجنة ومآلهم فيها ، ومظاهر الثواب وكيفية حشر الناس ومحاسبتهم حتى لكأن الإنسان ينظر إلى الجنة والنار رأي العين ، لكننا نركز في هذا المبحث على مظاهر الثواب للمؤمنين في الآخرة ، وقد جاءت آيات كثيرة مبينة وواصفة للجنة ، وأن لها أبواباً ، وفيها درجات ، وتجري من تحتها الأنهار ، وفيها عيون ، وقصور وخيام وفيها أشجار متنوعة ، كسدرة المنتهى ، وشجرة طوبى ، وتحدث القرآن عن نعيم أهلها ، وطعامهم وشرابهم ، وخمرهم ولباسهم وحليهم وفرشهم وخدمهم ، وأحاديث نساءهم وعن أفضل ما يعطى أهل الجنة وغير ذلك من المظاهر ، حتى لكأن الإنسان ينظر إلى الجنة كأنها معروضة أمامه ، لذلك إن للإيمان بالأخرة وما فيها من نعيم مقيم له أثار عظيمة في حياة الإنسان .

ومن أهم ما يترتب بهذا الإيمان هو توجية الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله تعالى ، ذلك أن تصرفات البشر إذا قامت على خشية الله تعالى والتطلع إليه والطمع في رضوانه ، فإن ذلك له أشد الأشر في توجية الإنسان إلى فعل الخير واجتناب الشر ، بل هو ميزان الذي يقف عليه الإنسان ليزن أعماله (١) ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ . (٢)

إذاً الإيمان باليوم الآخر هو الذي يهيئ الإهتمامات ، ويجعل التعلق بالدنيا أمراً لا مجال له عندما يعلم الإنسان أن هذه الدنيا زائلة ، وأن الآخرة مقبلة، وأن هذه الأيام والأنفاس ستنقضي لا محالة ، وأنه سيقدم على الله ، فنتيجة للإيمان بهذا اليوم ، وبأن هناك وجنةً وجزاءً حسناً ، تنشأ سلوكيات لم تكن تنشأ لولا الإيمان بالجنة وما فيها من نعيم مقيم .

---

(١) . مجتمعنا المعاصر . ص : ٤٣ . المرجع السابق .
(٢) . سورة الزلزلة . آية ٧ ، ٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. الشوق إلى نعيم الجنة :

إن من آمن بالبعث قد علم أن الله قد أعد للمؤمنين دارا يتحقق فيها رضاءه عنهم في صورة نعيم ما بعده نعيم ، وإن أهل هذا الإيمان في حالة من الشوق إلى ذلك النعيم لايصرفهم عن ذلك شيئ ، كما وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام وبنيه بقوله : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ (١) ، ذكر ابن كثير عدة أقوال في تفسير هذه الآية منها : أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم غيرها ، وقيل : نزع الله تعالي من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها ، وقيل : كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها (٢) . ثم إن مغريات الحياة الدنيا كثيرة جداً ، ولا علاج لها إلا ما يربي القرآن في نفوسنا من إيثار الآخرة على الدنيا .

فنساء رسول الله ﷺ ، وهن من أفضل النساء في عصرهن ، اجتمعن ليطالبن رسول الله ﷺ ، بأن يمتعهن بزينة الحياة الدنيا ، كما تتمتع نساء الملوك ، فنزل فيهن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣) ، فاخترن الله وسوله والدار الآخرة ، وبقين في كنف رسول الله ﷺ يصبرن على شظف العيش .

٣. البذل والتضحية :

النفس عندما تعلم ضخامة العوض ، وأن طاعة الله عاقبتها جنة عرضها السماوات والأرض ، نعيمها لا يفنى ، وعيشها دائم ، أكلها وظلها دائمان ، وما فيها من أنواع النعيم ، فإن هذا الجزاء العظيم ينسي المسلم تعب العمل وكده لله عز وجل ؛ لأنه يتطلع إلى الأمام ، يتطلع إلى الآخرة ، فنعيم الجنة ينسيه ما في طاعة الله من المشقة والتعب ، لأنه يدرك بأنه لا جنة بلا عمل أو تعب أو مشقة ، فيتحمل المشقة والجهد في طاعة الله . ما الذي يجعل المصلي يقوم لصلاة الفجر من الفراش والنوم الهانئ بالتعب والمشقة إذا لم يكن هناك عوض و لم يكن هناك جزاء ، وقس على ذلك جميع الأعمال التي يقوم بها العبد لرب العالمين ، من صيام وحج و زكاة وجهاد وغير ذلك .

فاليوم الآخر إذاً هو المتنفس ، هو الأمل ، هو النعيم الحقيقي الذي ينسي المسلم التعب الذي يتعبه في الدنيا ، وهو النعيم الذي يعوض المؤمن عما يفوته الآن من نعيم الدنيا ؛ لأنه يعمل لله رب العالمين .

---

(١) . سورة ص . آية ٤٦ .
(٢) . تفسير القرآن العظيم ، لإبن كثير ، ص : ١٦١١ .
(٣) . سورة الأحزاب . آية ٢٨ ، ٢٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك من هنا إذا علمت النفس عظم العوض استعدت للبذل ، وما الذي يجعل المقاتل المجاهد في سبيل الله يدفع روحه ونفسه وماله لله رب العالمين ؟ إذا لم يكن هناك عوض أكبر من التضحية بالنفس والمال ، هل كان سيضحي بنفسه وماله ؟ والكفار على النقيض من المؤمنين لا يفكرون في اليوم الآخر مطلقاً ، ولا يحسبون له أي حساب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ . (١)

" والإعتقاد في عدل الجزاء في الدار الآخرة ، وفي ضخامة العوض عما يفوت ونفاسته ؛ استعدت النفس للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح الذي تعلم أنه من أمر الله ، وأنه مناط العوض والجزاء ، وصلح خلق الفرد واستقام سلوكه – متى استيقن من الآخرة كما هي في التصور الاسلامي – وصلحت الأوضاع والأنظمة ، التي لا يتركها الأفراد تسوء وتنحرف ، وهم يعلمون أن سكوتهم على فسادها لا يحرمهم صلاح الحياة الدنيا وحدها وخيراتها ؛ ولكنه يحرمهم كذلك العوض في الآخرة ! فيخسرون الدنيا والآخرة . (٢)

آثار اجتماعية :

١ . التحاكم بشرع الله تعالى :

إن مجتمعاً يسود بين أهله الإيمان بالله تعالى واليقين بالآخرة والجزاء الحسن في الجنة ، لا شك أنه مجتمع تسوده المحبة ويعمه السلام ؛ لأن تعظيم الله تعالى سيجعل هذه النفوس لا ترضى بغير شرع الله تعالى بديلاً ، ولا تقبل الاستسلام إلا لحكمه ، وهذا بدوره سيضفي الأمن والأمان على مثل هذه المجتمعات ، لأن أهلها يخافون الله ويخافون يوم الفصل والجزاء ، ويخامون من حرمان الجنة ، وما أعد الله تعالى لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، إذاً فلا تحاكم إلا لشرع الله ، اقتضاء بقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) ، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة ، فلا خيانة ولا غش ولا ظلم ، ولا يعني هذا أنه لا يوجد في المجتمعات المسلمة من يظلم أو يخون أو يغش ، فهذا لم يسلم منه عصر النبوة ولا الخلافة الراشدة ، لكن هذه المعاصي تبقى فردية ، يؤدّب أفرادها بحكم الله تعالى وحدوده ، إذا لم يردعهم وازع الدين والخوف من الله ، والحالات الفردية تلك ليست عامة ، أما عندما يقل الوازع الديني والخوف من الآخرة ، ويكون التحاكم إلى أهواء البشر وحكمهم فهذا هو البلاء العظيم والفساد الكبير ، حيث

---

(١) . سورة الإنسان . آية ٢٧ .
(٢) . اليوم الآخر في ظلال القرآن ، أحمد فائز ، ص : ٥ ، ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م .
(٣) . سورة المائدة . آية ٤٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تداس القيم والحرمات ، ويأكل القوي الضعيف ، وبالتالي ، لا يأمن الناس على أديانهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم ، وكفى بذلك سبباً في عدم الأمن والاستقرار ، وانتشار الخوف ، واختلال حياة الناس .

٢. الإندفاع لمرضاة الله تعالى :

إن التصور البديع للجنان والإعتقاد الجازم له أثر كبير في حياة المجتمع الإسلامي ، ولأهمية هذا الركن من أركان الإيمان نجد أن السياق القرآني يقرن كثيراً بين الآيات التي تتحدث عن الإيمان بالله والآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) . لذلك إن التصور البديع للجنان مهم في نهضة الأمة ، فعندما تحي صورة الجنان في نفوس أفراد الأمة يندفعون لمرضاة الله تعالى ويقدمون الغالي والنفيس ويتخلصون من الوهن وكراهة الموت وتتفجر في نفوسهم طاقات هائلة تمدهم بعزيمة وإصرار ومثابرة على إعزاز دين الله .

" ولعل من حكمة الإهتمام البالغ بالتذكير باليوم الأخر ، كثره نسيان العباد له وغفلتهم عنه ، بسبب تثاقلهم الى الأرض ، وحبهم لمتاع الدنيا ، فيكون الإيمان به وبما فيه من نعيم مقيم مخففا من الغلو في حب الدنيا ، فيعلم العباد أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد التنافس فيها ، وأن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أعد الله لهم في ذلك اليوم العظيم " (٣) ، كما قال تعالى ﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . (٤)

لذلك إن النبي ﷺ كان يربي أصحابه على السعي لمرضات الله تعالى حتى يدخلهم جناته العظيمة ، فكان لهم يصف لهم الجنات من خلال المنهج القرآني ، حتى لكأن الصحابي يرأى الجنة معروضة أمامه في تلك اللحظة ، وينفعل بها كأنه يراها في عالم العيان بالفعل ، وليست أمراً يتصور حدوثه في المستقبل ، وتصبح الآخرة كأنها الحاضر الذي يعيشه الإنسان ، ويصبح الحاضر الذي يعيشه بالفعل كأنه ماض سحيق تفصله عن الإنسان آماد ، وأبعاد . (٥)

---

(١) . سورة التوبة . آية ١٨ .
(٢) . سورة الطلاق . آية ٢ .
(٣) . الإيمان . أركانه ، حقيقته ، د . محمد نعيم ياسين ، ص :٦٠ .
(٤) . سورة التوبة . آية ٤١ .
(٥) . دراسات القرآنية ، محمد قطب ، ص : ٨١ ، ط : الخامسة ١٤٠٨ه ، ١٩٨٨م ، دار الشروق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣. عدم الندم واليأس :

أن المسلم العامل لدين الله لا يندم على كل عمل عمله ولو لم ير ثمرة عمله في الدنيا . إن الذين يريدون إقامة منهج الله في الأرض ، ويشتغلون بالدعوة إلى الله والتربية على منهج رسول الله ﷺ ، هؤلاء الناس الذين اصطفاهم الله من بين البشر للقيام بهذه المهمة ، قد لا يأتي عليهم اليوم الذي يرون فيه ثمرات أعمالهم ، أو يرون فيه قيام المنهج الصحيح كما أراده رب العالمين على الأرض ، وقد لا يأتي عليهم اليوم الذي يرون فيه سراج الدين وهاجاً ، وقد لا يأتي عليهم اليوم الذي يرون الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، ولكنهم بسبب إيمانهم أن هذه الأعمال لن تضيع ، وأن أجرها عند رب العالمين فهم لذلك يعملون مع طول الليل الحالك ، ولو لم يروا بزوغ الفجر ؛ اقتضاء بقوله تعالى : اقتضاء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) ، لأنهم يعلمون أين الفجر الحقيقي ، ولأنهم يعلمون أن كل هذه الأعمال لن تذهب سدىً أبداً ، وأنهم سيجزون بها عند الله الجزاء الأوفى ؛ فيهون على هذا المسلم الصادق طول الطريق والمشقات والعقبات الموجودة في هذا الطريق ؛ لأنه يعلم متى وأين سيلقى هذا الجزاء عند رب العالمين . ولا يقلق على الأجر وإن كان العمل صغيراً ، فهو يعلم أن هناك رجلاً دخل الجنة بسبب جذع أزاحه من الطريق كان يؤذي المسلمين ، يعلم هذا فهو لا يتهاون بأي عمل : " اتقوا النار ولو بشق تمرة " (٢) ، وعندما يعلم الإنسان أنه حتى شق التمرة يأخذ عليها أجرا ، فإنه لن يتهاون بالأعمال الصالحة ولو كانت قليلة . " والإعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفي القلق والسخط والقنوط ، إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض ، الجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة ، إن الحساب الختامي هناك ، والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب . فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاؤه ، ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس ، فسوف يوفاه بميزان الله . (٣)

---

(١) . سورة يوسف . آية ٩٠ .

(٢) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة ، رقم الحديث : ١٤١٧ ، ص : ٢٢٩ .

(٣) . اليوم الآخر في ظلال القرآن ، أحمد فائز ، ص : ١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. أثر مظاهر العقاب الأخروي على الفرد والمجتمع :

آثار فردية :

١ . الإخلاص لله ﷻ والمتابعة للرسول ﷺ :

إن الموقن بلقاء الله ﷻ يوم الفزع الأكبر ، لا تلقاه إلا حريصاً على أعماله ، خائفاً من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر ، حيث إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، فتصير هباءً منثوراً ، والشرك الأصغر يحبط العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء ، والعجب ، والمن ، وطلب الجاه والشرف في الدنيا ، فكلما كان العبد موقناً بلقاء ربه كان منه الحرص الشديد على ألا تضيع منه أعماله الصالحة في موقف القيامة ، يوم أن يكون في أشد الأوقات حاجة إليها ؛ ولذلك فهو يجاهد نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله تعالى لعل الله ﷻ أن ينفعه بها ، كما أن اليقين بالرجوع إلى الله ﷻ يجعل العبد في أعماله كلها متبعاً للرسول ﷺ غير مبتدع ولامبدل ؛ لأن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ . (١)

٢ . تربية الشعور الحقيقي بالمسؤولية :

وأول ما ينعكس من مظاهر العقاب الأخروي على الفرد هو تربية الشعور الحقيقي بالمسؤولية ، وهذا الإيمان بالعقاب الأخروي هو الدافع الحقيقي الذي يكون وراء الشعور بالسؤولية ، ولا يمكن أن يتحقق هذا الشعور بالمسؤولية بدون هذا الإيمان ، ولذلك لاحظنا أن ميزة التشريع الإسلامي تكمن في تقبيل الناس له ، ودون أي تهرب أو احتيال على هذا القانون الإلهي ، ما دام الملائكة الحفظة يكتبون ، كما قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٣) ، وما دام يوم الحساب والجزاء ينتظرنا بالمرصاد ، فكل من ربي تربية إسلامية يشعر بتمام المسؤولية عن كل أعماله ، خوفا من الوقوف للحساب بين يدي الخالق في يوم تشخص فيه الأبصار . (٤)

٣ . تقصير الأمل وطرد الغفلة :

---

(١) . سورة الكهف . آية ١١٠.
(٢) . سورة ق . آية ١٨ .
(٣) . سورة الانفطار . ١١ ، ١٢ .
(٤) . راجع أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبدالرحمن النحلاوي ، ص : ٩٠ ، ط : الأولى ١٩٧٩م ، دارالفكر ، بدمشق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد ، طول الأمل ، والأماني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الآخرة ، واغترار بزينة الحياة الدنيا ، وتضييع ساعات العمر النفيسة في اللهث وراءها حتى يأتي الأجل الذي يقطع هذه الآمال ، وتذهب النفس حسرات على ما فرطت في عمرها ، وأضاعت من أوقاتها . كما قال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ (١) ، ولكن اليقين بالرجوع إلى الله ﷻ والتذكر الدائم ليوم الحساب ، يومئذ لا يخفى شيء من نوايا البشر وأعمالهم ، حيث تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وينشغل كل امرئ بنفسه ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢) ، هو العلاج الناجع لطول الأمل وضياع الأوقات .

ولما كانت الغفلة قد استولت على الكثيرين في هذا الزمان فهم غارقون في أنواع الملذات والالتهاء والألعاب ، والمنكرات وإضاعة الأوقات كان لا بد من تهذيب النفوس وترقيتها لتشاهد ما أعد الله الواحد القهار للكافرين ، إنها تطرد الغفلة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ* مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٤) ، لذلك يكثر القرآن الكريم من ذكر يوم القيامة والنار ، حتى لا تكاد تمر على سورة من سور القرآن إلا وتجد فيها حديثا تفصيل ذلك اليوم وما فيها من الأحداث والأحوال ، بأساليب كثيرة متنوعة وذلك لطرد الغفلة وتقصير الأمل .

آثار اجتماعية :

١. التكافل الإجتماعي :

إن الإيمان بما في الجنة والنار هو المحرك للإنسان في عمل الخيرات ، وفي الانتهاء عن المنكرات . وينشئ من هذه المظاهر العقاب في الآخرة وحدة و تماسكاً بين أفراده ، فالمجتمع العابد لا يكون افراده سائبين مبعثرين لا شأن لأحدهم بما يجري للآخر من أحوال وظروف ، بل هم يرتبطون برباط معين متين هو رباط الأخوة التي عقدها الله تعالى بينهم ، لذلك نرى بان الله تعالى ربط أمر طعام إطعام المسكين بالإيمان بالآخرة ، قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ *

---

(١) . سورة الزمر . آية ٥٦ .
(٢) . سورة عبس . آية ٣٤- ٣٧ .
(٣) . سورة مريم . آية ٣٩ .
(٤) . سورة الأنبياء . آية ١ ، ٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (١) فالأمر عندنا أسمى من أن يكون في الجهات الأخلاقية ، وأسمى من أن

يكون أوامر قسرية تنهب الأغنياء لتعطي الفقراء ، إنما الأمر عندنا مرتبط بالآخرة ، ومرتبط بأصل الإيمان ، قال تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ (٢) ، وانظروا كيف يحض هذا الدين على المسكين ويربطه بالرحمة ؛ فيكون إطعام المسكين مما يحض عليه من الرحمة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ (٣) ، وقس على هذا بقية الأمور بين أفراد المجتمع ، ومن هنا ينشئ التكافل في المجتمع و يعم الخير .

٢ . اجتناب الظلم بشتى صوره :

نظراً لكثرة الظلم والشحناء بين المسلمين في عصرنا الحاضر ، أنه لا شيء يمنع النفس من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض ، كاليقين بالرجوع إلى الله ﷻ ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه ، فإذا تذكر العبد هذا الموقف العصيب الرهيب ، وأنه لا يضيع عند الله شيء ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ (٥) ، إذا تذكر العبد هذه المواقف واتعظ بهذه الآيات ، وأيقن بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق ، والحذر من ظلمهم في دم أو مال أو عرض ، خاصة وأن حقوق العباد مبنية على المشاحة والحرص على استيفاء الحق من الخصم ، وبالذات في يوم الهول الأعظم الذي يتمنى العبد فيه أن يكون له مظلمة عند أمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، فضلاً عن غيرهم من الأباعد ، ومعلوم أن التقاضي هنالك ليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات .

فياليتنا نتذكر دائماً يوم الفصل العظيم ، يوم يفصل الحكم العدل بين الناس ، ويقضي بين الخصماء بحكمه وهو أحكم الحاكمين ، ليتنا لا نغفل عن هذا المشهد العظيم ، حتى لا يجور بعضنا على بعض ، ولا يأكل بعضنا لحوم بعض ، ولا نتكلم إلا بعلم وعدل ، إنه لا شيء يمنع من ذلك كله إلا الخوف من الله ﷻ وخوف الوقوف بين يديه، واليقين الحق بأن ذلك كائن في يوم لا ريب فيه ؛ قال تعالى :

---

(١) . سورة الماعون . آية ١- ٣ .
(٢) . سورة المدثر . آية ٤٢-٤٤ .
(٣) . سورة البلد. آية ١١- ١٤ .
(٤) . سورة الأنبياء . آية ٤٧.
(٥) . سورة طه . آية ١١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ . (١)

٣ . علاج مرتكبي المحرمات :

إن من أهم الأثار المترتبة للعقوبات الأخروية على المجتمع هي علاج مرتكبي المحرمات . نحن نرى في عصرنا الحاضر غرق الناس بالشهوات والمحرمات ، انتهكت الحرمات والأعراض ، وعمت المنكرات ، إذاً ما هو العلاج الإيماني للذين يقعون في الفواحش والرذائل ، والتطفيف في المكيال والميزان ، والغش والسرقة والغصب ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ومنع الزكاة ، وترك الصلوات ، وعدم إنكار المنكر ، وترك معالي الأمور والطاعات وغير ذلك ؟

والجواب بأن المتأمل في القرآن الكريم يرى بأن الله تعالى عالج هذه المحرمات بربطها بعقوبات في النار ، فنرى أن الله تعالى ربط الشرك بالخلود في النار في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٢) ، وقال النبي ﷺ " من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار " (٣) .

وقال عن الربا : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) ، وكما قال عن الشرك والقتل والزنا بأنهم يعذبون في واد في جهنم في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ (٥) ، كما حذر الذين يتساهلون في الصلوات بقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّين * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ . (٦) وكما أننا نجد أوصاف الأشياء في النار بالتفصيل حتى الطعام والشراب والملبس ، وألواناً وصوراً من العذاب ، وكيف يعذب أهل النار بالشدة ؟ وغيرذلك ، وكل ذلك لعلاج مرتكبي المحرمات والمنكرات .

---

(١) . سورة الزمر . آية ٣٠، ٣١.
(٢) . سورة المائدة . آية ٧٢ .
(٣) .رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب من كان آخر كلامة لا إله إلا الله ، رقم الحديث : ١٢٣٨ ، ص : ١٩٨ .
(٤) . سورة البقرة . ٢٧٥ .
(٥) . سورة الفرقان . آية ٦٨ ، ٦٩ .
(٦) . سورة الماعون . آية ٤ ، ٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

الحمدلله الذي وفقني برحمته وامتنانه إلى خاتمة الرسالة ونتائجها, والصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمابعد :

فبعد شوط قصير الذي قضيناه في رحاب الرسالة من أبوابها وفصولها وأبحاثها قد توصلت إلى عدة نتائج وهي عبارة عن النقاط التالية :

١. إن المسؤولية في الإسلام جامعة تشمل كل نواحي الحياة .

٢. إن مصدر إلزام المسؤولية على الإنسان هو الله تعالى وحده .

٣. إن المرأة تساوي الرجل في المسؤولية إلا في بعض الأمور التي لا تتناسب أنوثتها وعزتها.

٤. إن الإنسان ينال جزاء ه عمله في الدنيا والآخرة .

٥. إن الجزاء هوالدافع الأساسي للإنسان للشعور بالمسؤولية.

٦. إن الحياة جسر يعبره الإنسان إلى الحياة الأبدية فإما إلى الجنة أوالنار.

٧. إن من أهم ميزات الجزاء الإلهي العدل والرحمة العامة الشاملة .

٨ . الدنيا دارالابتلاء والآخرة دارالقرار.

٩. رحمة الله واسعة حيث يثيب المؤمن والكافر في هذه الدنيا لأن الله لايضيع أجرالمحسنين.

١٠. تتميزالمسؤولية في الإسلام بالمسؤولية الفردية فلا يسأل الإنسان إلا عما باشر أوتسبب فيه من أعمال .

١١. إن الشعوربالمسؤولية يغير سلوكيات الإنسان ومعاملاته في الحياة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٢. إن الإنسان محاسب لنفسه يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (١٤) سورة الإسراء

١٣. فضل الله تعالى بعباده حيث جعل جزاء السيئة سيئة مثلها والحسنة بعشرأمثالها .

١٤.إن الجزاء الأوفي في الدار الآخرة .

١٥ . أن ما فصله القرآن الكريم من أحوال الآخرة ومنازلها وما ذكر من أوصاف الجنة وألوان نعيمها ومن أوصاف النار وأهوالها يغرس في قلب المؤمن الخوف من عذاب الله تعالى و الطمع والرجاء في رحمته وثوابه ، مما يدفع الإنسان إلى الإلتزام بشرع الله التمسك بهدي النبي ﷺ .

١٥. إن الترغيب الترهيب يقوي في الإنسان الشعوربالآخرة وما فيها من نعيم وعذاب مقيم.

١٦ . المسؤولية في الإسلام حددت مهمة الإنسان في هذا الكون ، وبينت الحكمة من خلقه وإنشائه ، وأن له وقتاً وأجلاً محدداً ، ثم يوؤل إلى الجزاء الأبدي إما نعيم أو جحيم .

وأخيرا هذا ما تيسر لي من ذكر نتائج البحث فله الفضل والمنة , وهذا جهد بشري عرضة للنقص والخطأ فماكان فيه من الصواب فمن الله وماكان فيه من الخطأ فمني ومن الشيطان والله أسأل أن يرينا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المصادر والمراجع

رقم المسلسل	المصادر والمراجع
{١}	**القرآن الكريم**
{٢}	**آثر تطبيق الحدود في المجتمع** الدكتور عبد السميع إمام . بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي ، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٣٩٦ه ، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة التقاتة والنشر بالجامعة ١٤٠٤ ه ، ١٩٨٤م .
{٣}	**الأحكام السلطانية** التأليف : الإمام الماوردي ط : الأولى ١٤١٦ه ، ١٩٩٧م ، المكتب الإسلامي .
{٤}	**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** التأليف :محمد بن محمد العمادي أبو السعود ط : الرابعة ١٤١٤ه ، ١٩٩٤م ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت .
{٥}	**أركان الإيمان** التأليف : وهبي سليمان الألباني ط : الثانية ١٤٠٤ه ، ١٩٨٤م ، موسسة الرسالة .
{٦}	**الإسلام** التأليف : سعيد حوى ط : ١٣٩٧ه ، ١٩٧٧م ، مكتبة وهبة القاهرة .
{٧}	**الإسلام عقيدة وشريعة** التأليف : محمود شلتوت ط : الثانية عشرة ، ١٤٠٣ه ، ١٩٨٣م ، دارالشروق . بيروت
{٨}	**أصول التربية الإسلامية وأساليبها** التأليف : عبدالرحمن النحلاوي ط : الأولى ١٩٧٩م ، دارالفكر ، بدمشق .
{٩}	**أصول الدعوة.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	التأليف : د/ عبدالكريم زيدان ط : الثالثة ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
{١٠}	**أضواء البيان** التأليف : لمحمد الأمين الشنقيطي طبع على نفقة السوالملكى الأمير أحمد بن عبدالعزيز ١٣٠٣ه / ١٩٨٣ م .
{١١}	**إعلام الموقعين عن رب العالمين** لابن القيم الجوزية . بتحقيق : الشيخ عبدالرحمن الوكيل . الناشر: مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
{١٢}	**الإنسان في القرآن** التأليف : لعباس محمود العقاد ، ط : دارالهلال .
{١٣}	**الإيمان** التأليف : عبدالله الشرقاوي (بدون ذكرالطبعة وسنة)
{١٤}	**الإيمان . حقيقته وأثره في النفس والمجتمع** التاليف : الدكتورمحمدعبدالله الشرقاوي ط : الثانية ١٤١٠ه ،١٩٩٠م الناشردارالجيل ، بيروت .
{١٥}	**الإيمان والحياة** التأليف : الدكتور يوسف القرضاوي ط : الثالثة عشرة ١٤٢٣ه ، ٢٠٠٢ م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
{١٦}	**البحر المحيط** لأبي حيان الأندلسى ط : الثانية ١٩٨٣م ، دار الفكرللطباعة النشروالتوزيع .
{١٧}	**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** لإمام علاءالدين الكاساني الحنفي ط: الثالثة ١٤٠٦ه ، ١٩٨٦م ، دارالكتب العلمية . بيروت .
{١٨}	**بصائر ذوي التميز** للفيروزأبادي ط : المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{١٩}	**تاج العروس** التأليف : لمحمد مرتضى الزبيدي ط : دارالصادق ، بيروت .
{٢٠}	**التربية الأخلاقية الإسلامية** التأليف : مقداد يالجن ط الأولى ١٩٧٧ م ، مكتبة الخانجى بالقاهرة .
{٢١}	**التشريع الجنائي مقارناً بالقانون الوضعى** التأليف : عبدالقادر عودة ط : الرابعة عشرة ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٩٧م .
{٢٢}	**تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة** التأليف : د . عبدالرحمن بن زيد ط : ١٩٩٩ م .
	تفسير الجلالين التألبف: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي مكتبة الصفاء ، بالقاهرة . ط : الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠٢م .
{٢٣}	**تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير** تأليف: عماد الدين ابن كثير الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، دار السلام للنشر والتوزيع ، في مجلّد ، الرياض .
{٢٤}	**التفسير الكبير أو المفاتيح الغيب** لإمام فخرالدين الرازي دارالكتب العلمية . ط : الثانية ١٤٢٥ه ، ٢٠٠٤م .
{٢٥}	**تهذيب اللغة** التأليف : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري طبعة جديدة بإشراف : محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي .
{٢٦}	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** للشيخ أبي عبدالله عبدالرحمن آل سعدي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م
{٢٧}	**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	التأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ط : دارالفكر ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٨
{٢٨}	**جامع الترمذي** لإمام محمد بن عيسى الترمذي الطبعة الأولى ١٤٢٠ه ، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض .
{٢٩}	**الجامع الصحيح مسلم** تأليف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى الطبعة الأولى ١٤٢٠ ه ، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض .
{٣٠}	**الجامع لأحكام القرآن المسمى بتفسير القرطبي** تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط : دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٩٨٥م .
{٣١}	**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** لإبن القيم الجوزية تقديم : الدكتورمحمد جميل غازى ، ط : الثانية . مطبعة المدني ، بمصر .
{٣٢}	**الجواهر الحسان في تفسير القرآن** أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ط : الأولى ١٤١٨ه ، ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
{٣٣}	**حادي الأفراح إلى بلاد الأفراح** لإبن القيم الجوزية ، بتحقيق : الدكتور السيد الجميلي الطبعة الرابعة ١٤٠٩ه ، ١٩٨٨م ، دار الكتاب العربي .
{٣٤}	**حجة الله البالغة** لإمام شاه ولي الله الدهلوي بتحقيق : السيد سابق المكتبة الأثرية ، شيخوبوره ، باكستان .
{٣٥}	**حقيقة الإنسان بين المسؤلية والتكريم** الدكتور أبواليزيد العجمى الناشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .
{٣٦}	**خصائص التصور الإسلامي** التأليف : سيد قطب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	طبعة المنظمات الطلابية ، ١٩٧٨.
{٣٧}	**الخصائص العامة للإسلام** الدكتور يوسف القرضاوي ط : ٧، ١٩٨٩م ، موسسة الرسالة، بيروت .
{٣٨}	**دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية والدولية** التأليف : الدكتورعبدالله دراز ط : الثانية ١٩٧٣م ، دارالقلم كويت .
{٣٩}	**الدراسات القرآنية** التأليف : الأستاذ محمد قطب ط : الخامسة ١٤٠٨ه ، ١٩٨٨م ، دار الشروق .
{٤٠}	**دستور الأخلاق** التأليف : الدكتور عبدالله دراز ، بتحقيق و تعليق الدكتور عبدالصبورالشاهين ط : الرابعة ، ١٤٠٢ه — ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة بيروت .
{٤١}	**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** تأليف: علامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ط : دار الفكرللطباعة والنشروالتوزيع ، ١٤١٧ ه ، ١٩٩٧ م .
{٤٢}	**سنن ابن ماجه** المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ط : الأولى ، ١٩٩٩م ، دار السلام للنشر والتوزيع ، بالرياض .
{٤٣}	**سنن أبي داؤد** المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي بتحقيق محمد ميحي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الفكر .
{٤٤}	**السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية** المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ط : الرابعة ، دارالكتاب العربي ، بمصر.
{٤٥}	**شرح العقيدة الأصفهانية** التأليف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني بتحقيق : إبراهيم سعيداي ط : الأولى ، ١٤١٥ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{٤٦}	**الصحاح** التأليف : اسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق : أحمد عبدالغفور ، ط : الرابعة ١٤٠٧ه دارالعلم للملايين ، بيروت .
{٤٧}	**صحيح البخارى** محمد بن اسماعيل البخاري الطبعة الثانية ١٤١٩ه ، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض.
{٤٨}	**العبادة في الإسلام** الدكتور يوسف القرضاوي الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة والعشرون ١٩٩٥م .
{٤٩}	**العبودية في الإسلام** المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ط : الثانية ١٣٩ ه ، المطبعة السلفية و مكتباها . بالقاهرة .
{٥٠}	**العقيدة الصيحيحة وما يضادها** لشيخ عبدالله بن باز ط : دارابن رجب للنشروالتوزيع ، الرياض .
{٥١}	**فتح الباري بشرح صحيح البخارى** تأليف: إمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الناشر : دار المعرفة . بيروت ١٣٧٩.
{٥٢}	**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** المؤلف: محمد بن علي الشوكاني مكتبة الرشد ، الرياض . الطبعة الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١م .
{٥٣}	**الفصل والملل والأهواء والنحل** تأليف: أبو محمد على بن أحمد ابن حزم الطاهري دار الفكر ، ١٤٠٠ه ، ١٩٨٠م .
{٥٤}	**فقه المسؤلية** لعلي عبدالحليم محمود ط :الأولى ، ١٤١٥ه ، ١٩٩٥م ، دارالتوزيع والنشر .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{٥٥}	**فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم** تأليف : على خليل ابو العيبين ط : الثانية ١٩٨٥م ، دار الفكر العربى .
{٥٦}	**القاموس المحيط للفيروزآبادى** بإعداد وتقديم : محمد عبدالرحمن المرشيلى ط : الثانية ، ١٤٢٤ه ، دارإحياء التراث العربي . بيروت .
{٥٧}	**قواعد الأحكام في مصالح الأنام** للعز بن عبد السلام ط : الثانية ١٤٠٠ه ، ١٩٨٠م ، دارالجيل .
{٥٨}	**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** لإمام جار الله محمودبن عمر الزمخشري ط :دارالكتاب العربي . بيروت
{٥٩}	**لسان العرب** التأليف : ابن منظور بتحقيق : عامرأحمد . ط : الأولى ٢٠٠٣م ، ١٤٢٤ه ، دارالكتب العلمية ، بيروت .
{٦٠}	**لسان العرب** تأليف : الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي الناشر: دار صادر ، بيروت .
{٦١}	**المجتمع الإسلامي** التأليف : الدكتور محمد أمين المصري ط: الأولى ١٩٨٠م ، دار الأرقم ، بالكويت .
{٦٢}	**المجتمع المتكافل في الاسلام** الدكتور عبدالله الخياط ط : ١٩٧٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
{٦٣}	**مجتمعنا المعاصر . أسباب ضعفه ووسائل علائجه** الدكتور عبدالله سليمان المشوخي ط : الأولى ١٩٨٧م ، مكتبة المنار ، الأردن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{٦٤}	**مجموع فتاوى ابن تيمية** تأليف : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمدبن قاسم النجدي الحنبلي ، مكتبة المعارف الرباط .
{٦٥}	**مدارك التنزيل وحقائق التأويل** لإمام أبي البركات النسفي ، ط : دارالفكرللطباعة والنشر .
{٦٦}	**المدخل الفقهي العام** للأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ط سنة ١٩٦٨م ، مطابع ألف باء بدمشق .
{٦٧}	**المدخل لمعرفة الإسلام** التأليف : الدكتوريوسف القرضاوي ط : الثالثة ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١ه ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
{٦٨}	**المسؤلية الخلقية والجزاء عليها** الدكتور أحمد بن عبدالعزيز الحليبي ط : الأولى ١٤١٧ه \ ١٩٩٤م ، مكتبة الرشد بالرياض .
{٦٩}	**المسؤولية في الإسلام** التأليف : محمد زكي الدين حجازي ط : الثالثة ١٤٠٣ه ، ١٩٨٣م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
{٧٠}	**المستصفى في علم الأصول** المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد تحقيق : محمد عبد السلام ، ط:١ ، ١٤١٣، دار الكتب العلمية ، بيروت .
{٧١}	**مسند الإمام أحمد** لإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ط : بيت الأفكارالدولية . (بدون ذكرسنة)
{٧٢}	**معالم التنزيل** الحسين بن مسعود الفراء البغوي الطبعة الأولى ١٤٢٥ه ، ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{٧٣}	**المعجم الفلسفي** إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط سنة ١٩٧٩م ، الهئية العامة لشؤن المطابع الأميرية .
{٧٤}	**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي .
{٧٥}	**المعجم الوسيط** قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وغيره . مجمع اللغة العربية .
{٧٦}	**معجم لغة الفقهاء** التأليف : د . محمد رواس ، د . حامد صادق منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، بكراتشي .
{٧٧}	**معجم مقايس اللغة** التأليف : لابن فارس أبي الحسين أحمد بن زكريا بتحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون . ط : دارالجيل ، بيروت .
{٧٨}	**المغني** لإبن قدامة ط : الثالثة ، ١٤١٧ه ، ١٩٩٧م ، دارعالم الكتب للطباعة والنشر .
{٧٩}	**المفردات في غرائب القرآن** التأليف : الراغب الأصبهاني ، الناشر : أصح المطابع بكراتشي .
{٨٠}	**المفصل في أحكام المرآة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية** التأليف : الدكتور عبدالكريم زيدان الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ه ، ٢٠٠٠م ، مؤسسة الرسالة .
{٨١}	**المنجد في اللغة والأعلام** دار المشرق ، بيروت . ط : الأربعون ٢٠٠٣ م .
{٨٢}	**موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ** باشراف د.صالح بن عبدالله الحميد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	الطبعة الاولى ١٤١٨ه ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع .
{٨٣}	**موقف البشر تحت سلطان القدر** للشيخ مصطفى صبري ط : ١ سنة ١٣٥٢ه ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
{٨٤}	**النهاية في غريب الحديث والأثر** التأليف : ابن الأثير ، بتحقيق : الشيخ خليل مأمون ط : الطبعة الأولى ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١ه ، دارالمعرفة ، بيروت .
{٨٥}	**الوجيز في أصول التشريع** محمد حسن هيتو ط ١ ، ١٤٠٣ه ،١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
{٨٦}	**اليوم الآخر في ظلال القرآن** التأليف : أحمد فائز ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

اسم الموضوع	
الإهداء	
الشكر والتقدير	
المقدمة	
أهمية الموضوع	
أسباب الإختيار الموضوع	
منهج البحث	
خطة البحث	
الباب الأول : المسؤولية	
التمهيد	
المسؤولية لغة	
معنى السؤال في القرآن الكريم	
المسؤولية اصطلاحا	
خصائص المسؤولية في القرآن الكريم	
١ . الثبوت	
٢ . العموم	
٣ . الشمول	
أ . الشمول الزماني	
ب . الشمول المكاني	
ج . الشمول الموضوعي	
الفصل الأول : شروط المسؤولية و مناطها في القرآن الكريم	
المبحث الأول : شروط المسؤولية	
١ . العقل والبلوغ	
٢ . حرية الإرادة	
٣ . العمل الإرادي	
٤ . بلوغ الدعوة	
المبحث الثاني : مناط المسؤولية	ف
١ . مهمة الإنسان في الكون	ف
أ . الخلافة	ف
ب . العبادة	ف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	اسم الموضوع	
ف	ج . الأمانة	
ف	**٢ . الإنسان مخلوق مكرم**	
ف	أ . تسخير الكون للإنسان	
ف	ب . تكريم الإنسان بالجوارح والحواس	
ف	ج . تميز الإنسان بالوحي	
ف	**الفصل الثاني : أنواع المسؤولية وأهدافها**	
ف	**المبحث الأول : أنواع المسؤلية**	
ف	**١ . المسؤولية تجاه الخالق**	
ف	**أ . جانب الإعتقاد**	
ف	• . تعريف العقيدة	
ف	• . أهمية العقيدة	
ف	• . أركان العقيدة	
ف	١ . الإيمان بالله	
ع	٢ . الإيمان بالملائكة	
ف	٣ . الإيمان بالرسل	
ف	٤ . الإيمان بالآخرة	
ف	٥ . الإيمان بالقدر	
ف	**ب . جانب السلوك**	
ف	١ . الصلاة	
ف	٢ . الزكاة	
ع	٣ . الصوم	
ف	٤ . الحج	
ف		
ف	**٢ . المسؤولية تجاه الأسرة**	
ف	١ . المسؤولية تجاه الوالدين	
ف	٢ . المسؤولية تجاه الزوجة	
	٣ . مسؤولية الزوجة تجاه الزوج	
ف	٤ . المسؤولية تجاه الأولاد	
ف	**٢ . المسؤولية تجاه المجتمع**	
ف	١ . المسؤولية تجاه الجار	
ف	٢ . المسؤولية تجاه الأقارب	

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	اسم الموضوع	
ف	٣ . المسؤلية تجاه المجتمع بأسره	
ف	**المبحث الثاني : أهداف المسؤولية** ف	
ف	**١ . الأهداف العامة**	
ف	١ . تحقيق العبودية ف	
ف	٢ . مرضاة الله تعالى	
ف	٣ . السعادة	
ف	٤ . هيمنة المعروف	
ف	٥ . النجاة من العقاب الإلهي	
ف	**٢ . الأهداف الخاصة**	
ف	١ . بناء الإنسان الصالح	
ف	٢ . بناء الأسرة الصالحة	
ف	٣ . بناء المجتمع الصالح	
	فالباب الثاني : الجزاء	
	فالتمهيد	
ف	علاقة الجزاء بالمسؤولية	
ع	الجزاء لغة	
ف	معاني الجزاء في القرآن الكريم	
ف	الجزاء اصطلاحا	
ف	خصائص الجزاء في القرآن الكريم	
ف	١ . العدل والرحمة	
ع	٢ . الجزاء شامل لكل الأعمال	
ف	٣ . العمل سبب لحصول الجزاء	
ف	٤ . الجزاء دنيوي وأخروي	
ف	**الفصل الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا**	
ف	**المبحث الأول : الجزاء الإلهي في الدنيا للصالحين**	
ف	**التمهيد**	
ف	• **مظاهر الثواب**	
ف	١ . الطمأنية والراحة	
ف	٢ . الهداية والتوفيق	

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	اسم الموضوع	
و	٣ . نضرة الوجوه	
و	٤ . تهيئة الحياة	
ع	٥ . المعية الإلهية	
و	٦ . التمكين في الأرض	
و	٧ . محبة الناس وثناؤهم	
و	٨ . تيسير الخيرات والأرزاق	
و	**المبحث الثاني : الجزاء الإلهي في الدنيا للطالحين**	
و	**• مظاهر العقاب**	
و	١ . غضب الله تعالى	
و	٢ . إهلاك المفسدين	
و	٣ . زوال النعمة	
و	٤ . القلق والضيق	
و	٥ . تحريم الطيبات	
و	٦ . عدم الإهتداء إلى الحق	
و	٧ . احباط الأعمال	
و	٨ . العقوبات الحسية	
و	١ . عقوبة الإعتداء على الدين بالإرتداد	
و	٢ . عقوبة الإعتداء على النفس البشرية	
و	٣ . عقوبة الإعتداء على العقل	
و	٤ . عقوبة الإعتداء على العرض	
و	٥ . عقوبة الإعتداء على المال	
و	٦ . التعزيرات	
و	**الفصل الثاني : الجزاء الإلهي في الآخرة**	
و	**المبحث الأول : الجزاء الإلهي في الآخرة للصالحين**	
	فالتمهيد	
و	١ . الجزاء في الدنيا ليس شاملا	
و	٢ . الجزاء الأخروي	
و	٣ . وجود الجنة والنار	
و	**• مظاهر الجزاء الإلهي في الآخرة للصالحين**	
و	١ . الجنة متبوأ المؤمنين	

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	اسم الموضوع	
ع	٢ . تحيتهم بالسلام	
ف	٣ . عدم الخوف	
ف	٤ . طعام وشراب أهل الجنة	
ف	٥ . درجات أهل الجنة	
ف	٦ . مساكن أهل الجنة	
ف	٧ . أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة	
ف	٨ . أفضل ما يعطاه أهل الجنة	
ف	٩ . صحبة أسرهم وأهل مودتهم	
ف	١٠ . خلود النعمة	
ف		
ف	**المبحث الثاني : الجزاء الإلهي في الآخرة للطالحين**	
ف	١ . النار مثوى ومأوى الكافرين	
ف	٢ . النعم وألوان الخير التي يحرم منها أهل النار	
ف	٣ . ما يصيب أهل النار من عقوبات الذل والهوان	
ف	٤ . تحيتهم بالتهكم والإستهزاء	
ف	٥ . طعام أهل النار وشرابهم	
ف	٦ . ضرب الوجوه و سوادها	
ف	٧ . العذاب يحيط بجميع أجزاء الجسد	
ف	٨ . سعة جهنم و حزنتها	
ف	٩ . حسرة أهل النار و ندامتهم	
ف	١٠ . الخلود في النار	
ع	**الفصل الثالث : الجزاء و أثره على الفرد والمجتمع**	
ف	**المبحث الأول : أثر الجزاء الدنيوي على الفرد والمجتمع**	
ف	**التمهيد**	
ف	**١ . أثر مظاهر الثواب على الفرد والمجتمع**	
ف	• **آثار فردية**	
ف	١ . مراقبة الله تعالى	
ع	٢ . معرفة النفس	
ف	٣ . العمل الدائم	

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	اسم الموضوع	
ف	• آثار اجتماعية	
ف	١ . الأمن والرضا	
ف	٢ . التفاؤل والتقدم	
ف	٣ . الأمن المعيشي	
ف	**٢ . أثر مظاهر العقاب على الفرد والمجتمع**	
ف	• آثار فردية	
ف	١ . قبول هدي الله تعالى	
ع	٢ . العلم بعظمة الله وقوته	
ف	٣ . التوبة من المعاصي	
ف	• آثار اجتماعية	
ف	١ . إحياء المعاني والصفات الحميدة	
ف	٢ . الاعتبار بما حل بالأمم السابقة	
ف	٣ . تزكية النفوس	
ف	**٢ . أثر العقوبات الحسية على الفرد والمجتمع**	
ف	• آثار فردية	
ف	١ . ردع المجرم وإصلاحه	
ع	٢ . التطهر من الذنب	
ف	٣ . حفظ كرامة الإنسان وسعادته	
ف	• آثار اجتماعية	
ف	١ . الأمن والإستقرار	
ف	٢ . إبعاد المجتمع من الرذيلة والفساد	
ف	٣ . معالجة الأمراض	
	المبحث الثاني : أثر الجزاء الأخروي على الفرد والمجتمع	
ف	**١ . أثر مظاهر الثواب على الفرد والمجتمع**	
ف	• آثار فردية	
ف	١ . توجيد السلوك وانضباط الغرائز	
ع	٢ . الشوق إلى نعيم الجنة	
ف	٣ . البذل والتضحية	

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	اسم الموضوع	
ف	• آثار اجتماعية	
ف	١. التحاكم بشرع الله تعالى	
ف	٢. الإندفاع لمرضاة الله تعالى	
ف	٣. عدم الندم واليأس	
ف	**٢. أثر مظاهر العقاب الأخروي على الفرد والمجتمع**	
ف	• آثار فردية	
ف	١. الإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول	
ع	٢. تربية الشعور الحقيقي بالمسؤلية	
ف	٣. تقصير الأمل وطرد الغفلة	
ف	• آثار اجتماعية	
ف	١. التكافل الإجتماعي	
ف	٢. اجتناب الظلم بشتى صوره	
ف	٣. علاج مرتكبي المحرمات	
ف	• الخاتمة	
	• الفهارس	
	١. فهرس الآيات القرآنية	
	٢. فهرس الأحاديث والآثار	
	٣. فهرس الأعلام المترجم لهم	
	٤. فهرس المصادر والمراجع	
	٥. فهرس الموضوعات	